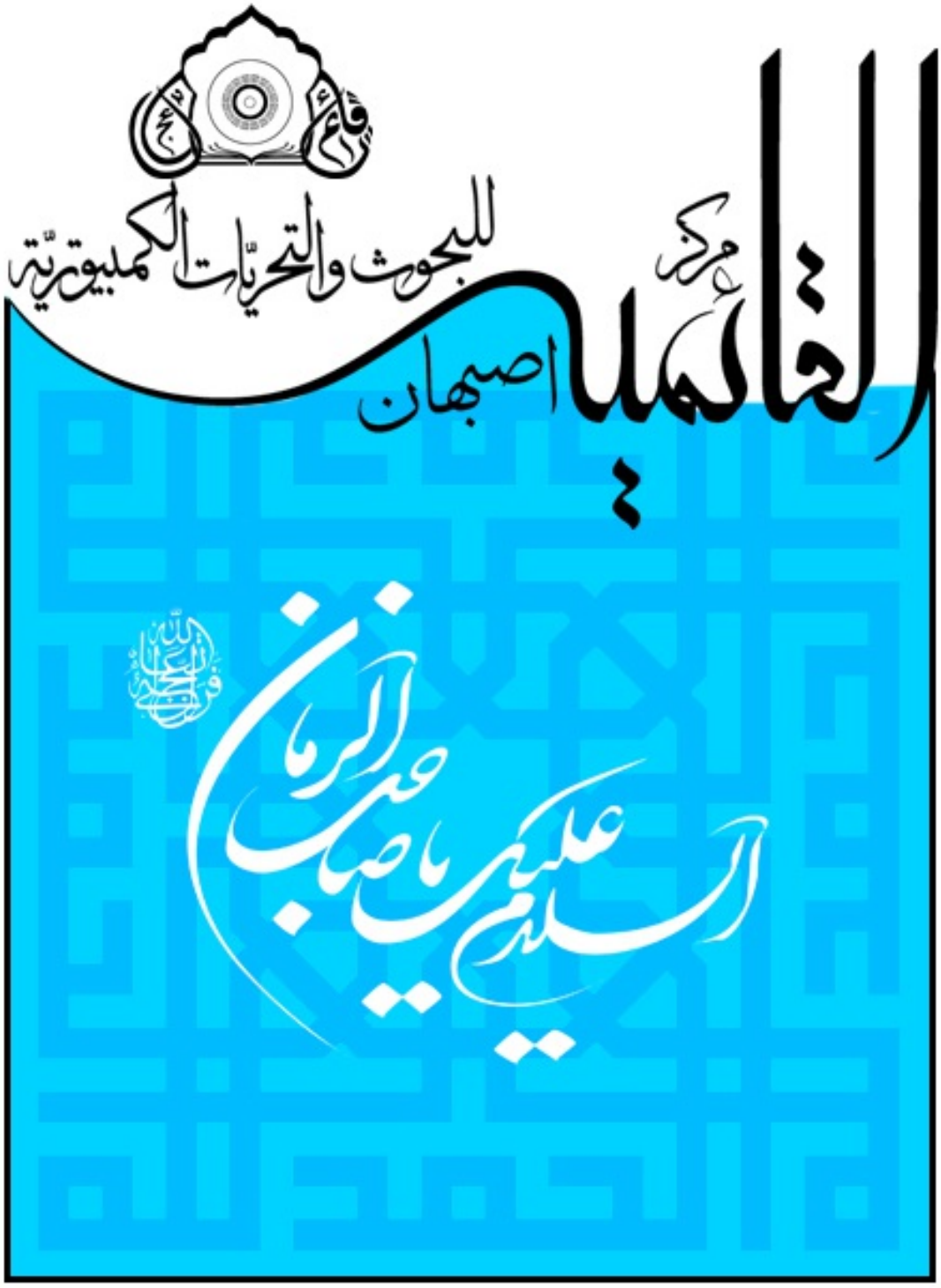

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ١٢

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

كاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۲ ----- ۷
اشارة ----- ۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۲] ----- ۷
ذکر سلطنة الملک الظاهر برقوق الثانیة علی مصر ----- ۷
ذکر وقعة علیّ بای مع السلطان الملک الظاهر برقوق ----- ۳۶
ذکر قضاته بالدیار المصریة ----- ۴۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۳] ----- ۴۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۴] ----- ۵۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۵] ----- ۵۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۶] ----- ۵۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۷] ----- ۵۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۸] ----- ۵۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۹] ----- ۶۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۰] ----- ۶۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۱] ----- ۶۶
ذکر سلطنة الملک الناصر فرج بن برقوق الأولی علی مصر ----- ۶۶
ذکر جلوسه علی تخت الملک ----- ۶۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۲] ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
ذکر الواقعة بین الأتابک أیتمش و بین یشبک و غیره ----- ۷۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۳] ----- ۸۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۴] ----- ۱۰۶

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۵] ----- ۱۱۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۶] ----- ۱۱۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۷] ----- ۱۱۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۸] ----- ۱۲۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۲۶

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۲

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۲]

ذکر سلطنة الملک الظاهر برقوق الثانیة علی مصر

تقدّم ذكر الملك الظاهر برقوق و أصله و خبر قدومه من بلاد الجاركس إلى الديار المصريّة و ما وقع له بها إلى أن ملكها و تسلطن، كلّ ذلك فى ترجمته الأولى من هذا الكتاب. و ذكرنا أيضا ما وقع له من يوم خلع نفسه و سجن بالكرك إلى أن خرج من الحبس و قاتل منطاشا و انتصر عليه و عاد إلى الديار المصرية بعد أن أعيد إلى السلطنة بمنزلة شقحب، و أشهد على الملك المنصور بخلع نفسه، ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲

سار حتى نزل بالصالحية، كلّ ذلك فى ترجمة السلطان الملك المنصور حاجى مفصّلا، فمن أراد شيئا من ذلك فلينظره فى محلّه، و من يومئذ نذكر رحيله من منزلة الصالحية إلى نحو الديار المصرية فنقول:

و لمّا نزل الملك الظاهر برقوق على منزلة الصالحيّة فى يوم عاشر صفر سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة أقام بها نهاره، و أعيان الدولة تأتيه فوجا بعد فوج، مثل أكابر الأمراء الذين كانوا بالحبوس و أعيان العلماء و مباشرى الدولة و غيرهم.

ثمّ رحل من الغد بعساكره و صحبته الخليفة و الملك المنصور حاجى و القضاة و سار بهم يريد الديار المصرية إلى أن نزل بالرّيدانيّة خارج القاهرة فى بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، فخرج الأعيان من العلماء و الأمراء و الفقراء إلى لقائه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳

فخرجت الأشراف مع السيد الشريف عليّ نقيب الأشراف، و خرجت طوائف الفقراء بأعلامها و أذكارها، و مشايخ الخوانق بصوفيّتها، و خرجت العساكر المصريّة بلبوسها الحربيّة، لأن العسكر المصرىّ كان من يوم خروج بطا و أصحابه من السجن و ملكوا الديار المصريّة؛ عليهم آلة الحرب، و خرجت اليهود بالتوراة و النصارى بالإنجيل، و معهم الشموع المشعولة. و خرج من الناس ما لا يحصيه إلا اللّه تعالى و عندهم من الفرح و السرور ما لا يوصف، و هم يصيحون بالدعاء له حتّى لقوه و خاطبوه.

فشرع الملك الظاهر يكلّم الناس و يدنيهم و يرجع رءوس النّوب عن منعهم من السلام عليه. و كلّما دعا له شخص منهم رحّب به. هذا و قد فرشت له الشّقق الحرير خارج التّرب إلى باب السلسلة، فلمّا وصل الملك الظاهر إلى الشقق المفروشة له، تنحّى بفرسه عنها و قدم الملك المنصور حاجّى، حتى مشى بفرسه عليها، و مشى الملك الظاهر برقوق بجانبه خارجا عن الشقق، فصار الموكب كأنه للملك المنصور لا للظاهر، فوقع هذا من الناس موقعا عظيما، و رفعوا أصواتهم له بالدعاء و الابتهال لتواضعه فى حال غلبته و قهره له و كون المنصور معه كالأسير، و صارت القبّة و الطير على رأس الملك المنصور أيضا، و الخليفة أمامها و قضاة القضاة بين يدى الخليفة، و تناهبت العامّة الشّقق الحرير بعد دوس فرس السلطان عليها، من غير أن يمنعهم أحد، و كذلك لمّا نثر عليه الذهب و الفضّة تناهبته العامّة. و كانت عادة ذلك كلّه للجمداريّة، فقصد الظاهر بذلك زيادة التحبّب للعامّة، كونهم أظهروا المحبّة له فى غيبته، و قاموا مع المماليك، و صاروا مع مماليكه، و صار الملك الظاهر يعظّم الملك المنصور فى مشيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴

و خطابه، و يعامله كما يعامل الأمير سلطانه، إلى أن أدخله داره بالقلعة؛ ثم عاد الملك الظاهر إلى حيث نزل من القلعة، و تفرّغ عند ذلك لشأنه، و استدعى الخليفة و قضاة القضاة و الشيخ سراج الدين عمر البلقينىّ و الأمراء و أعيان الدولة، فجدّد عقد السلطنة له و تجديد التفويض الخليفتىّ، فشهد بذلك القضاة على الخليفة ثانيا و أفيضت التشاريف الخليفتيّة على السلطان بسلطنته، ثم أفيضت التشاريف السلطانية على الخليفة، و ركب السلطان الملك الظاهر من الإسطبل السلطانىّ من باب السلسلة بأبّهة السلطنة و شعار الملك، و طلع إلى القلعة و نزل إلى القصر، و جلس على تخت الملك، و دقت البشائر و عملت التهانى و الأفراح بالقلعة و فى دور الأمراء و أهل الدولة، و كان هذا اليوم من الأيام التى لم يقع مثلها إلا نادرا.

ثم قام السلطان و دخل إلى حرمه و إخوته، ففرشت له أيضا الشّقق الحرير و الشقق المذهّبة تحت رجليه، و نثر عليه الذهب و الفضة و لاقته التهانى من خارج باب السّتارة، ثم أصبح السلطان فى يوم الأربعاء؛ فأمر أن يكتب إلى ثغر الإسكندرية بالإفراج عن الأمراء

المسجونين بها، و إحضارهم إلى الديار المصريّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵

ثم خلع السلطان على فخر الدين بن مكانس صاحب ديوان الجيش باستقراره فى وظيفته نظر الجيش عوضا عن القاضى جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ بحكم توجّهه مع منطاش إلى دمشق، و خلع على الوزير موفّق الدين أبى الفرج و استقرّ به فى الوزارة، و نظر الخاصّ، و على ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شادّ الدواوين باستمراره. و أنعم على الأمير بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، و عيّن للدواداريّة الكبرى و أخلع على الأمير قرقماش الطشتمرىّ أستادارا.

ثم فى سابع عشر صفر قدم الأمراء من الإسكندرية إلى بر الجيزة، فباتوا به و عدّوا فى ثامن عشره و طلعوا إلى القلعة و هم سبعة عشر أميرا، أعظمهم الأتابك يلبغا الناصرىّ، الذى كان خرج على الملك الظاهر، و قبض عليه و حبسه بالكرك ثم الأمير ألطنبغا الجوبانىّ نائب الشام الذى كان قبض على الملك الظاهر برقوق من بيت أبى يزيد، و طلع به إلى القلعة نهارا، ثم الأمير الكبير قرادمرداش الأحمدىّ الذى كان الظاهر جعله أتابك العساكر بديار مصر، و أنعم عليه بثلاثين ألف دينار فتركه و توجّه إلى يلبغا الناصرى المقدّم ذكره، و الأمير ألطنبغا المعلّم أمير سلاح و هؤلاء الأربعة من أعيان اليلبغاويّة خشداشيّة الملك الظاهر برقوق، ثم الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس الذى كان سببا لكسرة عسكر الملك الظاهر بدمشق بهرو به إلى الناصرىّ، و الأمير قردم الحسنىّ اليلبغاوىّ رأس نوبة النّوب و الأمير سودون باق أحد أمراء الألوف اليلبغاوية و الأمير سودون طرنطاى أحد الألوف أيضا و الأمير آقبغا الماردينىّ الأستادار أحد الألوف، و كشلى اليلبغاوىّ و بجاس النّوروزى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶

كلاهما أيضا مقدّم ألف و مأمور القلمطاوى نائب حماة و الكرك و ألطنبغا الأشرفىّ أحد الألوف أيضا و يلبغا المنجكىّ و يونس العثمانىّ، فوقف الجميع بين يدى الملك الظاهر برقوق و قبّلوا الأرض له، و هم فى غاية ما يكون من الخجل و الحياء منه، بما تقدّم منهم فى حقّه، فرحّب بهم الملك الظاهر و طيّب خواطرهم و لم يذكر لهم ما فعلوه به و لا عتبهم عن شئ مما وقع منهم فى حقّه، بل أكرمهم غاية الإكرام بكلّ ما يمكن القدرة إليه، ثم أمرهم بالنزول إلى بيوتهم، فنزل الجميع و هم فى غاية السرور.

ثم فى يوم الاثنين العشرين من صفر جلس السلطان بالإيوان من القلعة المعروفة بدار العدل، و أخلع على الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ بنيابة السلطنة بالديار المصرية على عادته أوّلا، و على الأمير إينال اليوسفىّ اليلبغاوى باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، و على الأمير الكبير يلبغا الناصرى صاحب الوقعة باستقراره أمير سلاح، و على الأمير ألطنبغا الجوبانىّ باستقراره رأس نوبة الأمراء و أطابكا و على الأمير كمشبغا الأشرفىّ الخاصكىّ باستقراره أمير مجلس و على الأمير بطاالطّولوتمرىّ الظاهرىّ باستقراره دوادارا كبيرا، و هو الذى كان خرج من حبس القلعة و ملك باب السلسلة فى فتنة الملك الظاهر و على الأمير طوغان العمرىّ باستقراره أمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷

جاندار، و على سودون النظامىّ باستقراره نائب قلعة الجبل، و نزل الجميع بالخلع و تحتهم الخيول بالسروج الذهب و الكنابيش الزّركش إلى دورهم، بعد أن خرجت الناس للفرجة عليهم، فكان يوما من الأيام المشهودة.

ثم فى يوم حادى عشرين صفر أخلع السلطان على الأمير بكلمش العلائىّ باستقراره أمير آخور كبيرا، و سكن بالإصطبل السلطانىّ.

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرين صفر قرئ عهد السلطان الملك الظاهر برقوق بدار العدل، و خلع السلطان على الخليفة المتوكّل على اللّه و أخلع على القاضى علاء الدين علىّ بن عيسى المقيّرىّ الكركى كاتب سرّ الكرك فى كتابة سرّ مصر، لما تقدم له من الإيادى على الظاهر فى القيام معه بالكرك، عوضا عن القاضى بدر الدين محمد ابن فضل اللّه بحكم توجّهه أيضا مع منطاش إلى دمشق.

ثم أخلع السلطان على بيجاس السّودونىّ باستقراره فى نيابة صفد.

و فى سادس عشرينه قبض السلطان على حسين بن الكورانىّ و أمر به فعذّب بأنواع العذاب.

و فيه قدم البريد على السلطان من صفد بفرار الأمير طغاى تمر القبلاوىّ من دمشق إلى حلب فى مائتين و واحد من المنطاشية.

و فى سابع عشرين صفر استقرّ الأمير محمود بن على الأستادار كان باستقراره مشير الدولة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸

و فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه جلس السلطان الملك الظاهر بالميدان من تحت القلعة للنظر فى أحوال الرعية و الحكم بين الناس على العادة، و استمرّ على ذلك فى كلّ يوم أحد و أربعاء.

و فى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل أخلع السلطان على الشيخ محمد الرّكراكىّ المالكىّ باستقراره فى قضاء المالكية بالديار المصرية عوضا عن تاج الدين بهرام الدّميرىّ. و الرّكراكىّ هذا هو الذى كان امتنع من الكتابة على الفتيا فى أمر الملك الظاهر برقوق لمّا كتب عليها البلقينىّ و غيره من القضاة و العلماء، و ضربه منطاش بسبب عدم كتابته. و حبسه إلى أن أطلقه بطا فيمن أطلق من سجن منطاش، فعرف له الظاهر ذلك و ولّاه قضاء المالكية.

و فيه استقرّ سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين مرسى المعروف بابن كاتب السعدىّ باستقراره فى نظر الخاصّ عوضا عن الصاحب موفّق الدّين، و انفرد موفّق الدين بالوزر.

و فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل استقرّ الأمير ألطنبغا الجوبانىّ رأس نوبة الأمراء فى نيابة الشام عوضا عن جنتمر أخى طاز بحكم انضمامه مع منطاش.

و استقرّ الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ فى نيابة طرابلس و رسم لهما الملك الظاهر فى محاربة الأمير منطاش.

و فى يوم السبت أوّل شهر ربيع الآخر استقرّ الأمير مأمور القلمطاوىّ فى نيابة حماة و استقرّ أرغون العثمانىّ فى نيابة الإسكندرية، و آلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق، و أسندمر السيفى حاجب حجّاب طرابلس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹

و فيه أيضا أنعم السلطان على كل من ألطنبغا الأشرفىّ و سودون باق و بجمان المحمّدىّ بإمرة مائة بدمشق و رسم لهم أن يخرجوا نوّاب البلاد الشامية.

و فى سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور استقرّ سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ فى الوزارة عوضا عن موفّق الدين أبى الفرج، و استقرّ الصاحب علم الدين سنّ إبرة فى نظر الدولة.

و فى رابع عشرينه قبض السلطان على الأمير سربغا الظاهرىّ و على الأمير أيدكار العمرىّ و على بكتمر الدوادار و على طشبغا الحسنىّ و قرابغا و أرغون الزّينىّ.

و فيه أيضا خلع السلطان على الأمير جلبان الكمشبغاوىّ الظاهرىّ المعروف بقراسقل باستقراره رأس نوبة النّوب بعد وفاة الأمير حسين قجا. كلّ ذلك و الأخبار ترد على السلطان بأن المنطاشيّة تدخل فى الطاعة شيئا بعد شىء و أن منطاشا فى إدبار.

و فيه أخلع السلطان على الأمير يلبغا الناصرىّ و استقرّ به مقدّم العساكر المتوجّهة لقتال منطاش، و ندبه للتوجّه صحبة النوّاب، و قال له: هو غريمك، اعرف كيف تقاتله. و جعل إليه مرجع العسكر جميعه.

و فيه أيضا خلع على نوّاب الشام خلع السّفر. و أنعم السلطان على جماعة كبيرة من مماليكه و غيرهم بإمريات بالبلاد الشامية، و رسم أيضا لجماعة من أمراء مصر بالسفر صحبة الأمير يلبغا الناصرىّ لقتال منطاش.

و فى عاشر جمادى الأولى برزت أطلاب النّوّاب و الأمراء إلى الرّيدانية خارج القاهرة، هذا بعد دخول الأمير قطلوبغا الصّفوى فى طاعة السلطان و حضوره إلى الديار المصرية بمن معه، كما سيأتى ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰

و كان من خبر قطلوبغا الصّفوىّ أن منطاشا جهّزه على تجريدة من دمشق لمحاصرة مدينة صفد، فلما قارب قطلوبغا صفد، دخل هو و جميع من معه فى طاعة السلطان.

ثم قدم قطلوبغا المذكور بمن معه فى ثالث عشر جمادى المذكورة، و كان لقدومه يوم مشهود. و عند دخوله إلى القاهرة قدم البريد فى إثره بأن منطاشا لمّا بلغه مخامرة الصفوىّ بمن معه، قبض على الأمير جنتمر أخى طاز نائب الشام و هو أعظم أصحابه و على ولده و على أستاداره ألطنبغا و على الأمير أحمد بن خوجى و على الأمير أحمد بن قجق و على كمشبغا المنجكىّ نائب بعلبك و على القاضى شهاب الدين أحمد بن عمر القرشىّ الشافعىّ قاضى دمشق و على عدّة من الأمراء و الأعيان؛ هذا و مجىء المنطاشية يتداول إلى مصر شيئا بعد شئ.

و فى تاسع عشرينه استقرّ الأمير محمود بن علىّ الأستادار أستادارا على عادته عوضا عن الأمير قرقماس الطشتمرىّ بعد وفاته.

هذا و القتال عمّال بالبلاد الشامية فى كلّ قليل بين عسكر منطاش و عساكر السلطان.

ثم قدم البريد بأن منطاشا أخذ بعلبك بعد ما حاصرها محمد بن بيدمر نحو أربعة أشهر و أنه وسّط ابن الحنش و أربعة نفر معه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱

و فى سابع عشر جمادى الآخرة قدم البريد بأن منطاشا لمّا بلغه قدوم العساكر لقتاله برز من دمشق و أقام بقبة يلبغا أياما، ثم رحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة بخواصّه، و هم نحو ستمائة فارس و معه نحو سبعين حملا ما بين ذهب و فضة، و توجّه نحو قارا و النّبك، بعد أن قتل جماعة من المماليك الظاهرية و قتل الأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار نائب؟؟؟ اة كان و أنّ الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق، و أفرج عمن كان محبوسا بها، و ملك القلعة و أرسل إلى النوّاب يعلمهم بذلك. فلمّا سمع النوّاب ذلك ساروا إلى دمشق و ملكوها من غير قتال، فسرّ السلطان بذلك سرورا عظيما و دقت البشائر و نودى بالقاهرة و مصر بالزينة.

و فى سابع عشر جمادى الآخرة المذكور، قدم البريد من دمشق بثلاثة عشر سيفا من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق.

ثم فى حادى عشرينه قدم البريد أيضا بثمانية سيوف أيضا من المنطاشية، ثم قدم البريد بسبعة سيوف أخر، منهم سيف الأمير ألطنبغا الحلبىّ و سيف دمرداش اليوسفىّ.

و فى ثالث عشرينه قدم البريد بأن الأمير نعير بن حيّار قبض على الأمير منطاش فدقّت البشائر لذلك، ثم تبيّن كذب الخبر.

و فى سابع عشرينه حضر الأمراء المقبوض عليهم من المنطاشية بدمشق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲

و فى يوم الخميس ثانى شهر رجب قدم القاضى عماد الدين أحمد بن عيسى المقيّرىّ قاضى الكرك إلى القاهرة، بعد أن خرج الأعيان إلى لقائه و طلع إلى القلعة فلمّا وقع بصر السلطان عليه قام له، و مشى لتلقّيه خطوات، و عانقه و أجلسه بجانبه و حادثه ساعة، ثم قام و نزل إلى داره؛ كلّ ذلك لما كان له على السلطان أيام حبسه بالكرك من الخدم.

و فى ثانى عشر شهر رجب حضر من دمشق القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه كاتب السر و القاضى جمال الدين محمود العجمىّ ناظر الجيش و نزلا فى بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان لتوغّر خاطر السلطان عليهما لكونهما توجّها إلى دمشق صحبة منطاش.

و فى ثالث عشره أخلع السلطان على القاضى عماد الدين الكركىّ المقدّم ذكره باستقراره قاضى قضاة الديار المصرية عوضا عن القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فصار عماد الدين هذا قاضى قضاة مصر و أخوه علاء الدين المقدّم ذكره كاتب سرّ مصر.

ثم قدم الخبر على السلطان من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب لمّا انهزم و توجّه إلى حلب جهّز إليه منطاش من دمشق بعد عود الملك الظاهر إلى مصر عسكرا عليه الأمير تمان تمر الأشرفى، فوصل تمان تمر المذكور إلى حلب و اجتمع به أهل بانقوسا،

و قاتلوا كمشبغا المذكور و حصروه بقلعة حلب نحو أربعة أشهر و نصف، و أحرقوا الباب و الجسر، و نقبوا القلعة من ثلاثة مواضع، فنقب كمشبغا على أحد النّقوب من أعلاه، و رمى على من به من فوق بالمكاحل و اختطفهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳

بكلاليب الحديد، و صار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما و هو فى ضوء الشموع بحيث إنه لا ينظر شمسا و لا قمرا و لا يعرف الليل من النهار، و قاسى شدائد و محنّا، و دام ذلك عليه إلى أن بلغ تمان تمر المذكور فرار منطاش من دمشق فضعف أمره، فثار عليه أهل بانقوسا و نهبوه، فحضر حاجب حجّاب حلب إلى الأمير كمشبغا و أعلمه بذلك، فعمّر كمشبغا الجسر فى يوم واحد، و نزل و قاتل أهل بانقوسا يومين، و قد أقاموا عليهم رجلا يعرف بأحمد بن الحرامىّ؟ فلمّا كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامىّ المذكور و قبض كمشبغا عليه و على أخيه و على نحو الثمانمائة من الأتراك و الأمراء و البانقوسية، فوسّطهم كمشبغا بأجمعهم و ضرب بانقوسا حتى صارت دكّا، و نهب جميع ما فيها. ثمّ إن الكتاب يتضمّن أيضا أن كمشبغا بالغ فى تحصين قلعة حلب و عمارتها و أعدّ بها مؤونة عشر سنين، و أنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف درهم، و عمّر سور مدينة حلب و كان منذ خرّبه هولاكو خرابا، فجاء فى غاية الحسن، و عمل له بابين و فرغه فى نحو الشهرين و نصف، و كان أكثر أهل حلب يعمل فيه و أن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهمندار و الأمير طغجى نائب دوركى كان لهما قيام تام مع الأمير كمشبغا فى هذه الوقعة. انتهى.

قلت: يقال: إنه قتل فى واقعة كمشبغا مع الحلبيين بحلب نحو العشرين ألفا من الفريقين. ثم أشيع بالقاهرة أن الأمير بطا الطولوتمرى الدوادار يريد إثارة فتنة، فتحرّز الأمراء و اعتدّوا للحرب إلى أن كان يوم الاثنين عشرينه جلس السلطان بدار العدل على العادة، ثم توجّه إلى القصر و معه الأمراء فتقدّم الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴

بطا إلى السلطان و قال للسلطان: قد سمعت ما قيل عنى و هأنا. و حلّ سيفه و عمل فى عنقه منديلا، فسأل السلطان الأمراء عما ذكره الأمير بطا و أظهر أنه لم يسمع شيئا من ذلك، فذكر الأمراء أن الأمير كمشبغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بكلمش العلائى أمير آخور.

ثم وقع بين الأمير بطا و محمود الأستادار مخاشنة فى اللفظ، فأشاع الناس ما أشاعوه فجمعهم السلطان و أصلح بينهم.

ثم حلّفهم على طاعته و حلّف المماليك أيضا، و طيّب خواطر الجميع بلين كلامه و دهائه؛ و فى النفس من ذلك شىء.

ثم أحضر السلطان مملوكا انّهم أنه هو الذى أشاع الفتنة، فضرب ضربا مبرّحا و سمّر على جمل و شهّر، ثم سجن بخزانة شمائل، فلم يعرف له خبر بعد ذلك، و هو من المماليك الظاهرية.

ثم قبض السلطان على الأمير يلبغا أحد أمراء العشرات، و سمّر و نودى عليه: هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء. و سكنت الفتنة بعد أن كادت أن تثور. و بينما السلطان فى ذلك وصل إليه الخبر من الشام بأن منطاشا و نعير بن حيّاز جمعوا جمعا كبيرا من المماليك الأشرفية و التركمان و العربان و قصدوا النوّاب، و الأمير يلبغا الناصرىّ مقدّم العساكر، فلمّا بلغ الناصرىّ ذلك خرج بالعساكر هو و الأمير ألطنبغا الجوبانىّ نائب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵

الشام و غيره من دمشق و نزل بسلمية، و خلّفوا الأمير الكبير أيتمش البجاسى بدمشق لحفظها، فثار على أيتمش المذكور بدمشق بعد خروج العسكر منها جماعة من المماليك البيدمريّة و الطازيّة و الجنتمريّة فى طوائف من العامّة يريدون أخذ مدينة دمشق من أيتمش، فأرسل أيتمش بطاقة من قلعة دمشق إلى سلمية، يعلم الأمراء و النوّاب بذلك، فحالما سمع الناصرىّ الخبر ركب ليلا فى طائفة من عسكره و قدم دمشق و معه الأمير آلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق، و قاتل المذكورين قتالا شديدا، قتل بينهما خلائق كثيرة من العامّة و الأتراك، حتى انتصر الناصرىّ و قبض على جماعة منهم و وسّطهم تحت قلعة دمشق، و قبض أيضا على جماعة كثيرة فقطع أيديهم و هم: نحو سبعمائة رجل، قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ- سامحه اللّه- و حبس جماعة أخر. ثم عاد الناصرى إلى سلمية بعد

أن مهّد أمر الشام و اجتمع مع أصحابه النوّاب، فذكروا له أنّ منطاشا فرّق أصحابه ثلاث فرق، فأشار عليهم الناصرىّ بأنه أيضا يفرّق أصحابه و عساكره، فتفرّقوا هم أيضا ثلاث فرق: الناصرىّ فرقة، و الجوبانىّ فرقة، و قرادمرداش نائب طرابلس فرقة.

فأما الناصرىّ، فإنه تولّى قتال نعير بن حيّار، فحاربه و كسره أقبح كسرة، و قتل جمعا كبيرا من عربانه؛ على أن نعيرا كان من أصحاب الناصرىّ قبل ذلك، و ممن خرج على منطاش غضبا للناصرىّ، و ركب الناصرىّ قفا نعير إلى منازله.

و أما الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ نائب طرابلس فانتدب لقتال منطاش، فإنه كان بينهما عداوة قديمة، فتواقعا و تقاتلا قتالا شديدا، برز فيه كلّ من منطاش و قرا دمرداش لصاحبه، و ضرب كلّ مهما الآخر بسيفه، فجاءت ضربة منطاش

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶

فى يد قرا دمرداش، فقلعت عدّة أصابع من أصابعه، و جاءت ضربة قرا دمرداش فى كتف منطاش فحلّته، هذا و الحوبانىّ فى القلب واقف بعساكره، فخامرت جماعة من الأشرفية من خجداشية منطاش و جاءت إليه، و صارت من عسكره، و كان حضر إلى الجوبانىّ قبل ذلك جماعة أخر من المماليك الأشرفية، فأحسن إليهم ألطنبغا الجوبانىّ و قرّبهم و جعلهم من خواصّ عسكره، فاتفقوا مع بعض مماليك الجوبانىّ على قتل الجوبانىّ، فلما كان وقت الوقعة، و قد التحم القتال بين الناصرىّ و نعير و بين قرا دمرداش و منطاش وثبوا عليه من خلفه و قتلوه بالسيوف، ثم قبضوا على الأمير مأمور القلمطاوىّ نائب حماة و وسّطوه، ثم قتلوا الأمير آقبغا الجوهرىّ و الثلاثة من عظماء المماليك اليلبغاوية خجداشية الملك الظاهر برقوق و أكابر أمرائه، ثم قتلوا عدّة أمراء أخر من اليلبغاوية و كانت هذه الوقعة من أعظم الملاحم، قتل فيها من الفريقين عالم لا يحصى كثرة و انتهبت العربان و التركمان و العشير ما كان مع العسكرين، و قدم البريد بذلك على السلطان، فشقّ عليه قتل الأمراء إلى الغاية، و أخبر البريد أيضا أنّ منطاش لمّا انكسر من قرا دمرداش و هو مجروح أشيع موته، فأقام الأشرفية عوضه عليهم خجداشهم الأمير ألطنبغا الأشرفىّ، فلما حضر منطاش من الغد غضب من ذلك و أراد قتل ألطنبغا الأشرفىّ فلم تمكّنه الأشرفية من ذلك.

و أما يلبغا الناصرىّ فإنه لما رجع من محاربة نعير و وجد الأمير ألطنبغا الجوبانى قد قتل، جمع العساكر و عاد إلى دمشق و أقام به يومين حتى أصلح أمره، ثم خرج من دمشق بجميع العساكر و أغار على آل علىّ، فوسّط منهم جماعة كبيرة نحو مائتى نفس و نهب بيوتهم و كثيرا من جمالهم، و عاد إلى دمشق و كتب للسلطان أيضا بذلك،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷

فكتب السلطان للناصرىّ الجواب بالشكر و الثناء و التأسف على الأمير ألطنبغا الجوبانىّ و غيره و أرسل إليه الأمير أبا يزيد بن مراد بالتقليد و التشريف بنيابة الشام عوضا عن ألطنبغا الجوبانىّ و مبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر.

قلت: و أبو يزيد هذا هو الذى كان اختفى عنده الملك الظاهر برقوق لمّا خلع نفسه عند حضور الناصرىّ و منطاش إلى الديار المصرية.

ثم فى يوم الخميس أوّل ذى الحجة من سنة اثنتين و تسعين المذكورة، رسم السلطان للأمير قرا دمرداش الأحمدىّ نائب طرابلس باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن الأمير كمشبغا الحموىّ بحكم عزله و قدومه إلى القاهرة و جهّز إليه التقليد و التشريف على يد الأمير تنبك المعروف بتنم الحسنىّ الظاهرىّ.

ثم فى خامس ذى الحجّة استقرّ السلطان بالأمير إينال من خجا أتابك حلب باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قرا دمرداش المنتقل لنيابة حلب، و استقرّ الأمير آقبغا الجمالىّ الظاهرىّ أتابك حلب عوضا عن إينال المذكور و استقر الأمير محمد بن سلّار حاجب حجّاب حلب و كتب لسولى بن دلغادر بنيابة أبلستين.

ثم فى يوم عيد النحر خرج الأمير بيليك المحمدىّ لإحضار الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ نائب حلب، ثم أرسل السلطان الملك الظاهر الأمير تمربغا المنجكىّ بمال كبير ينفقه فى العساكر الشاميّة و يجهّزهم إلى عينتاب لقتال منطاش.

ثم فی سادس محرّم سنة ثلاث و تسعین و سبعمائة ورد الخبر من دمشق بأن الأمیر یلبغا الناصریّ تنافس هو و الأمیر الکبیر أیتمش البجاسیّ فأضمر الناصریّ الخروج

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸

عن الطاعة و لبس السلاح و ألبس حاشیته و نادی بدمشق من کان من جهة منطاش فلیحضر، فصار إلیه نحو ألف و مائتی فارس من المنطاشیّة، فقبض علی الجمیع و سجنهم، ثم قلع السلاح و کتب بذلک إلی السلطان یعرّفه، فأجابه السلطان بالشکر و الثناء.

ثم فی ثانی صفر رسم السلطان بهدم سلالم مدرسة السلطان حسن فهدمت و فتح بابها من شباک بالرّمیلة تجاه باب السلسلة.

ثم قدم الأمیر کمشبغا الحمویّ نائب حلب إلی القاهرة فی سابع صفر، بعد أن خرج الأمیر سودون النائب مع أعیان الأمراء و الحجّاب إلی لقائه و طلع إلی القلعة و قبّل الأرض، فقام له السلطان و اعتنقه و أجلسه فی المیمنة فوق الأمیر الکبیر إینال الیوسفیّ و نزل إلی دار أعدّت له، و بعث له السلطان ثلاثة أرؤس من الخیل بقماش ذهب و حضر مع کمشبغا أیضا الأمیر حسام الدین حسن الکجکنیّ نائب الکرک و کان قد انهزم مع کمشبغا نائب حلب من یوم وقعة شقحب، فرحّب السلطان به أیضا و أکرمه و أرسل إلیه فرسا بقماش ذهب و قدم معهما أیضا عدّة أمراء أخر.

ثم قدم البرید فی أثناء ذلک بأن العساکر الشامیة وصلت إلی مدینة عینتاب ففرّ منطاش إلی جهة مرعش و فرّ من عنده جماعة کبیرة و دخلوا تحت طاعة السلطان.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹

ثم أحضر السلطان الأمیر حسام الدین حسن بن باکیش نائب غزّة من السجن و ضربه بالمقارع و أحضر أیضا آقبغا المارداینیّ نائب الوجه القبلی و ضربه علی أکتافه و أمر والی القاهرة بتخلیص حقوق الناس منه و استقرّ عوضه فی کشف الوجه القبلیّ الأمیر یلبغا الأحمدیّ المجنون أحد المماليک الظاهریة.

ثم فی تاسع عشرینه أحضر السلطان القاضی شهاب الدین أحمد بن الجبّال الحنبلیّ قاضی طرابلس فضرب بین یدیه عدّة عصیّ بسبب قیامه مع منطاش.

ثم أنعم السلطان علی الأمیر حسام الدین الکجکنی نائب الکرک کان بإقطاع أرغون العثمانیّ البجمقدار نائب الإسکندریة و الإقطاع تقدمة ألف بالقاهرة.

ثم خرج البرید من مصر بإحضار الأمیر أیتمش البجاسیّ من دمشق و کان بها من یوم قبض علیه الناصریّ فی واقعة الناصریّ و منطاش مع الملک الظّاهر برقوق و حبس بقلعة دمشق إلی أن أطلق بعد خروج منطاش من دمشق و استمرّ بدمشق لمصالح الملک الظاهر حتی طلب فی هذا التاریخ و خرج بطلبه الأمیر قنق بای الأحمدیّ رأس نوبة، فقدم فی یوم الاثنین رابع جمادی الأولی علی البرید، فتلقّاه الأمیر سودون النائب و الحجّاب و قدم مع أیتمش المذکور عدّة أمراء، منهم:

آلابغا العثمانیّ حاجب حجّاب دمشق و الأمیر أیتمش المذکور و الأمیر جنتمر أخو طاز نائب دمشق کان و أمیر ملک ابن أخت جنتمر و دمرداش الیوسفیّ و ألطنبغا الحلبیّ و کثیر من المماليک السلطانیة و جماعة أخر و الجمیع فی الحدید علی ما یأتی ذکرهم، ما خلا المماليک الظاهریّة و طلع الأمیر أیتمش إلی السلطان و قبّل الأرض فأکرمه السلطان و أجلسه فی المیسرة تحت الأمیر سودون النائب و کانت منزلته فی المیمنة، فإنّه کان أتابک العساکر بالدیار المصریة قبل توجّهه إلی قتال الناصریّ، لکنه لمّا حضر الآن کان بطّالا و کان الأتابک یومئذ الأمیر إینال

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰

الیوسفیّ الیلبغاویّ، علی أنه یجلس تحت الأمیر الکبیر کمشبغا الحمویّ نائب حلب کان، فلو جلس الأمیر أیتمش الآن فی المیمنة لجلس ثالثا، فإنّه لا یمکنه الجلوس، فوقف إینال کونه متولّیا أتابک العساکر و أیتمش الآن منفصل، فرسم له السلطان أن یجلس فی

الميسرة و لم يجسر أن يأمره بالجلوس فوقه لكبر سنّه و قدمته، فجلس تحته.

قلت: و هذا شأن الدنيا، الرفع و الخفض، ثم أحضر السلطان الأمراء القادمين صحبة الأمير الكبير أيتمش و عدّتهم ستة و ثلاثون أميرا و معهم أيضا قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن عمر القرشىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق و القاضى فتح الدين محمد بن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن الشهيد كاتب سرّ دمشق و ابن شكر ناظر جيش دمشق و الجميع فى القيود، فونّج السلطان ألطنبغا الحلبىّ و جنتمر نائب الشام و ابن القرشىّ و أطال الحديث معهم و كانوا قابلوه فى محاربته لدمشق بأشياء قبيحة إلى الغاية و أفحشوا فى أمره إفحاشا زائدا، بحيث إنّ القاضى شهاب الدين القرشىّ المذكور كان يقف على سور دمشق و ينادى: إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة و كان يجمع عوامّ دمشق و يحرّضهم على قتاله و يرمى الملك الظاهر بعظائم فى دينه و يختلق عليه ما ليس هو فيه.

ثم أمر بهم الملك الظاهر فسجنوا و أسلم ابن شكر لشادّ الدواوين، فعصره و الزمه بحمل ستة آلاف دينار ثم أفرج عنه. و لما نزل الأمير أيتمش إلى داره بعث إليه السلطان بأشياء كثيرة من الخيل و الجمال و القماش و المماليك، ثم قبض السلطان على أسندمر و إسماعيل التّركمانىّ و كزل القرمىّ و آقبغا البجاسىّ و سربغا و سلّمهم إلى والى القاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱

ثم قبض السلطان أيضا على أحد عشر أميرا و هم: قطلوبغا الطّشتمرىّ الحاجب و طقطاى الطّشتمرىّ الطواشى الرومىّ و آلابغا الطشتمرىّ و قرابغا السيفىّ و آقبغا السيفىّ و بيبغا السيفىّ و طيبغا السيفىّ و محمد بن بيدمر أتابك دمشق و خير بك الخوارزمىّ و منجك الزّينىّ و أرغون شاه السيفىّ و حبسهم و رسم بتسمير أسندمر الشّرفىّ رأس نوبة و آقبغا الظّريف البجاسىّ و إسماعيل التّركمانىّ و كزل القرمىّ و سربغا، فسمّروا و شهّروا بالقاهرة. ثم وسّطوا بالكوم و هذا شىء لم يفعله ملك قبله بأمير، ففعل ذلك لما كان فى نفسه منهم.

ثم أحضر السلطان الأمير ألطنبغا الحلبىّ و ألطنبغا أستادار جنتمر إلى مجلس قاضى القضاة شمس الدين الرّكراكىّ المالكىّ و ادّعى عليهما بما يقتضى القتل فسجنهما القاضى بخزانة شمائل مقيّدين.

ثم قبض السلطان على الأمير سنجق الحسنىّ نائب طرابلس كان، ثم شكا رجل القاضى شهاب الدين القرشىّ إلى السلطان فأحضره السلطان من السجن و ادّعى عليه غريمه بمال له فى قبله و بدعاوى شنيعة، فأمر به السلطان فضرب بالمقارع و سلّم إلى والى القاهرة ليخلّص منه مال المدّعى عليه، فضربه الوالى و أهانه و عصره مرارا ثم سجنه بخزانة شمائل.

ثم وقف شخص و ادّعى أن أمير ملك ابن أخت جنتمر أخذ له ستمائة ألف درهم و أغرى به منطاش، حتّى ضربه بالمقارع، فأحضره السلطان حتّى سمع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲

الدّعوى. ثم أمر به فضرب بالمقارع ضربا مبرّحا و سلّمه إلى والى القاهرة، فمات بعد ثلاثة أيام تحت العقوبة.

ثم قبض السلطان على مماليك الأمير بركة الجوبانىّ و المماليك الذين خدموا عند منطاش و تتبعوا من الأماكن، ثم ضرب والى القاهرة القاضى شهاب الدين أحمد القرشى نحو مائتى شيب.

ثم قدم البريد من الشام بأن منطاشا فى أوّل شهر رجب قدم دمشق و كان من خبر منطاش أنّ الناصرىّ لمّا كان بدمشق ورد عليه الخبر بمجىء منطاش إليه فخرج من وقته بعساكره يريد لقاءه على حين غفلة و مرّ من طريق الزّبدانىّ، فبادر أحمد بن شكر بجماعة البيدمرية و دخل دمشق من باب كيسان و نهب إسطبل الناصرىّ و إسطبلات أمراء دمشق و خرج يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الآخرة من دمشق ليلحق منطاش، فدخل منطاش من صبيحة اليوم و هو يوم الاثنين أوّل رجب إلى دمشق من طريق آخر و نزل بالقصر الأبلق و نزل جماعته حوله، فعاد ابن شكر فى إثره إلى دمشق و أحضر إليه الخيول التى أخذها و هى نحو ثمانمائة فرس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳

و كان منطاش لمّا خرج من عنـد نعير يريد دمشق، سار إلى مرعش على العمق حتى قدم على حماة فطرق نائبها بغتة فانهزم نائب حماة إلى نحو طرابلس من غير قتال، فدخل منطاش حماة و لم تحدث بها مظلمة.

ثم توجّه منهـا إلى حمص ففرّ منهـا أيضا نائبها إلى دمشق و معه نائب بعلبك و اجتمعا بالناصـرىّ و عرّفاه الخبر، فخرج الناصـرىّ على الفور- كما قدمنا ذكره- من طريق و جاء منطاش من طريق آخر. انتهى.

ثم إن منطاشا لما أقام بالقصـر الأبلق نـدب أحمـد بن شـكر المذكور ليدخل إلى مدينة دمشق و يأخذ من أسواقها المال، فبينما هو فى ذلـك إذ قـدم الناصـرى بعسـاكره فاقتتلا- قتالا عظيما دام بينهم أياما إلى أواخر الشـهر، و قتل كثير من الفريقين و الأكثر ممن كان مع منطاش و فرّ عن منطاش معظم التركمان الـذين قدموا معه شـيئا بعد شـىء، و صار منطاش محصورا بالقصـر الأبلق و القتال عمّال بينهم فى كل يوم، حتى وجـد منطاش له فرصـة، ففرّ إلى جهـة التركمان و تبعه عساكر دمشق فلم يدركه أحد، فعظم هذا الخبر على الملك الظاهر برقوق إلى الغاية و اتّهم الناس الناصرىّ بالتراخى فى قتال منطاش.

ثم إن الملـك الظاهر خلع على الأمير قطلوبغا الصوىّ باسـتقراره حاجب الحجّاب بـديار مصـر و على الأمير بتخاص باسـتقراره حاجب ميسرة و على الأمير قديد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴

باستقراره حاجبا ثالثا بإمرة طبلخاناه و على الأمير على باشاه باستقراره حاجبا رابعا و خلع على الأمير يلبغا الأشقر الأمير آخور باستقراره فى نيابة غزة عوضا عن آقبغا الصـغير بحكم طلبه إلى القاهرة و على ناصـر الدين محمد بن شهرى فى نيابة ملطية ثم خلع السلطان على الأـمير أرغون شاه الإبراهيمىّ الظاهرىّ الخازنـدار، باسـتقراره حاجب حجاب دمشق عوضا عن آلابغا العثمانىّ و اسـتقر آلابغا العثمانى المذكور فى نيابة حماة.

قلت: و كلّ من نـذكره من هذا الوقت و ننعته بالظاهرىّ فهو منسوب إلى الملك الظاهر برقوق و لا حاجة للتعريف بعد ذلك. ثم أنعم السـلطان على كلّ من قاسم ابن الأمير الكبير كمشـبغا الحموىّ و لاجين الناصرىّ و سودون العثمانىّ النظامىّ و أرغون شاه الآقبغاوىّ و سـودون من باشـاه الطغـاى تمرىّ و شـكربای العثمـانى الظـاهرىّ و قجـق القرمشـىّ الظـاهرىّ بـإمرة طبلخانـاه و على كـل من قطلـوبغا الطّقتمشىّ و عبد اللّه أمير زاه ابن ملك الكرج و كزل الناصرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵

و علّان اليحياوىّ الظاهرىّ و كمشبغا الإسماعيلىّ الظاهرىّ و قلمطاى العثمانىّ الظاهرىّ بإمرة عشرة.

ثم فى تاسع شـهر رجب ضـرب القاضـى شـهاب الدين القرشـىّ قاضـى قضاة دمشق بخزانة شمائل، حتى مات تحت العقوبة من ليلته و أخرج على وقف الطّرحى.

ثم فى خـامس عشـر رجب اجتمع القضـاة و الأمير بتخاص الحاجب بالمدرسـة الصالحيـة بين القصـرين و أحضـر الأمير ألطنبغا دوادار جنتمر و أوقف تحت الشّباك عند خيمة الغلمان على الطريق و ادّعى عليه بما اقتضـى إراقة دمه و شـهد عليه و ضـربت رقبته، ثم فعل بالأمير ألطنبغا الحلبىّ مثله و حملت رءوسهما على رمحين و نودى عليهما بشوارع القاهرة.

ثم رسم السـلطان فى أوّل شـعبان بخروج تجريدة من الأمراء إلى الشام لتكون معاونة للناصـرىّ على قتال منطاش، فأخذ من عيّن للسفر فى التجهيز، ثم أشيع سفر السلطان بنفسه و أخذ أرباب الدولة فى إصلاح أمر السفر.

ثم فى خامس شـعبان قتل السـلطان الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة كان، و سـببه أنّه لمّا عوقب و اسـتمرّ محبوسا بخزانة شمائل جمع ولده كثيرا من العشير و نهب الرملة و قتل كثيرا من الناس، فلما بلغ السلطان ذلك أمر بقتله فقتل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶

ثم ضرب السلطان الأمير حسام الدين حسين بن علىّ الكورانىّ فى سجنه بخزانة شمائل بالمقارع ضربا مبرّحا.

ثم فى عاشر شعبان علّق السلطان جاليش السفر إلى بلاد الشام فتحقّق كلّ أحد عند ذلك بسفر السلطان و أصبح من الغد و هو يوم حادى عشر شعبان تسلّم الأمير علاء الدين علىّ بن الطّبلاوىّ والى القاهرة الأمير صراى تمر دوادار منطاش الذى كان والى الغيبة بديار مصر و كان سكن بباب السلسلة و الأمير تكا الأشرفىّ و دمرداش القشتمرىّ و دمرداش اليوسفى و عليّا الجركتمرىّ، فقتلوا جميعا إلّا عليّا الجركتمرىّ فإنّه عصر و عوقب، ثم قتل بعد ذلك مع الأمير قطلوبغا النظامىّ نائب صفد.

ثم فى ثانى عشره عرض السلطان المحابيس من المنطاشية فأفرد [منهم] جماعة كبيرة للقتل فقتلوا فى ليلة الأحد ثالث عشره، منهم الأمير جنتمر أخو طاز نائب الشام و الأمير ألطنبغا الجربغاوىّ و الطواشى طقطاى الطّشتمرىّ الرومىّ و القاضى فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سر دمشق، ضربت أعناقهم بالصحراء.

ثم خلع السلطان فى يوم خامس عشر شعبان على القاضى جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ و أعيد إلى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية و صرف قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل و نزل فى موكب جليل و كتب له فى توقيعه الجناب العالى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷

كما كتب للقاضى عماد الدين أحمد الكركىّ و كان سبب كتابة ذلك لعماد الدين إيادى سلفت له على الملك الظاهر برقوق فى أيام حبسه فى الكرك و أيضا اعتنى به أخوه القاضى علاء الدين على الكركىّ كاتب السر الشريف و هو أوّل من كتب له: الجناب العالى من المتعمّمين و ما كان يكتب ذلك إلا للوزير بديار مصر فقط و كان يكتب للقضاة بالمجلس العالى.

ثم فى ثامن عشر شعبان المذكور قبض السلطان على عدّة من الأمراء فسجنوا بالقلعة، فكان ذلك آخر العهد بهم.

و فيه عيّن السلطان لنيابة الغيبة الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ و رسم للأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ النائب أن يتحوّل إلى قلعة الجبل، فتحوّل إليها هو و الأمير بجاس النّوروزىّ و رسم السلطان بأن يقيم بالقلعة أيضا ستمائة مملوك و أميرهم تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرىّ رأس نوبة، أعنى: (الوالد) و الأمير الطواشى صواب السعدىّ شنكل مقدّم المماليك السلطانية و تعيّن للإقامة بالقاهرة من الأمراء الأمير قطلوبغا الصّفوى حاجب الحجّاب و الأمير بتخاص السّودونىّ الحاجب الثانى و الأمير قديد القلمطاوىّ الحاجب الثالث و أحد أمراء الطبلخاناه و الأمير طغاى تمر باشاه الحاجب و قرابغا الحاجب فى عدة من الأمراء العشرات.

و رسم للشيخ سراج الدين عمر البلقينىّ و قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء و هو غير قاض و القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه [العمرى] المعزول عن كتابة السرّ و قضاة العسكر و مفتى دار العدل بالسفر صحبة السلطان من جملة القضاة الأربعة فتجهّزوا لذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸

و نزل السلطان بعد صلاة الظهر فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شعبان المذكور من قلعة الجبل و توجّه حتى نزل بالرّيدانية خارج القاهرة و أقام به، ثم طلب من الغد سائر المسجونين بخزانة شمائل إلى الريدانية، فحضروا و عرضوا على السلطان، فأفرد منهم سبعة و ثلاثين رجلا، فأمر بثلاثة منهم فغرّقوا فى النيل: و هم محمد بن الحسام أستادار أرغون أسكى و أحمد بن النقوعىّ و مقبل الصّفوى و سمّر منهم سبعة و هم: شيخ الكريمى و أسندمر نائب قلعة الجبل و ثلاثة من أمراء الشام و اثنان من التّركمان، ثمّ وسّطوا، ثمّ قتل من بقى منهم فى السجن.

ثمّ فى رابع عشر منه استقر ناصر الدين محمد بن كلبك شاد الدواوين، و أنعم على الأمير أبى بكر بن سنقر الجمالى بإمرة طبلخاناه و رسم له بإمرة الحاج.

ثم رحل السلطان الملك الظاهر بعساكره من الريدانية فى سادس عشرين شعبان سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة و بعد سفر السلطان من الرّيدانيّة قتل والى القاهرة اثنى عشر أميرا من الأمراء المسجونين بالقاهرة فى ليلة الثلاثاء، و هم:

أرغون شاه السّيفى و آلابغا الطشتمرىّ و آقبغا السيفى و بزلار الخليلىّ و آخرون.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹

ثمّ فی لیلة الأربعاء سلخه قتل الأمیر صنجق الحسنی نائب حماة، ثمّ طرابلس و قرابغا السیفیّ و منصور حاجب غزّة و أظنّ هؤلاء هم تمام السبعة و الثلاثین نفرا الذین عرضهم السلطان بالریدانیة. و اللّه أعلم.

ثمّ استقل السلطان بالمسیر إلی نحو البلاد الشامیة حتی دخل دمشق فی یوم الخمیس ثانی عشرین شهر رمضان و قد زیّنت له دمشق و خرج الأمیر یلبغا الناصری نائب الشام إلی لقائه بمنزلة اللّجون، فکان لدخوله إلی دمشق یوم مشهود و حمل الناصریّ علی رأسه القبّة و الطیر و عند دخول السلطان إلی دمشق نادی فیها بالأمان لأهل دمشق، فإنهم کانوا قاموا مع منطاش قیاما عظیما و أفحشوا فی أمر الملک الظاهر و قتاله.

ثم فی یوم ثالث عشرین شهر رمضان صلّی السلطان صلاة الجمعة بجامع دمشق و عند ما فرغ السلطان من الصلاة نادی الجاویش فی الناس بالأمان، و الماضی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰

لا یعاد، و نحن من الیوم تعارفنا، فضجّ الناس بالدعاء للسلطان و خرجوا من بیوتهم إلی معایشهم و حوانیتهم و أمنوا بعد أن کانوا فی وجل و خوف و هم مترقّبون ما یحلّ بهم منه، لما وقع منهم فی حقّه فی السنة الماضیة لمّا حضر منطاش و مبالغتهم فی سبّه و لعنه و استمرارهم علی قتاله.

و أمّا الأمیر کمشبغا نائب الغیبة فإنه عمل النیابة علی أعظم حرمة، حتی إنّه نادی فی تاسع عشرین شهر رمضان بمنع النساء فی یوم العید إلی التّرب، و من خرجت وسّیطت هی و المکاری و ألّا یرکب أحد فی مرکب للتفرّج و أشیاء کثیرة من هذا النّموذج، فلم یجسر أحد علی مخالفته.

ثم نادی ألّا تلبس امرأة قمیصا واسع الأکمام و لا یزید تفصیل القمیص علی أکثر من أربعة عشر ذراعا، و کان النساء بالغن فی سعة القمصان حتی کان یفصّل القمیص الواحد من اثنین و سبعین ذراعا من القماش، فمشی ذلک و فصّلوا قمصانا سمّوها کمشبغاویّة. و رأیت أنا القمصان الکمشبغاویّة المذکورة، و کان أکمامها مثل أکمام قمصان العربان.

و أمّا السلطان الملک الظاهر برقوق فإنّه أقام بدمشق إلی ثانی شوّال و خرج منه یرید مدینة حلب، فسار بعساکره حتی وصلها فی ثانی عشرین شوّال، بعد أن أقام بمدینة حمص و حماة أیّاما کثیرة و أعاد السلطان القاضی بدر الدین محمد بن فضل اللّه إلی کتابة السّرّ لضعف القاضی علاء الدین الکرکیّ و عندما دخل السلطان إلی حلب ورد علیه الخبر أن سالما الدّوکاریّ قبض علی الأمیر منطاش و أنّ صاحب ماردین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱

قبض أیضا علی جماعة من المنطاشیة، فسّر السلطان بذلک و بعث بالأمیر قرا الأحمدیّ نائب حلب فی عساکر حلب لإحضار منطاش من عند سالم الدّوکاریّ، فسار قرا دمرداش حتی وصل إلی سالم الدوکاریّ و أقام عنده أربعة أیام یطالبه بتسلیم منطاش و هو یماطله، فحنق منه قرا دمرداش و رکب بمن معه من العساکر و نهب بیوته و قتل عدّة من أصحابه و فرّ سالم بمنطاش إلی سنجار، و امتنع بها و فی عقب ذلک وصل الأمیر یلبغا الناصریّ نائب الشام إلی بیوت سالم الدّوکاریّ قرا دمرداش ما وقع منه فی حقّ سالم و أغلظ له فی القول و هم أن یضربه بالسیف، فدخل بعض الأمراء بینهما حتی سکّن ما به و کادت الفتنة أن تقوم بینهما و یعود الأمر علی ما کان علیه أوّلا.

و أما الأمیر الکبیر إینال الیوسفیّ فإنّه وجّه السلطان إلی صاحب ماردین، فسار إلی رأس عین و تسلّم منه الجماعة المقبوض علیهم من المنطاشیة و عاد بهم إلی السلطان و کبیرهم الأمیر قشتمر الأشرفیّ و بکتاب صاحب ماردین و هو یعتذر فیه و یعد بتحصیل غریم السلطان، فکتب له الجواب بالشکر و الثناء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲

و أما السلطان لمّا بلغه ما جرى بين يلبغا الناصرىّ نائب الشام و بين قرا دمرداش الأحمدىّ نائب حلب و عودهما من غير طائل، غلب على ظنه صحة ما نقل عن يلبغا الناصرىّ قبل تاريخه أنّ قصده مطاولة الأمر بين الملك الظاهر و بين منطاش و أن منطاش لم يحضر إلى دمشق فيما مضى إلّا بمكاتبته له بقدومه و أنه طاوله فى القتال، (أعنى: لمّا كان نزل منطاش بالقصر الأبلق بميدان دمشق) و لو شاء الناصرىّ لكان أخذه فى أقلّ من ذلك و أنّ رسل الناصرىّ كانت ترد على منطاش فى كلّ ليلة بما يأمره به و أنّ سالما الدوكارىّ لم يدخل بمنطاش إلى سنجار إلّا بمكاتبته و قوى عند الملك الظاهر برقوق و تحرّكت عنده تلك الكمائن القديمة من خروجه عليه و خلعه من الملك و حبسه بالكرك و كلّ ما هو فيه إلى الآن من الشرور و الفتن، فالناصرىّ هو السبب فيها و سكت حتى قدم الناصرىّ إلى حلب، فقبض عليه و على الأمير شهاب الدين أحمد بن المهمندار نائب حماة و على الأمير كشلى أمير آخور الناصرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۳

و الشيخ حسن رأس نوبته و سجن الجميع بقلعة حلب، ثم قتلهم من ليلته بقلعة حلب.

و كان الناصرىّ من أجلّ الأمراء و من أكابر مماليك الأتابك يلبغا العمرىّ، و قد تقدّم من أمره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق الأولى و فى ترجمة الملك المنصور حاجىّ و ما وقع له مع منطاش و غيره ما يغنى عن التعريف به هنا ثانيا.

قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ الحنفىّ فى تاريخه فى حق يلبغا الناصرىّ المذكور: و كان من ابتداء إنشائه من أيام الملك الناصر حسن إلى آخر عمره على فتنة و سوء رأى و تدبير و شؤم؛ حتى قيل: إنه ما كان مع قوم فى أمر من الأمور إلّا و قد حصل لهم العكس و شوهد ذلك منه، كان مع أستاذه يلبغا الخاصّكىّ العمرىّ فانكسر، ثم أسندمر الناصرىّ فغلب و انقهر، ثم مع الأشرف شعبان بن حسين فقتل، ثم مع الأمير بركة فخذل، انتهى كلام العينىّ.

قلت: نصرته على الملك الظاهر برقوق و أحده مملكة الديار المصريّة و حبسه للملك الظاهر برقوق بالكرك بكلّ ما قاله العينىّ، و قد فات العينىّ أيضا كسرة الناصرىّ من منطاش بباب السلسلة و حبس منطاش له، لأنّ قضيته مع منطاش كانت أعظم شاهد للعينىّ فيما رماه به من الشؤم. انتهى.

ثم عزل الملك الظاهر الأمير قرا دمرداش عن نيابة حلب، و أنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصريّة، عوضا عن الأمير بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ الدوادار الكبير بحكم انتقال بطا إلى نيابة الشام عوضا عن الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ المقدّم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۴

ذكره، و خلع السلطان على بطا المذكور، و على جلبان الكمشبغاوى الظاهرىّ رأس نوبة النّوب المعروف بقرا سقل باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن قرا دمرداش الأحمدىّ فى يوم واحد، و هما أوّل من ترقّى من مماليك الملك الظاهر إلى الرّتب و ولى الأعمال الجليلة.

ثم خلع الملك الظاهر على الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى باستقراره فى نيابة طرابلس، و أخلع على الأمير دمرداش المحمدىّ الظاهرى بنيابة حماة، و خلع على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن بطا المنتقل إلى نيابة الشام، و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، لما لأبى يزيد المذكور على السلطان من الإيادى عند ما اختفى عنده فى محنة الناصرىّ و منطاش.

ثم أنعم السلطان على الأمير تنبك اليحياوىّ الظاهرىّ بإقطاع جلبان قرا سقل المنتقل إلى نيابة حلب.

ثم خرج السلطان من حلب فى يوم الاثنين أوّل ذى الحجّة عائدا إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشرين ذى الحجّة، و قتل بها يوم دخوله الأمير آلابغا العثمانى الدوادار الكبير كان، و الأمير سودون باق أحد مقدّمى الألوف أيضا، و سمّر ثلاثة عشر أميرا منهم الأمير أحمد بن بيدمر أتابك دمشق، و أحمد بن أمير علىّ المارديىّ أحد مقدّمى الألوف بدمشق، و يلبغا العلائىّ، و قنق باى السّيفىّ، نائب ملطية، و كمشبغا السيفى نائب بعلبكّ، و غريب الخاصّكى أحد أمراء الطبلخاناه بمصر، و قرا بغا العمرى و جماعة أخر و وسّطوا الجميع، و

أقام السلطان بدمشق، و أهلها على تخوّف عظيم منه إلى أن خرج منها فى العشر الأخير من ذى الحجّة سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة عائدا إلى الديار المصرية، فسار بعساكره حتى دخل مدينة غزّة فى يوم الجمعة ثالث محرّم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۵

سنة أربع و تسعين و سبعمائة، فعند ذلك نودى بالقاهرة بالزّينة لقدومه، فزيّنت أعظم زينة إلى يوم ثالث عشر المحرّم، فقدم البريد من السلطان إلى مصر بالخروج إلى ملاقاته إلى بلبيس، فخرج الأمير كمشبغا الحموىّ نائب الغيبة، و معه الأمير سودون الشيخونىّ النائب، و بقية الأمراء، و ساروا حتى وافوا السلطان بمدينة بلبيس، فقبّلوا الأرض بين يديه و عادوا فى ركابه حتى نزل السلطان بالعكرشة، و أقام بها إلى ليلة الجمعة، ثم رحل فى صبيحة الجمعة سابع عشر المحرّم، فخرج من القاهرة سائر الطوائف إلى لقائه و مشوا فى خدمته، و قد اصطفّت الناس لرؤيته إلى أن طلع إلى القلعة يوم الجمعة المذكور فى موكب جليل إلى الغاية، و كان لطلوعه يوم مشهود.

و لمّا طلع إلى القلعة جلس بالقصر و خلع على الأمراء و أرباب الوظائف.

ثم قام و دخل إلى الدور السلطانية، فاستقبله المغانى و التهانى و فرشت الشّقق الحرير تحت أقدامه، و نثر على رأسه الذهب و الفضّة، هذا! و قد تخلّق غالب أهل القلعة بالزّعفران.

فلم يمض بعد ذلك إلا أيام يسيرة، و قدم البريد من دمشق فى يوم خامس عشرينه بسيف الأمير بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ نائب الشام، و بطا هذا! هو الذى خرج من سجن القلعة و ملك باب السلسلة فى غيبة الملك الظاهر برقوق حسب ما ذكرناه فى وقته من هذا الكتاب، و اتّهم الملك الظاهر فى موته، فخلع السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۶

فى يوم سابع عشرينه على الأمير سودون طرنطاى بنيابة دمشق، عوضا عن بطا المذكور.

ثمّ فى يوم الاثنين ثانى عشر صفر قبض السلطان على الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ المعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب و على الأمير ألطنبغا، المعلم نائب الإسكندرية و هو أيضا يلبغاوىّ، و سجنا بالبرج من القلعة، و قرا دمرداش هذا! هو الذى كان الملك الظاهر خلع عليه باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، و أنعم عليه بثلاثين ألف دينار، فأخذها قرا دمرداش و خامر عليه و توجّه إلى الناصرىّ و منطاش فأسرّ له السلطان ذلك إلى يوم قبض عليه، فذكرها للأمراء و قد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة الملك الظاهر الأولى.

ثمّ فى خامس عشرين صفر أيضا مسك السلطان الأمير قردم الحسنىّ اليلبغاوىّ رأس نوبة النوب كان و أخرج بعد أيام على إمرة عشرة بغزّة، ثم خلع السلطان على الأمير قلمطاى العثمانىّ الظّاهرىّ باستقراره أمير جاندار بعد موت قطلوبغا القشتمرىّ و خلع على ناصر الدين محمد ابن الأمير محمود الأستادار بنيابة الإسكندرية عوضا عن ألطنبغا المعلّم المقبوض عليه.

ثمّ قدم البريد من دمشق بأنّ خمسة من المماليك أتوا إلى نائب قلعة دمشق مشاة، و شهروا سيوفهم و هجموا القلعة و ملكوها و أغلقوا بابها و أخرجوا من بها من المنطاشيّة و الناصريّة و هم نحو مائة رجل و قتلوا نائب القلعة و من معه و أنّ حاجب حجّاب دمشق ركب بعسكر دمشق و قاتلهم ثلاثة أيام حتى أخذ القلعة منهم و قبض على الجميع إلا خمسة، فإنهم فرّوا فوسّط الحاجب الجميع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۷

ثمّ فى ثالث عشرين شهر ربيع الآخر رسم السلطان بقتل الأمير أيدكار العمرىّ حاجب الحجّاب كان و الأمير قراكسك و الأمير أرسلان اللّفّاف و الأمير أرغون شاه.

ثمّ فى أوّل جمادى الأولى أحضرت إلى القاهرة من الإسكندريّة عدّة رءوس من الأمراء المسجونين بها و غيرهم.

و فى تاسع عشر شهر جمادى الأولى المذكور خلع السلطان على الأمير كمشبغا الحموىّ باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير إينال اليوسفىّ اليلبغاوىّ، على أن كمشبغا كان يجلس فوق إينال المذكور.

ثمّ خلع السلطان على الأمير أيتمش البجاسىّ باستقراره رأس نوبة الأمراء و أطابكا و أنعم عليه بزيادة على إقطاعه حتى صار إقطاعه يضاهى إقطاع الأمير الكبير، لأن أيتمش المذكور كان ولى الأتابكيّة بديار مصر فى سلطنة الملك الظاهر الأولى إلى أن مسكه الناصرىّ و حبسه بقلعة دمشق و قد تقدّم ذلك.

و فى يوم الاثنين أوّل شهر رمضان خلع السلطان على الأمير كمشبغا الأشرفىّ الخاصكىّ أمير مجلس باستقراره فى نيابة دمشق بعد موت سودون طرنطاى.

قلت: هذا رابع نائب ولى دمشق فى أقل من سنة: الأوّل الناصرى، و الثانى بطا، و الثالث سودون طرنطاى، و الرابع كمشبغا هذا، فلعمرى! هل هذه آجال متقاربة لديهم، أم كؤوس منايا تدور عليهم.

ثم قدم البريد على السلطان بقتال عسكر حلب لمنطاش و فرار منطاش و انهزامه أمامهم حتى عدّى الفرات.

ثم أنعم السلطان فى اليوم المذكور على الوالد بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية و أنعم بطبلخانات الوالد على الأمير قلمطاى العثمانىّ الظاهرىّ، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۸

الإقطاع المنعم به على الوالد عوضا عن كمشبغا الخاصّكى المنتقل إلى نيابة الشام و أنعم السلطان بإقطاع قلمطاى على الأمير شادى خجا الظاهرىّ و الإقطاع إمرة عشرة.

ثمّ أمسك السلطان شيخ الشيوخ المعروف بالشيخ أصلم بن نظام الدين الأصبهانىّ صاحب الزاوية على الجبل تجاه باب الوزير و سلّمه لشادّ الدواوين على حمل مائتى ألف درهم، و سببه أنّ السلطان لما اختلّ أمره فى حركة الناصرىّ و منطاش و همّ بالهرب طلب أصلم المذكور، و أعطاه خمسة آلاف دينار، و واعده أنه ينزل إليه و يحتفى عنده، فلم يف له أصلم بذلك، و أخذ الذهب و غيّب، فاختفى السلطان فى بيت أبى يزيد من غير ميعاد واعده.

و فى سابع عشرين شوّال استقرّ الأمير بكلمش العلائىّ الأمير آخور أمير سلاح، و استقر الأمير تنبك اليحياوىّ الظاهرىّ أمير آخور كبيرا عوضه.

و فى ثانى عشر ذى القعدة قتل الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ نائب حلب كان، و الأمير تغاى تمر نائب سيس فى عدة أمراء أخر.

و فى ثالث محرّم سنة خمس و تسعين و سبعمائة قدم البريد على السلطان من الشام بموت الأمير كمشبغا الخاصّكى الأشرفى نائب دمشق، فاستقر السلطان بالأمير تنبك الحسنىّ الظاهرىّ المعروف بتنم أتابك دمشق فى نيابتها عوضا عن كمشبغا المذكور.

قلت: الآن طاب خاطر السلطان الملك الظاهر برقوق بنيابة تنم المذكور فإنّ الشام صار الآن بيد مملوكه، كما نيابة حلب و حماة مع جلبان و دمرداش و لمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۹

استقرّ تنم فى نيابة دمشق، رسم السلطان بنقل الأمير إياس الجرجاوىّ نائب طرابلس إلى أتابكية دمشق، عوضا عن تنم المذكور، و نقل الأمير دمرداش المحمدى الظاهرى من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس عوضه، و استقر الأمير آقبغا الصغير فى نيابة حماة عوضا عن دمرداش المذكور.

و فى أثناء ذلك قدم البريد على السلطان. يخبر بأنّ منطاشا و نعيرا أمير العرب و ابن بزدغان التّركمانىّ و ابن إينال التركمانىّ صاروا فى عسكر كثيف و حضروا به إلى سلمية فلقيهم محمد بن قارا أمير العرب على شيزر بتراكمين الطاعة، فقاتلهم و قتل ابن بزدغان و ابن إينال، و جرح منطاش و سقط عن فرسه، فلم يعرف لأنه كان حلق شاربه و رمى شعره حتى أدركه ابن نعير و أردفه خلفه و انهزم به، بعد أن قتل من الفريقين عالم كبير، و حملت رأس ابن بزدغان و ابن إينال إلى دمشق، فعلّقتا على قلعتها، ففرح السلطان بذلك، و

كتب لمحمد بن قارا بالشكر و الثناء و أرسل إليه خلعة هائلة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۰

ثمّ بعد أيام يسيرة ورد الخبر بأن نعيرا و الأمير منطاشا كبسا حماة فى عسكر كبير، فقاتلهم الأمير آقبغا الصغير نائب حماة فيما بين حماة و طرابلس و كسرهما، فلمّا بلغ الأمير جلبان الكمشبغاوى قراسقل نائب حلب ذلك ركب بعسكره و سار إلى أبيات نعير و نهبها و أخذ ما قدر عليه من المال و الخيل و الجمال و الأغنام و النساء و الأطفال، و أضرم النيران فيما بقى عندهم.

ثمّ أكمن كميا. فلما سمع نعير بما وقع عليه رجع إلى نحو بيوته بجماعته، فخرج الكمين عليه و قتل من عربانه جماعة كبيرة و أسر مثلها، و قتل فى هذه الوقعة من عسكر حلب نحو المائة فارس، و عدّة من الأمراء، فأعجب السلطان ما فعله نائب حلب، و كتب إليه بالشكر و الثناء، و أرسل إليه خلعة عظيمة و فرسا بسرج ذهب و كنبوش زركش.

ثم أخرج السلطان الأمير ألطنبغا المعلّم أمير سلاح كان، من السجن و أرسله إلى ثغر دمياط بطالا، و أفرج السلطان أيضا عن الأمير قطلوبغا السيفى حاجب الحجاب كان فى أيام منطاش و أرسله إلى الثغر المذكور.

ثم فى رابع عشر جمادى الآخرة من سنة خمس و تسعين و سبعمائة قدم البريد بموت الأمير يلبغا الإشقتمرى نائب غزة، و فى تاسع عشرين جمادى المذكورة خلع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۱

السلطان على الأمير قلمطاى العثمانىّ الظاهرىّ باستقراره دوادارا كبيرا بعد موت الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن، و خلع السلطان على الأمير ألطنبغا العثمانى الظاهرى باستقراره فى نيابة غزة عوضا عن يلبغا الأقشتمرىّ.

قلت: أدركت أنا ألطنبغا العثمانى الظاهرىّ هذا فى نيابته على دمشق فى دولة الملك المؤيّد شيخ. انتهى.

و أنعم السلطان بإقطاع ألطنبغا العثمانىّ على الأمير تمراز الناصرىّ الظاهرىّ رأس نوبة، و الإقطاع: إمرة طبلخاناه، و أنعم السلطان بإمرة تمراز المذكور على الأمير شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار، و الإقطاع إمرة عشرة.

و فى يوم الاثنين ثالث شهر رمضان من سنة خمس و تسعين المذكورة قدم البريد من حلب بالقبض على الأمير منطاش، و كان من خبره، أن الأمير جلبان نائب حلب لم يزل فى مدّة ولايته على حلب يبذل جهده فى أمر منطاش، حتى وافقه الأمير نعير على ذلك بعد أمور صدرت بينهما، و كان منطاش فى طول هذه المدّة مقيما عند نعير، فبعث جلبان شادّ شراب خاناته السيفى كمشبغا فى خمسة عشر مملوكا إلى نعير، بعد أن التزم الأمير جلبان لنعير بإعادة إمرة العرب عليه، فسار كمشبغا المذكور حتى قارب أبيات نعير، فنزل فى موضع، و بعث يأمر نعيرا بالقبض على منطاش و يعلمه بحضوره، فندب نعير أحد عبيده إليه يستدعيه، فأحس منطاش بالشر و فطن بالقصد فهمّ بالفرار، فركب فرسه و أراد التوجه إلى حال سبيله، فقبض العبد على عنان فرسه فهم منطاش بضربه، فأدركه عبد آخر و أنزلاه عن فرسه و أخذا سيفه، فتكاثروا عليه، فلما تحقّق منطاش أنه أخذ و مسك أخذ سكينا كانت معه و ضرب نفسه بها أربع ضربات أغشى عليه، و حمل و أتى به إلى عند كمشبغا المذكور و معه فرسه و أربعة جمال، فتسلمه كمشبغا و سار به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۲

إلى حلب، فدخلها فى أربعمائة فارس من عرب نعير، فكان لدخوله حلب يوم عظيم مشهود و حمل منطاش إلى قلعة حلب و سجن بها.

ثمّ كتب إلى السلطان بمسكه، فلما بلغ السلطان ذلك سرّ سرورا عظيما و أنعم على كمشبغا المذكور بخمسة آلاف درهم و خلع عليه فوقانيا بطرز ذهب مزركش و رسم السلطان إلى سائر الأمراء أن يوافوه بالخلع و دقّت البشائر لهذا الخبر بالديار المصرية و زيّنت القاهرة من الغد زينة عظيمة.

ثمّ خلع السلطان على الأمير طولو من علىّ باشاه الظاهرىّ أحد أمراء العشرات و ندبه للتوجّه إلى حلب على البريد لإحضار رأس

منطاش، بعد أن يعذّبه بأنواع العذاب ليقرّ على أمواله، فسار طولو فى خامسه إلى حلب و أحضر منطاشا و عصره و أجرى عليه أنواع العذاب ليقرّ بالمال، فلم يعترف بشىء، فذبحه بعد عذاب شديد، قيل: إنه عذّب بأنواع العذاب و الكسّارات و النار فى أطرافه، حتى لم يبق فيه عضو إلا و تكسّر و هو مصمم على أنه لا يملك شيئا، ثم قطع رأسه و حملت على رمح و طيف بها بمدينة حلب، ثمّ أخذها طولو و عاد يريد الديار المصرية، فصار كلما دخل إلى مدينة طاف بها على رمح و عمل بها كذلك فى سائر مدن الشام، حتى وصلت إلى الديار المصرية صحبة طولو المذكور فى يوم الجمعة حادى عشرين رمضان، فعلّقت على باب قلعة الجبل، ثمّ طيف بها القاهرة على رمح، ثمّ علقت على باب زويلة أياما، ثم سلمت إلى زوجته أم ولده، فدفنتها فى سادس عشرينه.

ثمّ ندب السلطان يلبغا السالمىّ الظاهرىّ إلى نعير بالخلع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۳

ثمّ فى سادس عشرينه قدم رسل الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين على السلطان تخبر بأن تيمورلنك أخذ مدينة تبريز و أرسل يستدعيه إلى عنده فاعتذر لمشاورة سلطان مصر، فلم يقبل منه تيمور ذلك و قال له: ليس لصاحب مصر بملكك حكم و أرسل إليه خلعة و سكة ينقش بها الذهب و الدنانير و قدم مع القاصد أيضا رسول صاحب بسطام، يذكر بأن تيمور قتل شاه منصور متملّك شيراز و بعث برأسه إلى بغداد و بعث بالخلع و السكة إلى السلطان أحمد بن أويس صاحب العراق، فلبس السلطان أحمد الخلعة و طاف بها فى شوارع بغداد و ضرب باسمه السكة، و كان ذلك خديعة من تيمور، حتى ملك منه بغداد فى يوم السبت حادى عشرين شوّال من سنة خمس و تسعين المذكورة.

و كان سبب أخذ تيمور بغداد أن ابن أويس المذكور كان أسرف فى قتل أمرائه و بالغ فى ظلم رعيته و انهمك فى الفجور و الفساد.

قلت فائدة: حكى بعض الحكماء أن الرجل إذا كان فيه خصلة من سبع خصال تمنعه السيادة على قومه و نظم السبعة بعضهم فقال: [الخفيف]

منع الناس أن يسود عليهم سبعة قاله ذوو التبيان

أحمق كاذب صغير فقير ظالم النفس ممسك الكفّ زان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۴

و لما وقع من السلطان أحمد ذلك كاتب أهل بغداد تيمور بعد استيلائه على مدينة تبريز يحثونه على المسير إلى بغداد، فتوجّه إليها بعساكرها حتى بلغ الدّربند و هو من بغداد مسيرة يومين، فبعث إليه أحمد بن أويس بالشيخ نور الدين الخراسانىّ فأكرمه تيمور و قال له: أنا أترك بغداد لأجلك و رحل يريد السلطانية، فبعث نور الدين كتبة بالبشارة إلى بغداد.

ثم قدم فى إثرها فاطمأن أهلها و كان تيمور قد سار يريد بغداد من طريق أخرى، فلم يشعر أحمد بن أويس و قد اطمأن إلا و تيمور نزل غربى بغداد قبل أن يصل الشيخ نور الدين فدهش عند ذلك ابن أويس و أمر بقطع الجسر و رحل من بغداد بأمواله و أولاده وقت السحر من ليلته و هى ليلة السبت المذكورة و ترك بغداد فدخلها تيمور لنك و أرسل ابنه فى إثر ابن أويس فأدركه بالحلّة و نهب ماله و سبى حريمه و أسر و قتل كثيرا من أصحابه، فنجا السلطان أحمد بن أويس بنفسه فى طائفة و هم عراة، فقصد حلب و تلاحق به من بقى من أصحابه.

ثم بعد ذلك قدم البريد على السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ ابن أويس المذكور نزل بالرحبة فى نحو ثلاثمائة فارس و قدم كتاب ابن أويس و كتاب نعير،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۵

فأجيب أحسن جواب و كتب بإكرامه و القيام بما يليق به، فلما وصل كتاب السلطان إلى نعير توجه إليه، و عندما عاين ابن أويس نزل عن فرسه و قبّل الأرض بين يديه و سار به إلى بيوته و أضافه.

ثم سيّره إلى حلب فقدمها و معه أحمد بن شكر و نحو الألفى فارس فأنزله الأمير جلبان قرا سقل نائب حلب بالميدان و قام له بما يليق به و كتب مع البريد إلى السلطان بذلك و على يد القادم أيضا كتاب السلطان أحمد بن أويس يستأذن فى القدوم إلى مصر، فجمع السلطان الأمراء للمشورة فى أمر ابن أويس، فاتفقوا على إحضاره و أن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أزدمر و معه نحو ثلاثمائة ألف درهم فضة و ألف دينار برسم النفقة على ابن أويس فى طريقه إلى مصر و توجه أزدمر المذكور فى سادس عشرينه و سار أزدمر إلى حلب و أحضر السلطان أحمد ابن أويس المذكور إلى نحو الديار المصرية، فلما قرب ابن أويس من ديار مصر أخرج السلطان عدّة من الأمراء إلى لقائه.

فلمّا كان يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر ربيع الأوّل من سنة ست و تسعين و سبعمائة، نزل السلطان الملك الظاهر من قلعة الجبل بأمرائه و عساكره إلى لقاء أحمد بن أويس و جلس بمسطبة مطعم الطير من الرّيدانية خارج القاهرة إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۶

قرب السلطان أحمد بن أويس و وقع بصره على المسطبة التى جلس عليها السلطان، فنزل عن فرسه و مشى عدّة خطوات، فتوجه إليه الأمير بتخاص حاجب الحجّاب بالديار المصرية و من بعده الأمراء للسلام على ابن أويس، فتقدّم بتخاص المذكور و سلم عليه و وقف بإزائه و صار كلما تقدّم إليه أمير ليسلّم عليه يعرّفه بتخاص باسمه و وظيفته و هم يقبّلون يده واحدا بعد واحد، حتى أقبل الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس فقال له: الأمير بتخاص هذا أمير مجلس و ابن أستاذ السلطان، فعانقه ابن أويس و لم يدعه يقبّل يده.

ثمّ جاء بعده الأمير بكلمش العلائىّ أمير سلاح فعانقه أيضا، ثمّ من بعده الأمير أيتمش البجاسىّ رأس نوبة الأمراء و أطابك فعانقه ثمّ من بعده الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ نائب السلطنة فعانقه، ثمّ الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ أتابك العساكر فعانقه و انقضى سلام الأمراء، فقام عند ذلك السلطان و نزل من على المسطبة و مشى نحو العشرين خطوة، فلمّا رأى ابن أويس مشى السلطان له هرول حتى التقيا، فأومأ أحمد بن أويس ليقبّل يد السلطان فمنعه السلطان من ذلك و عانقه.

ثمّ بكيا ساعة ثم مشيا إلى نحو المسطبة و السلطان يطيّب خاطره و يعده بكل جميل و بالعود إلى ملكه و يده فى يده حتى طلعا على المسطبة و جلسا معا على البساط من غير أن يقعد السلطان على مرتبته و تحادثا طويلا، ثمّ طلب السلطان له خلعة فقدّم قبا حرير بنفسجىّ بفرو و قاقم بطرز زركش هائلة، فألبسه الخلعة المذكورة و قدّم له فرسا من خاصّ مراكيب السلطان بسرج ذهب و كنبوش زركش و سلسلة ذهب فركبه ابن أويس من حيث يركب السلطان، ثمّ ركب السلطان بعده و سارا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۷

يتحادثان و الأمراء و العساكر سائرة على منازلهم ميمنة و ميسرة، حتى قربا من القلعة، هذا و الناس قد خرجت إلى قريب الرّيدانية و امتلأت الصحراء منهم للفرجة على موكب السلطان، حتى أدهش كثرتهم السلطان أحمد بن أويس، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة، و لما وصلا إلى قريب القلعة و أخذت العساكر تترجّل عن خيولهم على العادة، صار ابن أويس مواكبا للسلطان حتى بلغا تحت الطبلخاناه من قلعة الجبل، فأومأ إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أعدّ له على بركة الفيل، و قد جدّدت عمارته و زخرفت بالفرش و الآلات و الأوانى، فسلّم ابن أويس على السلطان، و سار إليه و جميع الأمراء فى خدمته، و طلع السلطان إلى القلعة.

فلما دخل ابن أويس إلى المنزل المذكور و معه الأمراء، مدّ الأمير جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية فى الحسن و الكثرة، فأكل السلطان أحمد و أكل الأمراء معه، ثم انصرفوا إلى منازلهم، و فى اليوم جهّز السلطان إليه مائتى ألف درهم فضة، و مائتى قطعة قماش سكندرىّ، و ثلاثة أفراس بقماش ذهب و عشرين مملوكا و عشرين جارية، فلما كان الليل قدم حريم ابن أويس و ثقله.

ثمّ فى يوم الخميس عمل السلطان الخدمة بدار العدل المعروفة بالإيوان، و طلع القان أحمد بن أويس المذكور، و عبر من باب الجسر الذى يقال له باب السرّ و جلس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۸

تجاه الإيوان حتى خرج إليه رأس نوبة و مضى به إلى القصر، فأخذه السلطان، و خرج به إلى الإيوان، و أقعده رأس الميمنة فوق الأمير كمشبغا الحموىّ أتابك العساكر، فلما قام القضاة و مدّ السماط، قام الأمراء على العادة، فقام ابن أويس أيضا معهم و وقف، فأشار إليه السلطان بالجلوس فجلس، حتى فرغ الموكب، و لما انقضت خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر و حضر خدمة القصر أيضا، ثمّ خرج الأمراء بين يديه، حتى ركب و قدّامه جاويشه و نقيب جيشه، فسار الأمراء فى خدمته إلى منزله.

ثمّ علّق السلطان جاليش السفر إلى البلاد الشامية على الطبلخاناه، فشرع الأمراء و المماليك و غيرهما فى تجهيز أحوالهم إلى السفر صحبة السلطان.

ثمّ فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور، ركب السلطان من القلعة و معه السلطان أحمد بن أويس إلى مدينة مصر و عدّى النيل إلى برّ الجيزة، و نزل بالخيام ليتصيّد، فأقام هناك ثلاثة أيام و عاد، و قد أذهل ابن أويس ما رأى من تجمّل المملكة و عظمتها من ندماء السلطان و مغانيه و ترتيبه فى مجلس موكبه و أنسه ثم فى سلخه قدم البريد من حلب بتوجّه الأمير ألطنبغا الأشرفىّ نائب الرّها كان، و هو يوم ذلك أتابك حلب، و الأمير دقماق المحمدىّ نائب ملطية بعسكريهما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۹

و موافقتهما لطلائع تيمور لنك و هزيمتهما له، بعد أن قتلا من اللّنكيّة خلقا كثيرا، و أسرا أيضا جماعة كبيرة، و عاد إلى حلب بمائة رأس من التّمريّة.

و فى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ابتدأ السلطان بنفقة المماليك، لكل مملوك مبلغ ألفى درهم و عدّتهم خمسة آلاف مملوك، فبلغت النفقة فى المماليك خاصة عشرة آلاف درهم فضة، سوى نفقة الأمراء و سوى ما حمل فى الخزائن و سوى ما تكلفه للقان أحمد بن أويس فيما مضى، و فيما يأتى ذكره.

و بينما السلطان فى ذلك قدم عليه كتاب تيمور يتضمن الإرداع و التخويف، و نصّه:

قل اللهم مالك الملك، فاطر السماوات و الأرض، عالم الغيب و الشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اعلموا أنا جند اللّه مخلوقون من سخطه، و مسلّطون على من حلّ عليه غضبه، لا نرقّ لشاك، و لا نرحم عبرة باك، قد نزع اللّه الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا و من جهتنا! قد خرّبنا البلاد، و أيتمنا الأولاد، و أظهرنا فى الأرض الفساد، و ذلّت لنا أعزّتها، و ملكنا بالشوكة أزمّتها، فإن خيّل ذلك على السامع و أشكل، و قال: إن فيه عليه مشكلا، فقل: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزّة أهلها أذلّة)، و ذلك لكثرة عددنا، و شدّة بأسنا، فخيولنا سوابق، و رماحنا خوارق، و أسنّتها بوارق، و سيوفنا صواعق، و قلوبنا كالجبال، و جيوشنا كعدد الرمال، و نحن أبطال و أقيال، و ملكنا لا يرام، و جارنا لا يضام، و عزّنا أبدا لسؤدد منقام، فمن سالمنا سلم، و من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۰

حاربنا ندم، و من تكلّم فينا بما لا يعلم جهّل. و أنتم فإن أطعتم أمرنا و قبلتم شرطنا، فلكم مالنا و عليكم ما علينا، و إن خالفتم و على بغيكم تماديتم، فلا تلوموا إلا أنفسكم، فالحصون منّا مع تشييدها لا تمنع، و المدائن بشدّتها لقتالنا لا تردّ و لا تنفع، و دعاؤكم علينا لا يستجاب فينا فلا يسمع، فكيف يسمع اللّه دعاءكم و قد أكلتم الحرام، و ظلمتم جميع الأنام، و أخذتم أموال الأيتام، و قبلتم الرشوة من الحكّام، و أعددتم لكم النار و بئس المصير: (إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا و سيصلون سعيرا) فبما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك، و قد قتلتم العلماء، و عصيتم رب الأرض و السماء، و أرقتم دم الأشراف، و هذا و اللّه هو البغى و الإسراف، فأنتم بذلك فى النار خالدون، و فى غد ينادى عليكم:

فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ، فأبشروا بالمذلّة و الهوان، يا أهل البغى و

العدوان، و قد غلب عندكم أننا كفرة، و ثبت عندنا و اللّه أنكم الكفرة الفجرة، و قد سلطنا عليكم الإله، له أمور مقدّرة، و أحكام محرّرة، فعزيزكم عندنا ذليل، و كثيركم لدينا قليل، لأننا ملكنا الأرض شرقا و غربا، و أخذنا منكم كلّ سفينة غصبا، و قد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا بردّ الجواب، قبل أن ينكشف الغطاء، و تضرم الحرب نارها، و تضع أو زارها، و تصير كلّ عين عليكم باكية، و ينادى منادى الفراق:

هل ترى لهم من باقية، و يسمعكم صارخ الفناء بعد أن يهزّكم هزا، هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً، و قد أنصفناكم إذ راسلناكم، فلا تقتلوا المرسلين، كما فعلتم بالأوّلين، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين، و تعصوا رب العالمين، وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ، و قد أوضحنا لكم الكلام، فأرسلوا بردّ الجواب و السلام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۱

فكتب جوابه بعد البسملة الشريفة: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، و حصل الوقوف على ألفاظكم الكفريّة، و نزغاتكم الشيطانية، و كتابكم يخبرنا عن الحضرة الخانيّة، و سيرة الكفرة الملائكية، و أنكم مخلوقون من سخط اللّه و مسلطون على من حلّ عليه غضب اللّه، و أنكم لا ترقّون لشاك، و لا ترحمون عبرة باك، و قد نزع اللّه الرحمة من قلوبكم، فذاك أكبر عيوبكم، و هذه من صفات الشياطين، لا من شيم السلاطين، و تكفيكم هذه الشهادة الكافية، و بما وصفتم به أنفسكم ناهية، قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ ففى كل كتاب لعنتم، و على لسان كلّ مرسل نعتم، و بكل قبيح وصفتم، و عندنا خبركم من حين خرجتم، أنكم كفرة، ألا لعنة اللّه على الكافرين، من تمسّك بالأصول فلا يبالى بالفروع، نحن المؤمنون حقّا، لا يدخل علينا عيب، و لا يضرنا ريب، القرآن علينا نزل، و هو سبحانه رحيم لم يزل، فتحققنا نزوله، و علمنا ببركته تأويله، فالنار لكم خلقت، و لجلودكم أضرمت، إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ، و من أعجب العجب تهديد الرتوت بالتوت و السباع بالضباع و الكماة بالكراع، نحن خيولنا برقيّة، و سهامنا عربية، و سيوفنا يمانية، و لبوسنا مصرية، و أكفّنا شديدة المضارب، وصفتنا مذكورة فى المشارق و المغارب، إن قتلنا كم فنعم البضاعة، و إن قتل منا أحد فبينه و بين الجنة ساعة، وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۲

الْمُؤْمِنِينَ. و أمّا قولكم: قلوبنا كالجبال، و عددنا كالرمال، فالقصّاب لا يبالى بكثرة الغنم، و كثير الحطب يغنيه الضّرم كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ الفارّ الفارّ من الزوايا، و طول البلايا، و اعلموا أنّ هجوم المنيّة، عندنا غاية الأمنية، إن عشنا عشنا سعداء، و إن قتلنا قتلنا شهداء ألا إن حزب اللّه هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين، و خليفة رب العالمين، تطلبون منا طاعة، لا سمع لكم و لا طاعة، و طلبتم أن نوضّح لكم أمرنا، قبل أن ينكشف الغطاء، ففى نظمه تركيك، و فى سلكه تلبيك، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أكفرتم بعد إيمان، أم اتخذتم إلها ثان، و طلبتم من معلوم رأيكم، أن نتبع دينكم، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا قل: لكاتبك الذى وضع رسالته، و وصف مقالته، وصل كتابك كضرب رباب، أو كطنين ذباب، كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا، وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ إن شاء اللّه تعالى لقد لبكتم، فى الذى أرسلتم، و السلام. انتهى.

فعرض هذا الجواب على السلطان ثمّ ختم و أرسل إليه.

ثم فى سادس شهر ربيع الآخر المذكور عرض السلطان أجناد الحلقة الذين عيّنوا للسفر و عيّن منهم أربعمائة فارس للسفر صحبة السلطان و ترك الباقى بالديار المصرية.

ثمّ فى سابعه خرجت مدوّرة السلطان من القاهرة و نصبت بالريدانية خارج القاهرة.

ثمّ فى يوم الأربعاء تاسعه عقد السلطان عقده على الخاتون تندى بنت حسين ابن أويس و كانت قدمت مع عمها السلطان أحمد بن أويس، و مبلغ الصداق ثلاثة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۳

آلاف دينار و كان صرف الدينار إذ ذاك ستة و عشرين درهما و نصف درهم، و بنى عليها ليلة الخميس عاشره و هو يوم سفره إلى الشام.

و أصبح من الغد فى يوم الخميس المذكور نزل السلطان من قلعة الجبل إلى الإسطبل السلطانىّ، ثمّ خرج من باب السلسلة إلى الرميلة و قد وقف القان أحمد ابن أويس و جميع الأمراء و سائر العسكر ملبسين آلة الحرب و معهم أطلابهم، فسار السلطان و عليه قرقل بلا أكمام و على رأسه كلفتة و تحته فرس بعرقيّة من صوف سميك إلى باب القرافة و العساكر قد ملأت الرّميلة فرتّب هو بنفسه أطلاب الأمراء و مرّ فى صفوفها ذهابا و إيابا غير مرّة، حتى رتّبها أحسن ترتيب و صاحبها ينظر و أخذ يخالف فى تعبئة الأطلاب، كلّ تعبئة بخلاف الذى يتقدّمها، حفظت أنا غالبها عن الأستاذ الأتابك آقبغا التمرازىّ عن أستاذه تمراز الناصرىّ النائب و لو لا الإطالة و الخروج عن المقصود لرسمتها هنا بالنقط. انتهى.

فلمّا فرغ السلطان الملك الظاهر برقوق من تعبئة أطلاب أمرائه أخذ فى ترتيب طلب نفسه و جعله أمام أطلاب الأمراء كالجاليش لكثرة من كان به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۴

و عبّأه قلبا و جناح يمين و جناح شمال و رديفا و كمينا و أمر الكوسات و الطبول فدقّت حربيّا.

ثمّ ترك جميع الأطلاب و مضى فى خواصّه إلى قبة الإمام الشافعىّ [رضى اللّه عنه] و زاره و تصدّق على الفقراء بمال كثير خارج عن الحدّ، ثم سار إلى المشهد النفيسىّ وزاره و تصدّق به أيضا، و فى طول طريقه بجملة مستكثرة، ثمّ عاد إلى الرّميلة و أشار إلى طلب السلطان فسار إلى نحو الرّيدانيّة فى أعظم قوّة و أبهج زىّ و أفخر هيئة و أحسن ملبس، جرّ فيه من خواصّ الخيل مائتا جنيب ملبسة آلة الحرب التى عظمت من الآلات المذهبة و المفضّضة و المزركشة على اختلاف أنواعها و صفاتها التى تحيّر العقول عند رؤيتها.

ثمّ أشار لأطلاب الأمراء فسارت أيضا بأعظم هيئة و قد تفاخر الأمراء أيضا فى أطلابهم و خرج كل طلب أحسن من الآخر حتى حاذوا القلعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۵

فوقفوا يمينا و يسارا حتى سار السلطان فى موكبه فى غاية العظمة و الأبّهة و إلى جانبه القان أحمد بن أويس على فرس بقماش ذهب و بجانب ابن أويس الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ ثم الأمراء ميمنة و ميسرة، كلّ واحد فى رتبته حتى انقضى ممرّ السلطان و أمامه العساكر و خلفه، ثمّ سارت أطلاب الأمراء تريد الريدانية شيئا بعد شىء و سار السلطان حتى نزل بمخيّمه بالريدانيّة و أقام بها أياما.

ثم فى رابع عشره خلع على القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء باستقراره قاضى قضاة الشافعية بديار مصر، بعد عزل القاضى صدر الدين المناوىّ و دخل من الرّيدانية إلى القاهرة و معه تغرى بردى من يشبغا رأس نوبة النّوب (أعنى الوالد) و الأمير قلمطاى من عثمان الدوادار الكبير و آقبغا اللكّاش رأس نوبة ثان و جماعة أخر.

ثم قدم على السلطان بالريدانية ولد الأمير نعير و معه محضر أنّ أباه أخذ مدينة بغداد و خطب بها للسلطان الملك الظاهر برقوق، فخلع السلطان عليه و وعده بكل خير.

ثمّ كتب السلطان بإحضار الأمير ألطنبغا المعلّم من ثغر دمياط.

ثمّ خلع السلطان على الأمير سودون النائب ليقيم بالقاهرة فى مدّة غيبة السلطان، و على الأمير بجاس ليقيم بالقلعة، و على الأمير محمود

الأستادار، و على ولده و خلع على التاجر برهان الدين المحلّىّ، و على التاجر شهاب الدين أحمد بن مسلم، و على التاجر نور الدين على الخرّوبىّ لكون السلطان اقترض منهم مبلغ ألف ألف درهم.

ثمّ فى ثالث عشرينه رحل السلطان بعساكره و أمرائه من الريدانية، بعد أن أقام بها نحو ثلاثة عشر يوما، و فرّق من الجمال فى المماليك نحو أربعة آلاف جمل،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۶

و من الخيل ألفى فرس و خمسمائة فرس، و حمل معه أشياء كثيرة مما يحتاج السلطان إليه، منها خمسة قناطير من العاج و الآبنوس برسم الشّطرنج الذى يلعب به السلطان، و سببه انه كان إذا لعب بشطرنج و فرغ من لعبه أخذه صاحب النّوبة و جدّد غيره، و أشياء كثيرة أخر من هذه المقولة.

ثمّ فى ثامن عشرينه أرسل السلطان يطلب بدر الدين محمود الكلستانىّ، فأخذ محمود المذكور من خانقاة شيخون فإنه كان من بعض صوفيتها و سار و هو خائف وجل، لأنه كان من ألزام ألطنبغا الجوبانىّ إلى أن وصل إلى السلطان.

و خبره أنّ السلطان كان ورد عليه كتاب من بعض الملوك بالعجمىّ، فلم يعرف القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه كاتب السر يقرؤه، فطلب السلطان من يقرؤه، فنوّه بعض من حضر من الأمراء بذكر الكلستانىّ هذا، فطلب لذلك و حضر و قرأه فأعجب السلطان قراءته، فأمره بالسفر معه، فسافر صحبة السلطان و صار ينزل مع الأمير قلمطاى الدوادار كأنّه من بعض حواشيه فإنه كان فى غاية من الفقر إلى أن وصل إلى دمشق كما سنذكره.

و أما السلطان فإنه دخل دمشق فى عشرين جمادى الأولى و قام به إلى أن أخرج عسكرا إلى البلاد الحلبية فى سابع عشر شهر رجب، و عليهم الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ و الأمير بكلمش أمير سلاح و الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس و بيبرس ابن أخت السلطان الملك الظاهر برقوق، و نائب صفد و نائب غزّة، كل ذلك و السلطان مقيم بدمشق فى انتظار قدوم تيمور لنك.

ثم أمر السلطان للقان غياث الدين أحمد بن أويس بالتوجه إلى محل مملكته ببغداد، فخرج من دمشق فى يوم الاثنين أوّل شعبان من سنة ست و تسعين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۷

المذكورة، بعد ما قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه، و عند وداعه خلع عليه الملك الظاهر خلعة أطلسين متمّرا و قلّده بسيف مسقّط بذهب، و كتب له تقليدا بسلطنة بغداد، و ناوله إيّاه، فأراد أحمد بن أويس أن يقبّل الأرض فلم يمكّنه السلطان من ذلك، إجلالا له و تعظيما فى حقه، و قام له و عانقه و وادعه، ثمّ افترقا، و كان ما أنعم به السلطان الملك الظاهر على القان غياث الدين أحمد بن أويس عند سفره خاصّة من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى الخيل و الجمال و السلاح و المماليك و القماش السكندرىّ و غير ذلك، و استمرّ ابن أويس بمخيّمه خارج دمشق إلى يوم ثالث عشر شعبان، فسافر إلى جهة بغداد بعد أن أظهر الملك الظاهر من علوّ همته و مكارمه و إنعامه لابن أويس المذكور ما أدهشه.

قلت: هكذا تكون الشّيم الملوكية، و إظهار الناموس، و بذل الأموال فى إقامة الحرمة، مع أن الملك الظاهر لم يخرج من الديار المصرية، حتّى تحمّل جملة كبيرة من الديون، فإنه من يوم حبس بالكرك و ملك الناصرىّ و منطاش ديار مصر فرّقا جميع ما كان فى الخزائن السلطانية، و حضر الملك الظاهر من الكرك فلم يجد فى الخزائن ما قلّ و لا كثر و صار مهما حصّله أنفقه فى التجاريد و الكلف، فللّه درّه من ملك! على أنه كان غير مشكور فى قومه.

حدّثنى غير واحد من حواشى الأسياد أولاد السلاطين، قالوا: كنّا نقول من يوم تسلطن هذا المملوك: هذا الكعب الشؤم نشّفت القلعة من الرّزق و خربت الدنيا هذا، و كان الذى يصرف يوم ذلك على نزول السلطان إلى سرحة سرياقوس بكلفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۸

ملوك زماننا هذا! من أوّل السنة إلى آخرها، فلعمرى! هل الأرزاق قلّت أم الهمة اضمحلّت! و ما الشيء إلا كما كان و زيادة، غير أنّ قلّة العرفان تمنع السيادة. انتهى.

و فى يوم ثانى شعبان خلع السلطان على الشيخ بدر الدين محمود الكلستانى المقدّم ذكره باستقراره فى كتابة سرّ مصر، بعد موت القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه، و كانت تولية الكلستانى هذه الوظيفة كتابة السرّ من غريب الاتفاق، كونه كان فقيرا مملقا خائفا من السلطان، و عند طلب السلطان له من خانقاه شيخون لقراءة الكتاب الوارد عليه من العجم لم يخرج من الخانقاه حتى أوصى.

ثم إنّه بعد قراءة الكتاب سافر صحبة السلطان إلى دمشق و اشتغل السلطان بما هو فيه عنه، فضاق عيشه إلى الغاية و بقى فى أعوز حال و بات ليلته يتفكّر فى عمل أبيات يمدح بها قاضى دمشق، لعلّه ينعم عليه بشيء يردّ به رمقه. فنظم قصيدة هائلة و كان بارعا فى فنون عديدة، و أصبح من الغد ليتوجه بالقصيدة إلى القاضى، فجاءه قاصد السلطان بولاية كتابة سرّ مصر فجاءته السعادة فجاة.

و كان من أمر السلطان أنه لمّا مات كاتب السرّ طلب من يوليه كتابة السرّ فذكر له جماعة و بذلوا له مالا، له صورة، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك و أراد من يكون كفئا لهذه الوظيفة التى يكون متولّيها صاحب لسان و قلم فلم يجد غير الكلستانى المذكور، و كان أهلا لها، فطلبه و ولّاه كتابة السرّ، فباشرها على أحمل وجه. انتهى.

ثمّ قدم على السلطان رسل طقتمش خان صاحب كرسى بلاد القفجاق بأنه يكون عونا مع السلطان على تيمور لنك، فأجابه السلطان لذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۹

ثم قدمت رسل خوندكار يلدرم با يزيد بن عثمان متملّك بلاد الروم بأنّه جهز لنصرة السلطان مائتى ألف درهم، و أنّه ينتظر ما يرد عليه من جواب السلطان ليعتمده.

ثمّ قدم رسول القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس بأنّه فى طاعة السلطان و يترقّب ورود المراسيم السلطانية الشريفة عليه بالمسير إلى جهة يعيّنه السلطان إليها، عند قدوم تيمور، فكتب جواب الجميع بالشكر و الثناء و بما اختاره السلطان.

ثمّ فى أوّل ذى القعدة خرج السلطان من دمشق يريد البلاد الحلبية و سار حتى دخلها فى العشر الأوسط من ذى القعدة.

و بعد دخوله حلب بأيام قليلة، عزل نائبها الأمير جلبان من كمشبغا الظاهرىّ المعروف بقراسقل، و خلع على الوالد باستقراره عوضه فى نيابة حلب، و أنعم على الأمير جلبان المذكور بإقطاع الوالد و إمرته، و هى إمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، و لم يستقرّ به فى وظيفته، و كانت وظيفة الوالد قبل نيابة حلب رأس نوبة النّوب.

ثم أمسك السلطان الأمير دمرداش المحمدىّ نائب طرابلس و حبسه و خلع على الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرىّ نائب صفد باستقراره عوضه فى نيابة طرابلس، و خلع على الأمير آقبغا الجمالى الظاهرى أتابك حلب باستقراره فى نيابة صفد، عوضا عن أرغون شاه الإبراهيمى، و خلع على الأمير دقماق المحمّدىّ الظاهرىّ باستقراره فى نيابة ملطية، و على الأمير كور مقبل باستقراره فى نيابة طرسوس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۰

ثم قبض السلطان على عدّة أمراء من أمراء حلب: منهم الأمير ألطنبغا الأشرفى، و الأمير تمربای الأشرفى، و قطلوشاه المارديني، و حبس الجميع بقلعة حلب و انفضّ الموكب، و الوالد واقف لم يتوجه، فقال له السلطان: لم لا تتوجه! فقال:

يا مولانا السلطان! أستحى أنزل من الناس يمسك أخى دمرداش نائب طرابلس و أتولّى أنا نيابة حلب! و ما يقبل السلطان شفاعتى فيه، فقال له السلطان: قبلت شفاعتك فيه، غير أنه يمكث فى السجن أيّاما، ثم أفرج عنه لأجلك، لئلا يقال:

يمسك السلطان نائب طرابلس و يطلقه من يومه! فيصير ذلك وهنا فى المملكة، فقال: - الوالد رحمه اللّه-: السلطان يتصرّف فى مماليكه كيف يشاء، ما علينا من قول القائل! ثم قبّل الأرض و يد السلطان، فتبسّم السلطان، و أمر بإطلاق دمرداش و حضوره، فحضر

من وقته، فخلع عليه بأتابكية حلب عوضا عن آقبغا الجمالى المستقرّ فى نيابة صفد، ثم قال له السلطان: خذ أخاك و انزل، فكانت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۱

هذه الواقعة أول عظمة نالت الوالد من أستاذه الملك الظاهر برقوق انتهى هذا الخبر.

و الأخبار ترد على السلطان شيئا بعد شيء من بلاد الشمال بعود تيمور لنك إلى بلاده و السلطان لا يصدّق ذلك. و يتقحّم على لقاء تيمور لنك، فلم يجسر تيمور على القدوم إلى البلاد الشامية مخافة من الملك الظاهر برقوق، و توجّه إلى بلاده، فلما تحقّق السلطان عوده تأسّف على عدم لقائه، و خرج من حلب بعساكره فى سابع محرّم سنة سبع و تسعين و سبعمائة يريد دمشق، فوصلها و لم يقم بها إلا أياما قليلة لطول إقامته بها فى ذهابه، و خرج منها بعساكره فى سابع عشر المحرّم المذكور، يريد الديار المصرية، بعد أن خلع على الأمير بتخاص السودونىّ حاجب حجّاب الديار المصرية باستقراره فى نيابة الكرك، عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ علىّ، و نقل الشهابىّ المذكور إلى حجوبية دمشق الكبرى، عوضا عن الأمير تمربغا المنجكى بحكم قدوم تمربغا المنجكىّ إلى مصر صحبة السلطان، و سار السلطان إلى أن وصل مدينة قطيا، فأمسك مملوكه الأمير جلبان الكمشبغاوىّ قراسقل المعزول عن نيابة حلب و بعثه من قطيا فى البحر إلى ثغر دمياط، و سار السلطان من قطيا حتى وصل إلى ديار مصر فى ثامن عشر صفر، و طلع إلى القلعة من يومه، بعد أن احتفل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۲

الناس لطلوعه، و زيّنت القاهرة أياما، غير أن الغلاء كان حصل قبل قدوم السلطان، فتزايد بعد حضوره لكثرة العساكر.

و من يومئذ صفا الوقت للملك الظاهر، و صارت مماليكه نوّاب البلاد الشامية من أبواب الروم إلى مصر، و أخذ السلطان يكثر من الركوب و التوجّه إلى الصيد، و عمل له الأمير تمربغا المنچكى شرابا من زبيب، يسمى التمر بغاوى، و أقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، و لم يكن يعرف منه السّكر قبل ذلك.

ثمّ أنعم السلطان على الأمير فارس من قطلوجا الظاهرى الأعرج بإمرة مائة و تقدمة ألف و ولّاه حجوبية الحجاب عوضا عن بتخاص السودونى المستقر فى نيابة الكرك. و أنعم على الأمير نوروز الحافظى الظاهرى بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، عوضا عن الوالد، و هو الإقطاع الذى كان أنعم به السلطان على جلبان نائب حلب.

ثم أنعم السلطان على الأمير أرغون شاه البيدمرى بإمرة مائة و تقدمة ألف، و أنعم السلطان أيضا على كل من تمربغا المنجكى، و صلاح الدين محمد بن محمد تنكز و صرغتمش المحمدى الظاهرى بإمرة طبلخاناه، و أنعم أيضا على كل من مقبل الرومى، و آقباى من حسين شاه الظاهرىّ، و آق بلاط الأحمدى، و منكلى بغا الناصرى بإمرة عشرة.

ثم بعد أشهر خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى الظاهرى باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن الوالد بحكم انتقاله إلى نيابة حلب، و كانت شاغرة من تلك الأيام.

ثم قبض السلطان على الأمير محمود بن على الأستادار المعروف بابن أصفر، عيّنه فى صفر سنة ثمان و تسعين، و على ولده و على كاتبه، سعد الدين إبراهيم بن غراب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۳

و خلع السلطان على قطلوبك العلائى أستادار الأمير أيتمش باستقراره فى الأستادارية، عوضا عن محمود المذكور، و أنعم السلطان عليه بإمرة عشرين، و استمرّ محمود على إمرته و هو مريض محتفظ به، و خلع السلطان أيضا على سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود باستقراره ناظر ديوان المفرد و هذا أول ظهور ابن غراب فى الدولة الظاهرية، و استمال السلطان ابن غراب، فأخذ يدلّ على ذخائر أستاذه محمود، و محمود فى المصادرة إلى أن أظهر شيئا كثيرا من المال.

ثم أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بإمرة طبلخاناه و هم: طولو من على باشاه الظاهرى، و يلبغا الناصرىّ الظاهرىّ، و شاذى خجا

الظاهرى العثمانى، و قينار العلائى، و أنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرة و هم: طيبغا الحلبى الظاهرى، و سودون من علىّ باشاه الظاهرى المعروف بسودون طاز، و يعقوب شاه الخازندار الظاهرى و يشبك الشعبانى الخازندار و تمان تمر الإشقتمرىّ رأس نوبة الجمدارية.

ثم خلع السلطان على الأمير فارس الحاجب باستقراره فى نظر الشيخونية و خلع على الأمير تمربغا المنجكىّ حاجبا ثانيا بتقدمة ألف.

و فى هذه الأيام عظم الغلاء و فقد الخبز من الدكاكين.

و فى آخر ذى العقدة استقرّ سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود فى وظيفة نظر الخاصّ بعد القبض على سعد الدين بن أبى الفرج بن تاج الدين موسى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۴

ثم رسم السلطان بإحضار الأمير محمود فحمل إلى بين يدى السلطان، و هو فى ألم عظيم من العصر و الضرب و العقوبة، فانتصب إليه كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب فى محاققته و الفحش له فى الكلام، حتى امتلأ السلطان غضبا على محمود و أمر بعقوبته حتى يموت من عظم ما أغراه سعد الدين المذكور به.

ثم ورد الخبر بقدوم الأمير تنم الحسنىّ نائب الشام، و كان خرج بطلبه الأمير سودون طاز، و قدم من الغد فى يوم الاثنين ثالث صفر سنة تسع و تسعين و سبعمائة، بعد أن خرج السلطان إلى لقائه بالرّيدانيّة، و جلس له على مطعم الطير، و بعث الأمراء و القضاة إليه فسلّموا عليه، ثم أتوا به، فقبّل الأرض، فخلع عليه خلعة باستمراره على نيابة دمشق.

ثم قدّم من الغد تقدمته، و كانت تقدمة جليلة، و هى عشرة كواهى و عشرة مماليك صغار فى غاية الحسن، و عشرة آلاف دينار، و ثلاثمائة ألف درهم فضة، و مصحف عليه قراءات و سيف مسقّط ذهب مرصّع، و عصابته منسبكة من ذهب مرصّع، بجوهر نفيس و بدلة فرس من ذهب، فيها أربعمائة مثقال ذهب، و كان أجرة صائغها ثلاثة آلاف درهم فضّة، و مائة و خمسين بقجة فيها أنواع الفرو، و مائة و خمسين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۵

فرسا، و خمسين جملا و خمسة و عشرين حملا من نصافى و نحوه، و ثلاثين حملا فاكهة و حلوى، فخلع السلطان على أرباب الوظائف.

ثم نزل السلطان بعد أيام إلى برّ الجيزة، و معه الأمير تنم و غيره، و تصيّد ببرّ الجيزة.

ثم عاد. و عمل السلطان الموكب بدار العدل فى يوم سابع عشر صفر من سنة تسع و تسعين المذكورة، و خلع على الأمير تنم خلعة الاستمرار ثانيا، و جرّت له من الإسطبل ثمانى جنائب بكنابيش و سروج ذهب، فتقدّم تنم، و شفع فى الأمير جلبان الكمشبغاوى المعزول عن نيابة حلب، فقبل السلطان شفاعته، و خرج البريد بطلبه من ثغردمياط، فقدم بعد أيام، و قبّل الأرض بين يدى السلطان، فأنعم عليه السلطان بإقطاع الأمير إياس الجرجاوى و خلع عليه بأتابكية دمشق عوضا عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۶

إياس المذكور بحكم القبض عليه و حضوره إلى الديار المصرية، و بعث إليه ثمانية أفراس بقماش ذهب (أعنى عن جلبان).

ثم أمر السلطان أن يسلّم الأمير إياس الجرجاوى إلى ابن الطبلاوى ليخلّص منه الأموال، فأحده ابن الطبلاوىّ فالتزم بحمل خمسمائة ألف درهم و بعث مملوكه لإحضار ماله و هو مريض، فمات إياس بعد يومين، و اختلف الناس فى موته، فمنهم من قال: إنه كان معه خاتم فيه سمّ فشربه فمات منه قهرا مما فعله معه الملك الظاهر، و منهم من قال: إنه مات من مرضه. و اللّه أعلم بحاله.

ثم فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أمسك السلطان الوزير سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ و ولده تاج الدين و سائر حواشيه، و خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن الطّو؟؟؟ و استقر عوضه فى الوزارة و استقر فى نظر الدولة سعد الدين ابن الهيصم.

ثم خلع السلطان على شرف الدين محمد بن الدّماميني باستقراره فى وظيفة نظر الجيش بديار مصر بعد موت القاضى جمال الدين محمود القيصرى العجميّ، نقل إليها من حسبة القاهرة.

ثم من الغد فى يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول المذكور استقر القاضى شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن جمال الدين محمود القيصرى المقدّم ذكره.

ثم فى خامس عشرينه قدمت هدية ممهّد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن صحبة التاجر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۷

برهان الدين إبراهيم المحلّى و الطواشى افتخار الدين فاخر، و هى عشرة خدّام طواشية و بعض عبيد حبوش و ست جوار و سيف بحلية ذهب مرصّع بعقيق و حياصة بعواميد عقيق مكلّلة بلؤلؤ كبار و وجه فرس عقيق و مرآة هندية محلّاة بفضّة قد رصعت بعقيق و براشم برسم الخيول عشرة و رماح عدّة مائتين و شطرنج عقيق أبيض و أحمر و أربع مراوح مصفّحة بذهب و مسك ألف مثقال و سبعون أوقية زباد و مائة مضرّب غالبة و مائتان و ستة عشر رطلا من العود و ثلاثمائة و أربعون رطلا من اللّبان و ثلاثمائة و أربعة و ستون رطلا- من الصّندل و أربعة برانى من الشّند و سبعمائة رطل من الحرير الخام و من البهار و الاقطاع و الصينى و غير ذلك من تحف اليمن؟؟؟ كثير.

ثم فى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى نقل الأمير جمال الدين محمود الأستادار إلى خزانة شمائل و هو مريض.

و فى سادس عشر جمادى الآخرة أنعم على الأمير بيسق الشّيخىّ بإمرة طبلخاناه.

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش القزوينى باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير قديد عنها و نفيه إلى القدس بطّالا، و أنعم السلطان على الأمير شيخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۸

المحمودى الساقى الظاهرى (أعنى عن الملك المؤيّد) بإمرة طبلخاناه، عوضا عن صرغتمش القزوينى المتولى نيابة الإسكندرية و أنعم بإقطاع شيخ المحمودى و هو إمرة عشرة على الأمير طغنجى نائب البيرة، و أنعم السلطان أيضا على يشبك العثمانى الظاهرى بإقطاع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز.

ثم فى سادس عشرينه استقرّ الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرى المعروف بالمجنون أستادار السلطان، عوضا عن قطلوبك العلائى و استقرّ قطلوبك على إمرة عشرين.

ثم فى يوم الاثنين ثامن محرم سنة ثمانمائة توجّه السلطان إلى سرحة سرياقوس بعساكره و حريمه على العادة فى كل سنة، فأقام به أياما على ما يأتى ذكره.

و فى ثانى عشر المحرم المذكور خرج الأمير بكتمر جلّق الظاهرى على البريد إلى حلب لإحضار الوالد- رحمه اللّه و عفا عنه- بعد عزله عن نيابة حلب و كتب بانتقال الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى نائب طرابلس إلى نيابة حلب عوضا عن الوالد، و خرج الأمير يشبك العثمانى بتقليد أرغون شاه المذكور، و رسم بانتقال الأمير آقبغا الجمالى الظاهرىّ من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس عوضا عن أرغون شاه المذكور، و توجّه بتقليده الأمير أزدمر أخو إينال و معه أيضا خلعة للأمير تنم الحسنى باستمراره فى نيابة الشام، و رسم بانتقال الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على حاجب حجّاب دمشق إلى نيابة صفد عوضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۹

عن آقبغا الجمالى المذكور، و حمل إليه التقليد و التشريف الأمير يلبغا الناصرى الظاهرى رأس نوبة.

ثم قدم فى هذه الأيام جماعة من سوابق الحاجّ و أخبروا أنه هلك بالسبع و عرات من شدّة الحر نحو ستمائة إنسان.

ثم عاد السلطان من سرحة سرياقوس فى خامس عشرينه و لم يخرج إليها بعد ذلك، و لا أحد من السلاطين و بطلت عوائدها و خرّبت تلك القصور، و كانت من أجمل عوائد الملوك و أحسنها، و كان النزول إلى سرياقوس يضاهى نزول السلطان إلى الميدان فالميادين أبطلها الملك الظاهر و سرياقوس أبطله الملك الناصر، ثم صار كل ملك يأتى بعد ذلك يبطل نوعا من نراتيب مصر، حتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۰

ذهب الآن جميع شعار الملوك السالفة و صار الفرق بين سلطنة مصر و نيابة الأبلستين اسم السلطنة و لبس الكلفتاة فى المواكب لا غير.

قلت: و الفرق بين براعة الاستهلال و بين براعة المقطع واضح.

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشرين المحرّم من سنة ثمانمائة المذكورة قبض السلطان فى وقت الخدمة بالقصر على الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ أتابك العساكر بالديار المصرية و على الأمير بكلمش العلائىّ أمير سلاح، و قيّدا و حبسا بقلعة الجبل، يأتى ذكر السبب على قبضهما فى الوفيات، و فى هذه الترجمة- إن شاء اللّه تعالى-.

ثم نزل فى الحال الأمير قلمطاى الدوادار، و الأمير نوروز الحافظىّ رأس نوبة النّوب، و الأمير فارس حاجب الحجّاب إلى الأمير شيخ الصّفوى أمير مجلس و معهم خلعة له بنيابة غزّة، فلبسها شيخ المذكور و خرج من وقته و نزل بخانقاه سرياقوس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۱

ثم فى ليلة الثلاثاء سلخه توجّه الأمير سودون الطيّار الظاهرى بالأتابك كمشبغا و بكلمش فى الحديد إلى سجن الإسكندرية فسجنا بها، و فى الغد استعفى الأمير شيخ الصّفوىّ من نيابة غزّة و سأل الإقامة بالقدس فرسم له بذلك.

و فى يوم الخميس ثانى صفر استقرّ الأمير أيتمش البجاسىّ أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن كمشبغا الحموى و أنعم السلطان على أيتمش المذكور و على قلمطاى الدوادار، و على الأمير تنبك اليحياوى الأمير آخور بعدّة بلاد من إقطاع كمشبغا المذكور زيادة على ما بأيديهم و أنعم ببقيّة إقطاع كمشبغا على الأمير سودون المعروف بسيّدى سودون ابن أخت الملك الظاهر و جعله من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية و أنعم بإقطاع سيّدى سودون المذكور على ولد السلطان الأمير عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۲

ثمّ أنعم السلطان بإقطاع بكلمش العلائى على الأمير نوروز الحافظىّ رأس نوبة النّوب.

و أنعم بإقطاع نوروز المذكور على الأمير أرغون شاه البيدمرىّ الظاهرى و أنعم بإقطاع أرغون شاه على الأمير يلبغا المجنون الأستادار و الجميع تقادم ألوف لكنّ التفاوت بينهم فى زيادة المغلّ و الخراج.

ثم عيّن السلطان الأمير شيخ الصفوىّ أمير مجلس للوالد قبل قدومه إلى القاهرة من نيابة حلب.

ثم فى رابعه استقر الأمير باى خجا الشّرفى الأمير آخور المعروف بطيفور فى نيابة غزة.

ثم فى تاسع صفر استقر الأمير بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس عوضا عن شيخ الصفوى المقدّم ذكره.

ثم فى سابع عشرين صفر أنعم السلطان على الأمير بهادر فطيس بإمرة طبلخاناه، عوضا عن طيفور بحكم انتقاله إلى نيابة غزّة، و استقر عوضه أيضا فى الأمير آخورية الثانية و أنعم بإقطاع بهادر فطيس المذكور، و هو إمرة عشرة على يلبغا السالمىّ الظاهرى.

و فى ليلة الجمعة ثانى شهر ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوىّ على العادة فى كلّ سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۳

قلت: نذكر صفة ما كان يعمل بالمولد قديما ليقتدى به من أراد تجديده فلمّا كان يوم الخميس المذكور، جلس السلطان بمخيّمه بالحوش السلطانى، و حضر القضاة و الأمراء و مشايخ العلم و الفقراء، فجلس الشيخ سراج الدين عمر البلقينى عن يمين السلطان، و

تحته الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقّاعة، و جلس على يسار السلطان الشيخ المعتقد أبو عبد اللّه المغربى، ثم جلس القضاة يمينا و شمالا على مراتبهم، ثم حضر الأمراء فجلسوا على بعد من السلطان، و العساكر ميمنة و ميسرة فقرأت الفقهاء، فلمّا فرغ القرّاء و كانوا عدّة جوق كثيرة، قام الوعاظ واحدا بعد واحد، و هو يدفع لكل منهم صرّة فيها أربعمائة درهم فضة، و من كلّ أمير شقّة حرير خاصّ و عدّتهم عشرون واحدا.

و أنعم أيضا على القرّاء لكل جوقة بخمسمائة درهم فضة و كانوا أكثر من الوعّاظ، ثم مدّ سماط جليل يكون مقداره قدر عشرة أسمطة من الأسمطة الهائلة، فيه من الأطعمة الفاخرة ما يستحى من ذكره كثرة، بحيث إن بعض الفقراء أخذ صحنا فيه من خاصّ الأطعمة الفاخرة فوزن الصحن المذكور فزاد على ربع قنطار.

و لمّا انتهى السّماط مدّت أسمطة الحلوى من صدر المخيّم إلى آخره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۴

و عند فراغ ذلك مضى القضاة و الأعيان و بقى السلطان فى خواصّه و عنده فقراء الزوايا و الصوفية، فعند ذلك أقيم السّماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر و هو جالس عندهم و يده تملأ من الذهب، و تفرّغ لمن له رزق فيه و الخازندار يأتيه بكيس بعد كيس، حتى قيل: إنّه فرّق فى الفقراء و مشايخ الزوايا و الصوفية فى تلك الليلة أكثر من أربعة آلاف دينار.

هذا، و السّماط من الحلوى و الفاكهة يتداول مدّة بين يديه، فتأكله المماليك و الفقراء و تكرّر ذلك أكثر من عشرين مرّة.

ثم أصبح السلطان ففرّق فى مشايخ الزوايا القمح من الأهراء لكل واحد بحسب حاله و قدر فقرائه، كلّ ذلك خارج عمّا كان لهم من الرواتب عليه فى كلّ سنة حسب ما يأتى ذكر ذلك فى آخر ترجمة الملك الظاهر بعد وفاته.

ثم فى خامس عشر شهر ربيع الأوّل المذكور قدم الوالد إلى القاهرة معزولا عن نيابة حلب.

فنزل السلطان الملك الظاهر إلى لقائه، قال الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ- رحمه اللّه-: «و فى خامس عشر شهر ربيع الأوّل قدم الأمير تغرى بردى اليشبغاوى من حلب بتجمّل زائد عظيم إلى الغاية، فخرج السلطان و تلقّاه بالمطعم من الريدانية خارج القاهرة، و سار معه من غير خلعة، فلمّا قارب القلعة أمره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۵

بالتوجّه إلى حيث أنزله و بعث إليه بخمسة أفراس بقماش ذهب و خمس بقج فيها قماش مفصّل له مفرّى؟ انتهى كلام المقريزى.

قلت: و قوله: و عاد معه بغير خلعة هى العادة، فإنّه منفصل عن نيابة حلب و لم يعط إلى الآن وظيفة حتى يلبس خلعتها.

و فى سابع عشره قدّم الوالد تقدمته إلى السلطان، و كانت نيّفا و عشرين مملوكا و خمسة طواشية بيض من أجمل الناس، من جملتهم: خشقدم اليشبكى مقدّم المماليك السلطانية فى دولة الملك الأشرف برسباى، أنعم به الملك الظاهر على فارس الحاجب، ثم ملكه يتسبك الشعبانى بعده و أعتقه، و ثلاثين ألف دينار مصرية، و مائة و خمسة و عشرين فرسا، و عدّة جمال بختى تزيد على الثمانين، و أحمالا من البقج، فيها من أنواع الفرو و الشقق الحرير و أثواب الصوف و المخمّل زيادة على مائة بقجة، فآبتهج السلطان بذلك و قبله، و خلع على أصحاب وظائف الوالد، و نزلوا فى غاية الجبر.

حكى لى بعض أعيان الظاهرية، قال: لما رأى الملك الظاهر تقدمة والدك تعجّب غاية العجب من حسن سيرته و قلّة ظلمه بحلب، و مع هذا كيف قام بهذه التقدمة الهائلة مع كثرة مماليكه و خدمه.

و كان سبب عزل الوالد- رحمه اللّه- عن نيابة حلب، شكوى الأمير تنم الحسنى نائب الشام منه للملك الظاهر، و رماه بالعصيان و الخروج عن الطاعة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۶

و خبر ذلك: أن الوالد و تنم لمّا توجّها فى السنة الماضية إلى سيواس و غيرها بأمر الملك الظاهر و تلاقى الوالد مع تنم بظاهر حلب و

عادا جميعا إلى حلب و كلّ منهما سنجقه منتصب على رأسه، فعظم ذلك على تنم، كون العادة إذا حضر نائب الشام يصير هو رأس العساكر و ينزل نائب حلب سنجقه، فلمّا سارا و كلّ منهما سنجقه على رأسه، تكلّم سلحداريّة تنم مع سلحداريّة الوالد فى نزول السّنجق، فلم يفعل حامل السنجق، فخرجا من القول إلى الفعل، و تقاتل الفريقان بالدبابيس بسبب ذلك، و كادت الفتنة تقع بينهما، و الوالد بتجاهل عمّا هم فيه، حتى التفت تنم و نهى مماليكه عن القتال، و سار كلّ واحد و سنجقه على رأسه، حتى نزلا بمخيّمهما، فاستشهد تنم أمراء دمشق بما وقع من الوالد و مماليكه، و كتب للسلطان بذلك فلم يشكّ السلطان فى عصيانه، و كتب بعزله و طلبه إلى القاهرة.

و أما الوالد لمّا نزل بمخيّمه كلّمه بعض أعيان مماليكه فيما وقع، فقال الوالد:

أنا خرجت من مصر جنديّا حتى أنزل سنجقى، أشار بذلك أنه ولى نيابة حلب و هو رأس نوبة النوب، و أن تنم ولى أتابكيّة دمشق، و هو أمير عشرة بمصر قبل ولايته نيابة دمشق، ثم نقل من أتابكية دمشق إلى نيابتها، يعنى بذلك أن تنم لم تسبق له رياسة بمصر قبل ولايته نيابة دمشق، فلمّا بلغ تنم ذلك قامت قيامته. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۷

ثم أنعم السلطان على سودون بن زادة بإمرة عشرة، بعد موت الأمير طوغان الشاطر.

ثم نزل السلطان و عاد الأمير قلمطاى الدّوادار، ففرش قلمطاى تحت حوافر فرسه الشّقق الحرير، مشى عليها السلطان من باب داره حتى نزل بالقصر، فمشى من باب القصر على الشقق النخ المذهب حتى جلس، فقدّم إليه طبقا فيه عشرة آلاف دينار و خمسا و عشرين بقجة قماش، و تسعة و عشرين فرسا و مملوكا تركيّا بديع الحسن، فقبل الملك الظاهر ذلك كله، و رجع إلى القلعة، و فى حال رجوعه قدم عليه الخبر بأن تيمور لنك سار من سمرقند إلى بلاد الهند و أنه ملك مدينة دلّى.

ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر جمادى الأولى خلع السلطان على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطى باستقراره قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية، بعد موت شمس الدين محمد الطرابلسى، بعد ما شغر قضاء الحنفية بمصر مائة يوم و أحد عشر يوما، حتى طلب جمال الدين المذكور لها من حلب و قدم على البريد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۸

قلت: هكذا تكون ولاية القضاء.

ثم أنعم السلطان على الأمير علىّ باى بإمرة مائة و تقدمة ألف عوضا عن الأمير تنبك الأمير آخور بعد موته.

ثم بعد أيام أنعم على الأمير يشبك العثمانى بإمرة مائة و تقدمة ألف بعد موت الأمير قلمطاى العثمانى الدوادار، و أنعم على الأمير أسنبغا العلائى الدوادار الثانى بطبلخانات الأمير بكتمر الركنى، و كان بكتمر المذكور أخذ طبلخاناه الأمير علىّ باى المنتقل إلى تقدمة تنبك الأمير آخور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۱۲؛ ص۷۸

ّ أنعم السلطان على آقباى الطّرنطائى بإمرة طبلخاناه، و على تنكزبغا الحططى بإمرة عشرين.

و فى يوم تاسع عشرين جمادى الأولى خلع السلطان على جماعة من الأمراء بعدة وظائف، فخلع على الوالد باستقراره أمير سلاح عوضا عن بكلمش العلائى، بعد ما شغرت أشهرا و على الأمير آقبغا الطولوتمرى الظاهرى المعروف باللّكّاش باستقراره أمير مجلس عوضا عن بيبرس ابن أخت السلطان، و على نوروز الحافظى رأس نوبة النوب باستقراره أمير آخور كبيرا، بعد موت الأمير تنبك و على الأمير بيبرس ابن أخت السلطان باستقراره دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير قلمطاى، بعد موته و على الأمير علىّ باى الخازندار باستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن نوروز الحافظى و على يشبك الشعبانى باستقراره خازندارا عوضا عن علىّ باى المذكور.

ثمّ فى ليلة الجمعة ثامن شعبان أمسك السلطان الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى و أمسك أخاه ناصر الدين محمدا والى القاهرة و

جماعة من ألزامه و أوقع الحوطة على دورهم و تسلمه الأمير يلبغا الأحمدى المجنون الأستادار ليخلّص منه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۹

الأموال، فأخذه يلبغا و توجّه به إلى دار ابن الطبلاوى و أخذ منها مالا و قماشا بنحو مائة و ستين ألف دينار.

ثم أخذ منها أيضا بعد أيام ألفا و مائة قفّة فلوسا و صرفها ستمائة ألف درهم، و من الدراهم الفضّة خمسة و ثمانين ألف درهم فضة، و استمر علاء الدين فى المصادرة و خلع السلطان على الأمير الكبير أيتمش البجاسى باستقراره فى نظر البيمارستان المنصورى عوضا عن ابن الطّبلاوى المذكور و من يومئذ استمر نظر البيمارستان مع كلّ من يلى الأتابكية بمصر.

ثم بعد أيام طلب ابن الطّبلاوى الحضور بين يدى السلطان، فأذن له السلطان فى ذلك، فحضر فى الحديد، بعد أن عوقب أياما كثيرة، و طلب من السلطان أن يدنيه منه، فاستدناه، حتى بقى من السلطان على قدر ثلاثة ادرع، فقال له:

تكلّم، قال: أريد أن أسارّ السلطان فى أذنه، فلم يمكّنه من ذلك، فألّح عليه ابن الطبلاوى فى مسارّة السلطان فى أذنه، حتى استراب منه و أمر بإبعاده و استخلاص المال منه، فأخذه يلبغا و أخرجه من مجلس السلطان إلى باب النحاس من القلعة، فجلس ابن الطبلاوى هناك ليستريح فضرب نفسه بسكّين كانت معه ليقتل نفسه و جرح فى موضعين من بدنه، فمسكوه و منعوه من قتل نفسه و أخذوا السكين منه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۰

و بلغ السلطان ذلك، فلم يشكّ أنه أراد الدنوّ من السلطان حتى يقتله بتلك السكين التى كانت معه.

فلمّا فاته السلطان ضرب نفسه، فعند ذلك أمر السلطان بتشديد عقوبته فعاقبه يلبغا المجنون، فدلّ على خبيئة فيها ثلاثون ألف دينار، ثم أخرى فيها تسعون ألف دينار، ثم أخرى فيها عشرون ألف دينار و دام فى العقوبة، ثم نقله يلبغا المجنون إلى خزانة شمائل.

ثمّ فى خامس عشر شوال ختن السلطان الملك الظاهر ولديه. الأمير فرجا و الأمير عبد العزيز و ختن معهما عدّة من أولاد الأمراء المقتولين، منهم: ابن الأمير منطاش و غيره و أنعم عليهم بقماش و ذهب و عمل السلطان مهمّا عظيما بالقلعة للنساء فقط و لم يعمل للرجال، مخافة على الأمراء من الكلف.

و فى يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة عمل السلطان مهمّا عظيما بالميدان تحت القلعة، سببه: أنه لعب بالكرة مع الأمراء على العادة، فغلب السلطان الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۱

الكبير أيتمش البجاسى، فلزم أيتمش عمل مهمّ بمائتى ألف درهم فضة، كونه غلب، فقام عنه السلطان بذلك و ألزم السلطان الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى و الأمير يلبغا الأستادار و نصبت الخيم بالميدان و عمل المهم، و كان فيه من اللحم عشرون ألف رطل و مائتا زوج إوز و ألف طائر من الدّجاج و عشرون فرسا و ثلاثون قنطارا من السكر و ثلاثون قنطارا من الزبيب عملت أقساما و ستون إردبا دقيقا لعمل البوزا و عملت المسكرات فى دنان من الفخّار.

و نزل السلطان سحر يوم السبت المذكور، و فى عزمه أن يقيم نهاره مع الأمراء و المماليك، يعاقر الشراب، فأشار عليه بعض ثقاته بترك ذلك و خوّفه العاقبة، فمدّ السّماط و عاد إلى القصر، قبل طلوع الشمس، و أنعم على كلّ من الأمراء المقدّمين بفرس بقماش ذهب، و أذن السلطان للعامّة فى انتهاب ما بقى من الأكل و الشراب، قال المقريزى: «فكان يوما فى غاية القبح و الشّناعة أبيحت فيه المسكرات و تجاهر الناس فيه بالفواحش، بما لم يعهد مثله، و فطن أهل المعرفة بزوال الأمر، فكان كذلك، و من يومئذ انتهكت الحرمات بديار مصر و قلّ الاحتشام». انتهى كلام المقريزى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۲

ذكر وقعة علىّ باى مع السلطان الملك الظاهر برقوق

لمّا كان يوم السبت تاسع عشر ذى القعدة من سنة ثمانمائة أو فى النيل و قدم أيضا البريد بقتل سولى بن دلغادر أمير التّركمان، فركب السلطان بعد صلاة الظهر يريد المقياس ليخلّقه و يفتح خليج السّدّ على العادة، و معه جميع الأمراء إلّا الأمير عليّا باى الخازندار، فإنه كان انقطع بداره أياما و تمارض و فى باطن أمره أنه قصد الفتك بالسلطان، فإنّه علم أنه إذا نزل لفتح الخليج يدخل إليه و يعوده كما جرت به عادته مع الأمراء فدبّر علّى باى على السلطان و أخلى إسطبله من الخيل و داره من حريمه، و أعدّ قوما اختارهم من مماليكه، فتهيئوا لذلك فرآهم شخص كان يسكن بأعلى الكبش من المماليك اليلبغاويّة يسمى سودون الأعور، فركب إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۳

الملك الظاهر فى أثناء طريقه بعد تخليق المقياس و فتح خليج السدّ و أسرّ إليه أنه شاهد من سكنه مماليك علىّ باى و قد لبسوا آلة الحرب و وقفوا عند بوائك الخيل من إسطبله و ستروا البوائك بالأنخاخ ليخفى أمرهم، فقال له: السلطان اكتم ما معك، فلم يبد السلطان ذلك إلا لأكابر أمرائه.

ثم أمر السلطان الأمير أرسطاى رأس نوبة أن يتوجّه إلى دار علىّ باى و يعلمه أن السلطان يدخل إليه لعيادته، فتوجّه أرسطاى عادة و أعلم عليّا باى بذلك، فلمّا بلغ عليّا باى أن السلطان يعوده اطمأن و ظنّ أن حيلته تمّت و وقف أرسطاى على باب علىّ باى ينتظر قدوم السلطان، و عند ما بعث السلطان أرسطاى إلى علىّ باى أمر الجاويشية بالسكوت فسكتوا عن الصّياح أمام السلطان.

ثم أبعد السلطان العصائب السلطانية عنه و أيضا السّنجق الذى يحمل على رأس السلطان و تقدّم عنهم حتى صار بينه و بين العصائب مدى بعيدا من خلفه و سار السلطان كآحاد الأمراء و سار حتى وافى الكبش، و هو تجاه دار علىّ باى و الناس قد اجتمعوا للفرجة على موكب السلطان، فصاحت امرأة من أعلى الكبش على السلطان لا تدخل، فإنّهم قد لبسوا لقتالك، فحرّك السلطان فرسه و أسرع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۴

فى المشى و معه الأمراء و من ورائه المماليك الخاصّكيّة يريد القلعة، و كان باب علىّ باى مردود الدّرفتين، و ضبّته مطرقة ليمنع الناس من الدخول إليه، حتى يأتى السلطان، فلمّا مرّ السلطان و لم يعلم به من ندبه علىّ باى لرؤية السلطان و إعلامه به، حتى جاوزهم السلطان بما دبّره السلطان من المكيدة بتأخير العصائب السلطانية و السّنجق و الجاويشيّة و تقدّمه عنهم.

ثم بلغ عليّا باى أن السلطان فاته، فركب و بادر أحد أصحابه يريد فتح الضّبّة فأغلقها، و إلى أن يحضر مفتاح الضّبّة و يفتحونها، فاتهم السلطان و صار بينه و بينهم سدّ عظيم من الجمداريّة و الغلمان و غيرهم، فخرج علىّ باى و من معه من أصحابه لابسين السلاح، و عدّتهم نحو الأربعين فارسا يريدون السلطان، و قد ساق السلطان و معه الأمراء، حتى دخل باب السلسلة و امتنع به، فوقف على باى من معه تجاه باب السلسلة، فنزل إليه فى الحال طائفة من المماليك السلطانية لقتاله، فقاتلهم، و ثبت لهم ساعة حتى جرح من الفريقين جماعة و قتل من المماليك السلطانية بيسق المصارع.

ثم انهزم علىّ باى و تفرّق عنه أصحابه، و قد ارتجت مصر و القاهرة، و ركب يلبغا المجنون الأستادار و معه مماليك لابسين يريد القلعة، و أرجف الناس بقتل السلطان و اشتدّ خوف الرعيّة و تشعّب الذّعر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۵

ثم لبست المماليك السلطانية السلاح، و أتى السلطان من كان غائبا عنه من الأمراء و الخاصكيّة و تحلّقوه.

فعندما طلع يلبغا الأحمدىّ المجنون الأستادار إلى السلطان و ثب عليه الخاصكيّة، و اتّهموه بموافقة علىّ باى لكونه جاء هو و مماليكه فى أسرع وقت بآلة الحرب، فأخذه اللّكم من الخاصكيّة من كل جهة، و نزعوا ما عليه من السلاح، و ألقوه إلى الأرض ليذبحوه، لولا أن السلطان منعهم من ذلك، فلمّا كفّوا عن ذبحه سجنوه بالزّردخاناه السلطانية مقيّدا.

ثم قبض على نكباى شادّ شرابخاناه علىّ باى، و قطّع قطعا بالسيوف، فإنّه أصل هذه الفتنة.

و سبب ركوب علىّ باى على السلطان و خبره أن نكباى هذا كان تعرّض لجارية من جوارى الأمير آقباى الطّرنطائى، و صار بينهما مشاكلة، فبلغ ذلك آقباى، فمسك نكباى المذكور و ضربه ضربا مبرّحا ثم أطلقه، فحنق علىّ باى من ذلك، و شكا آقباى للسلطان، فلم يلتفت السلطان إليه، و أعرض عنه، و كان فى زعمه أن السلطان يغضب على أقباى بسبب مملوكه، فغضب علىّ باى من ذلك، و دبّر هذه الحبلة الباردة، فكان فى تدبيره تدميره.

و بات السلطان تلك الليلة بالإسطبل السلطانى، و نهبت العامّة بيت علىّ باى حتى إنهم لم يبقوا به شيئا.

و أما علىّ باى فإنه لما رأى أمره تلاشى ذهب و اختفى فى مستوقد حمّام فقبض عليه و حمل إلى السلطان، فقيّده و سجنه بقاعة الفضّة من القلعة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۶

فلما أصبح النهار و هو نهار الأحد و العشرين من ذى القعدة نزع العسكر السلاح و تفرّقوا، و طلع السلطان إلى القلعة من الإسطبل و أخذ علىّ باى و عصره، فلم يقر على أحد، و أحضر يلبغا المجنون فخلف علىّ باى أنه لم يوافقه و لا علم بشىء من خبره، و حلف يلبغا أنه لم يعلم بما وقع، و أنه كان مع الوزير بمصر.

فلمّا أشيع بركوب علىّ باى لحق بداره، و لبس السلاح ليقاتل عليّا باى، فأفرج عنه السلطان و خلع عليه باستمراره على الأستادارية و نزل إلى داره، فلم يجد بها شيئا، و جميع ما كان فيها نهبته العامّة حتى سلبت جواريه و فرّت امرأته خوند بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين، و أخذوا حتى رخام بيته و أبوابه، و تشعّثت داره و صارت خرابا، و الدار هى التى على بركة الناصرى بيت سونجبغا الناصرى الآن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۷

ثم قدم البريد على السلطان من حلب بأن أولاد ابن بزدغان من التّركمان و الأمير عثمان بن طر على المدعو قرايلك تقاتلوا مع القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، فقتل برهان الدين فى المعركة و قام من بعده ابنه.

ثم فى يوم الاثنين حادى عشرين ذى القعدة جلس السلطان بدار العدل و عصر عليّا باى المذكور فلم يقر على أحد.

و بينما السلطان فى ذلك إذا بهجّة عظيمة قامت فى الناس، فلبس العسكر و وقفوا تحت القلعة؛ و قد غلقت أبواب القلعة، و أشيع أن يلبغا المجنون، و الأمير آقبغا الطّولوتمرى المعروف باللّكّاش أمير مجلس خامرا على السلطان، و لم يكن الأمر كذلك و بلغ اللكاش ذلك، فركب من وقته فطلع إلى القلعة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۸

و أمّا يلبغا المجنون فإنه كان فى بيت الأمير فرج، فركب فرج المذكور ليعلم السلطان بأنه كان فى داره بالقاهرة حتى يبرأ ممّا رمى به، و طلع فى الحال جميع الأمراء، فأمر السلطان بقلع السلاح و نزول كلّ أحد إلى داره، و سكن الأمر و نودى بالأمان و الاطمئنان.

ثم فى ليلة الثلاثاء عذّب على باى أيضا بين يدى السلطان عذابا شديدا، كسرت فيه رجلاه و ركبتاه و خسف صدره، فلم يقرّ على أحد، ثم أخذ إلى خارج و خنق، فتنكّرت الأمراء و كثر خوفهم من السلطان، خشية أن يكون علىّ باى ذكر أحدا منهم من حرارة العقوبة، و من يومئذ فسد أمر السلطان مع مماليكه الجراكسة، و دخل السلطان إلى زوجته خوند الكبرى أرد و كانت تركية الجنس، و كانت تحذره عن اقتناء المماليك الجراكسة و تقول له: اجعل عسكرك أبلق من أربعة أجناس:

تتر و جاركس و روم و تركمان، تستريح أنت و ذريّتك، فقال لها: الذى كنت أشرت به علىّ هو الصواب، و لكن هذا كان مقدّرا و نرجو اللّه تعالى إصلاح الأمر من اليوم.

ثمّ فى يوم الثلاثاء أمر السلطان الأمير يلبغا المجنون أن ينفق على المماليك السلطانية، فأعطى الأعيان منهم خمسمائة درهم، فلم يرضهم ذلك و كثرت الإشاعات الردية و الإرجاف بوقوع فتنة و باتوا ليلة الخميس على تخوّف، و لم تفتح الأسواق فى يوم الخميس،

فنودى بالأمان و البيع و الشراء، و لا يتحدّث أحد فيما لا يعنيه.

ثمّ أنعم السلطان على الأمير أرسطاى بتقدمة علىّ باى، و وظيفته رأس نوبة النّوب، و أنعم على الأمير تمان تمر الناصرى بإقطاع أرسطاى، و الإقطاع: إمرة طبلخاناه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۹

ثم فى سادس عشرينه نزل الأمير فارس حاجب الحجاب، و الأمير تمربغا المنجكى أحد أمراء الألوف، و حاجب ثانى، و قبضا على الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرىّ المعروف بالمجنون الأستادار من داره، و بعثاه فى النّيل إلى ثغردمياط و استقرّ عوضه أستادارا الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر بإمرة خمسين فارسا و أنعم السلطان على الأمير بكتمر جلّق الظاهرى رأس نوبة بتقدمة ألف عوضا عن يلبغا المجنون.

و فى يوم السبت ثالث ذى الحجة خلع السلطان على أميرين باستقرارهما رءوس نوب صغارا و هما: طولو بن على باشا الظاهرى و سودون الظريف الظاهرىّ.

و فى يوم الأحد رابع ذى الحجة سمّر السلطان أربعة نفر من مماليك علىّ باى ثم وسّطوا.

ثم رسم السلطان بإحضار الأمير بكلمش العلائىّ أمير سلاح كان من سجنه بالإسكندرية و توجّه إلى القدس بطّالا على ما كان للأمير شيخ الصّفوى من المرتّب.

ثمّ استهلّ القرن التاسع: أعنى- سنة إحدى و ثمانمائة- و الخليفة المتوكّل على اللّه أبو عبد اللّه محمد العباسى و السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۰

ابن أنص الجاركسى اليلبغاوىّ و القاضى الشافعىّ تقى الدين عبد الرحمن الزّبيرى و القاضى الحنفى جمال الدين يوسف الملطىّ و القاضى المالكى ناصر الدين أحمد التّنسى و الحنبلىّ برهان الدين إبراهيم بن نصر اللّه، و الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ، و أمير سلاح تغرى بردى بن يشبغا الظاهرى (أعنى عن الوالد) و أمير مجلس آقبغا اللكّاش الظاهرى، و الأمير آخور نوروز الحافظى الظاهرى، و حاجب الحجاب فارس الظاهرى و الدوادار بيبرس ابن أخت الملك الظاهر برقوق و رأس نوبة النّوب أرسطاى.

و نوّاب البلاد صاحب مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان الحسنىّ المكّى و أمير المدينة النبوية- على ساكنها أفضل الصلاة و السلام- الشريف ثابت بن نعير الحسينىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۱

و نائب الشام الأمير تنبك الحسنى المعروف بتنم الظاهرى، و نائب حلب أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى، و نائب طرابلس يونس الظاهرى المعروف بيونس بلطا، و نائب حماة آقبغا الجمالى، و نائب صفد شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على و نائب غزّة بيخجا المعروف بطيفور الظاهرى، و نائب الإسكندرية صرغتمش القزوينى و جميع من ذكرنا من النوّاب بالبلاد الشامية و أصحاب الوظائف بالديار المصريه هم مماليك الظاهر برقوق و مشترواته، ما خلا- نائب صفد و هو أيضا نشؤه، و الأتابك أيتمش و قد اشتراه بعد سلطنته، حسبما تقدم ذكره أنه اشتراه من أولاد معتق أستاذه.

ثم فى يوم سابع عشر المحرم المذكور سمّر السلطان سبعة نفر من المماليك يقال لأحدهم: آقبغا الفيل الظاهرى و آخر من إخوة علىّ باى ظاهرى أيضا و الباقى من مماليك علىّ باى و شهّروا بالقاهرة، ثم وسّطوا.

و فيه أيضا تنكّر السلطان على سودون الحمزاوى الخاصّكى الظاهرى و ضربه ضربا مبرّحا و سجنه بخزانة شمائل مدّة، ثم أخرجه منفيّا إلى بلاد الشام لأمر اقتضى ذلك.

و فى هذا الشهر توعّك السلطان و حدث له إسهال مفرط لزم منه الفراش مدّة تزيد على عشرين يوما.

و رسم السلطان بتفرقة مال على الفقراء، ففرّق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كثير و ازدحموا لأخذ الذهب، فمات فى الزّحام منهم سبعة و خمسون شخصا، ما بين رجل و امرأة و صغير، قاله المقريزى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۲

و فى يوم ثانى عشره رسم السلطان بجمع أهل الإسطبل السلطانى من الأمير آخورية و السلاخورية و نحوهم، فاجتمعوا و نزل السلطان من القصر إلى مقعده بالإصطبل السلطانى، و هو متوعّك البدن لعرضهم، و عرضهم حتى انقضى العرض، فأمسك جرباش الظاهرى أحد الأمير آخورية الأجناد و قال له بعد ذلك على ما ذا تريد قتلى و أنا أستاذك! فلم ينزعج جرباش المذكور و قال: بعد أن أشار بيده الى حياصته: أكون أنا لابس حياصة و هؤلاء أمراء، و أشار لمن حول السلطان من الأمراء من مماليكه، و هم الجميع أقلّ منى و بعدى شريتهم، فأشار السلطان بأخذه، فأخذ و سجن، فكان ذلك آخر العهد به.

ثم عرض السلطان الخيل و فرّق خيل السّباق على الأمراء، كما كانت العادة يوم ذلك.

ثم عرض الجمال البخاتى، كلّ ذلك تشاغل، و المقصود القبض على الأمير نوروز الحافظى الظاهرى الأمير آخور الكبير، ثم أظهر السلطان أنه تعب و اتّكأ على الأمير نوروز و مشى من الإسطبل متكئا عليه، حتى وصل إلى الباب الذى يطلع منه إلى القصر، فأدار السلطان يده على عنق نوروز المذكور، فبادر الخاصّكيّة إليه باللّكم حتى سقط إلى الأرض، ثم قبضوا عليه و حملوه مقيّدا إلى السجن، و دخل السلطان من الباب و طلع إلى القلعة، و كان للأمير نوروز ذنوب كثيرة: منها الممالأة لعلىّ باى، و معه أيضا الأمير آقبغا اللّكّاش، ثم تخاذل نوروز فى فتح باب السلسلة للسلطان يوم وقعة علىّ باى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۳

ثمّ بعد ذلك بلغ السلطان أن نوروز المذكور قصد الركوب عليه، فمنعته أصحابه، و أشاروا عليه أن يصير حتى ينتظر ما يصير من أمر السلطان فى مرضه، فإن مات فقد حصل له القصد من غير تعب و لا شنعة، و إن تعافى من مرضه فليفعل عند ذلك ما شاء.

و كان ممن حضر هذه المشورة مملوك من خاصّكية الملك الظاهر، فلم يعجب نوروز ذلك، و قرّر مع أصحابه من الخاصّكية الذين وافقوه أنه إذا كان ليلة نوبتهم فى خدمة القصر و دخلوا مع السلطان فى القصر الصغير المعروف بالخرجة المطلّ على الإسطبل السلطانى يثبون عليه بمن اتفق معهم و يقتلون السلطان على فراشه، ثم يكسرون الثّريّة المعلقة بقناديلها الموقدة يكون ذلك إشارة بينهم و بين نوروز، بعد قتل السلطان، فيركب نوروز عند ذلك و يملك القلعة من غير قتال، فأخذ الخاصّكية يستميلون جماعة أخر من الخاصكية ليكثر جمعهم، و كان من جملة من استمالوه قانى باى الصغير الخاصكىّ و أظنه الذى ولى نيابة الشام فى دولة الملك المؤيّد شيخ، و اللّه أعلم. فأجابهما قانى باى بالسمع و الطاعة و حلف لهم على الموافاة، ثم فارقهم و دخل إلى السلطان من فوره و قعد لتكبيسه، فحكى له القصة بتمامها و كمالها، فاحترز الملك الظاهر على نفسه و دبّر على نوروز حتى قبض عليه.

ثم بعد مدة فى يوم السبت رابع صفر خلع السلطان على الأمير آقبغا اللّكّاش الظاهرىّ بنيابة الكرك و أخرج من ساعته و أذن له بالإقامة بخانقاه سرياقوس حتى يجهّز أمره، و وكّل به الأمير تنبك الكركى الخاصّكى و هو مسفّره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۴

ثم فى ليلة الأحد أنزل الأمير نوروز الحافظى من القلعة مقيّدا إلى سجن الإسكندرية و مسفّره الأمير أردبغا الظاهرى أحد أمراء العشرات.

ثم قبض السلطان على قوزى الخاصّكى أحد من كان اتفق مع نوروز و سلّم إلى والى القاهرة.

ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز الحافظى على تمراز الناصرى، و صار من جملة مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و أنعم على سودون الماردينىّ بإقطاع آقبغا اللّكّاش، و هو تقدمة ألف أيضا، و خلع على الأمير أرغون شاه البيدمرى الظاهرى باستقراره أمير مجلس، عوضا عن آقبغا اللكاش المذكور، و خلع على سودون المعروف بسيّدى سودون قريب الملك الظاهر برقوق باستقراره أمير

آخور عوضا عن نوروز الحافظىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۵

و فى ثالث عشرين صفر أيضا أملى بعض المماليك السلطانية إليه بالأطباق على بعض فقهاء الأطباق أسماء جماعة من الأمراء و المماليك، أنهم اتفقوا على إقامة فتنة و القيام على السلطان و كتبها و دخل بها المملوك على السلطان، فلما قرئت الورقة على السلطان، استدعى المذكورين و أخبرهم بما قيل عنهم، فخلفوا أن هذا شىء لم يسمعوه إلا الآن، و حلّوا أوساطهم و رموا سيوفهم، و قالوا يوسّطنا السلطان أو يخبرنا بمن قال هذا عنا، فأحضر السلطان المملوك و سلّمه إليهم و ضربوه نحو الألف عصا، حتى أقرّ أنه اختلق هذا الكلام عليهم حنقا من واحد منهم، و سمّى شخصا كان خاصمه قبل ذلك.

ثم أحضر السلطان الفقيه الذى كتب الورقة و ضربه بالمقارع و سمر، ثم شفع فيه من القتل و حبس بخزانة شمائل.

و لما وصل الأمير آقبغا اللكاش إلى غزة متوجّها إلى محل كفالته بمدينة الكرك، قبض عليه بها و أحيط على سائر ما كان معه، و حمل إلى قلعة الصّبيبة فسجن بها.

ثم ورد الخبر على السلطان فى صفر المذكور أن السكّة ضربت باسمه بمدينة ماردين، و خطب له بها و حملت له الدنانير و الدراهم و عليها اسم السلطان.

ثم فى شهر ربيع الأول فى رابعه، ورد الخبر على السلطان بموت الأمير أرغون الإبراهيمى الظاهرى نائب حلب، فرسم السلطان أن ينقل الأمير آقبغا الجمالى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۶

الظاهرى المعروف بالأطروش من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، و حمل إليه التقليد و التشريف إينال باى بن قجماس، و رسم أيضا باستقرار يونس بلطا نائب حماة فى نيابة طرابلس عوضا عن آقبغا المذكور، و توجّه بتقليده و تشريفه الأمير يلبغا الناصرى الظاهرى، و رسم أن يستقر دمرداش المحمدى أتابك حلب فى نيابة حماة، و توجه بتقليده الأمير شيخ المحمودى الساقى رأس نوبة و هو الذى تسلطن

ثم خلع السلطان على الأمير سودون الظاهرى المعروف بالظريف فى نيابة الكرك.

و فى خامس عشر شهر ربيع الأول أنعم السلطان على الوالد بجميع سرحة البحيرة و داخلها مدينة الإسكندرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۷

ثم فى سلخ ربيع الأول المذكور أمسك السلطان الأمير عزّ الدين أزدمر أخا إينال اليوسفى و أمسك معه ناصر الدين محمد بن إينال اليوسفىّ و نفيا إلى الشام.

ثم فى يوم الأربعاء أوّل شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير سراى تمرشلّق الناصرى أحد أمراء الطبلخانات و رأس نوبة بديار مصر باستقراره أتابك العساكر بحلب عوضا عن دمرداش المحمّدى المنتقل إلى نيابة حماة.

ثم فى عشرينه أنعم السلطان على الأمير على بن إينال اليوسفى بخبز أخيه محمد، و أمير علىّ هذا هو أستاذ الملك الظاهر جقمق الآتى ذكره، و به عرف بالعلائىّ.

و فيه أنعم السلطان على كلّ من سودون من زادة الظاهرى، و تغرى بردى الجلبانى، و منكلى بغا الناصرى، و بكتمر الظاهرى، و أحمد بن عمر الحسنى بإمرة طبلخاناة بالديار المصرية.

و أنعم أيضا على كلّ من بشباى الظاهرى، و تمربغا من باشاه، و شاهين من إسلام الأفرم الظاهرىّ، و جوبان العثمانى الظاهرى، و جكم من عوض الظاهرى بإمرة عشرة.

ثم فى خامس عشرينه طلع إلى السلطان رجل عجمىّ، و هو جالس للحكم بين الناس و هيئته كهيئة الصوفية، و جلس بجانب السلطان،

و مدّ يده إلى لحيته ليقبض عليها و سبّه سبّا قبيحا، فبادر إليه رءوس النّوب و أقاموه، و مرّوا به، و هو مستمرّ فى السبّ، فأمر به السلطان، فسلّم لوالى القاهرة، فأخذه الوالى و نزل به و عاقبه حتى مات تحت العقوبة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۸

ثم فى يوم الخميس سلخه خلع السلطان على تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج ابن نقولا الأرمنىّ الأسلمىّ والى قطيا باستقراره وزيرا عوضا عن الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى.

و فى رابع جمادى الأولى رسم السلطان بإحضار الأمير يلبغا الأحمدى المجنون من ثغردمياط.

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى المذكور رسم السلطان باستدعاء رئيس الأطبّاء فتح الدين فتح اللّه بن معتصم بن نفيس الداودىّ التّبريزى و خلع عليه باستقراره فى كتابة السّر، بعد موت القاضى بدر الدين محمود الكلستانى، و كان نفيس جدّ فتح اللّه هذا يهوديّا من أولاد نبىّ اللّه داود عليه السلام.

و فى رابع عشرينه خلع السلطان على الأمير فرج الحلبى أستدار الذخيرة و الأملاك باستقراره فى نيابة الإسكندرية.

ثمّ فى يوم الاثنين ثامن شهر رجب رسم السلطان بانتقال الأمير جقمق الصّفوى حاجب حجّاب حلب إلى نيابة ملطية بعد عزل دقماق المحمّدىّ الظاهرىّ و جهّز تقليده على يد مقبل الخازندار الظاهرى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۹

ثمّ فى حادى عشرين شهر رجب المذكور خلع السلطان على الشيخ تقى الدين المقريزى المؤرّخ باستقراره فى الحسبة بالقاهرة، عوضا عن شمس الدين البجاسىّ.

ثم فى خامس عشرينه أعيد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى إلى قضاء الشافعيّة بالديار المصرية، بعد عزل قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن الزبيرىّ.

و فى هذه الأيام أعيد أيضا يلبغا المجنون إلى وظيفة الأستادارية، بعد عزل ناصر الدين محمد بن سنقر، و استقر ابن سنقر أستادار الذخيرة و الأملاك عوضا عن فرج المنتقل إلى نيابة الإسكندريّة.

ثم كتب السلطان للأمير تنم الحسنىّ نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على نائب صفد و على الأمير جلبان الكمشبغاوى الظاهرى المعروف بقراسقل أتابك دمشق، فورد مرسوم السلطان على تنم و هو بالغور فاستدعى نائب صفد المذكور و قبض عليه، ثم قبض على الأمير جلبان المذكور و بعث بهما إلى قلعة دمشق فسجنا بها.

و رسم السلطان بنقل الأمير ألطنبغا العثمانى الظاهرى من حجوبيّة دمشق إلى نيابة صفد، و نقل الأمير بيخجا الشرفى المعروف بطيفور نائب غزة منها إلى حجوبية دمشق، و نقل ألطنبغا الظاهرىّ نائب الكرك كان إلى نيابة غزة.

ثم فى تاسع شعبان خلع السلطان على كمال الدين عمر بن العديم باستقراره قاضى قضاة حلب بسفارة الوالد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۰

ثم فى رابع عشرين شهر رمضان كتب السلطان بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ علىّ من محبسه بقلعة دمشق و استقراره أتابك العساكر بها، عوضا عن الأمير جلبان قراسقل.

ثم فى سابع عشرينه أخرج الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى من خزانة شمائل و سلّم للأمير يلبغا المجنون الأستادار.

ثم قدم الخبر على السلطان بموت الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ بسجن الإسكندرية، فابتهج السلطان بموته، و رأى أنه قد تمّ له أمره، فإنه آخر من بقى من اليلبغاويّة الأمراء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۱

و أصبح من الغد فى يوم الجمعة و هو أوّل شوّال، صلّى صلاة العيد بالميدان على العادة، ثم صلّى الجمعة بجامع القلعة فتفاءل الناس

بزوال السلطان، كونه خطب بمصر فى يوم واحد مرّتين.

قلت: و هذه القاعدة غير صحيحة، فإنّ ذلك وقع للملك الظاهر جقمق فى أوّل سنين سلطنته، ثم وقع ذلك فى سلطنة الملك الأشرف إينال.

ثم فى سادس شوّال أخرج ابن الطبلاوىّ علاء الدين منفيّا إلى الكرك و معه نقيب واحد.

و فى يوم الثلاثاء خامس شوّال من سنة إحدى و ثمانمائة، فيه كان ابتداء مرض السلطان الملك الظاهر برقوق و سببه أنّه ركب للعب الكرة بالميدان،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۲

فلما فرغ منه قدم عليه عسل نخل ورد من كختا، فأكل منه و من لحم بلشون مشوىّ.

ثم دخل إلى مجلس أنسه و شرب مع ندمائه، فاستحال ذلك خلطا رديئا لزم منه الفراش من ليلته.

ثم أصبح و عليه حمّى شديدة الحرارة، ثم تنوّع مرضه، و أخذ فى الزيادة من اليوم الثالث و ليلة الرابع، و هو البحران الأوّل، فأنذر عن السابع إنذارا رديئا لشدّة الحمى و ضعف القوّة، حتى أيس منه، و أرجف بموته فى يوم السبت تاسعه، و استمرّ أمره فى الزيادة إلى يوم الأربعاء ثالث عشره، فقوى الإرجاف بموته، و غلّقت الأسواق، فركب الوالى و نادى بالأمان.

فلما أصبح يوم الخميس استدعى السلطان الخليفة المتوكل على اللّه و قضاة القضاة و سائر الأمراء و جميع أرباب الدولة، فحضر الجميع فى مجلس السلطان، فحدّثهم السلطان فى العهد لأولاده، و ابتدأ الخليفة بالحلف للأمير فرج ابن السلطان، و أنه هو السلطان بعد وفاة أبيه.

ثم حلف القضاة و الأمراء و جميع أرباب الدولة، و تولى تحليفهم كاتب السرّ فتح اللّه، فلما تمّ الحلف للأمير فرج، حلفوا أن يكون القائم بعد فرج أخوه عبد العزيز، و بعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۳

ثم كتبت وصيّة السلطان، فأوصى لزوجاته و سراريه و خدّامه بمائتى ألف دينار و عشرين ألف دينار، و أن يعمّر له تربة بالصحراء خارج باب النصر تجاه تربة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۴

الأمير يونس الدّوادار بثمانين ألف دينار، و يشترى بما فضل عن عمارة التربة المذكورة عقار ليوقف عليها، و أن يدفن السلطان الملك الظاهر برقوق بها فى لحد تحت أرجل الفقراء: و هم الشيخ علاء الدين السيرامىّ الحنفىّ، و الشيخ أمين الدين الخلواتى الحنفىّ، و المعتقد عبد اللّه الجبرتىّ، و المعتقد طلحة، و الشيخ المعتقد أبو بكر البجائىّ، و المجذوب أحمد الزهورىّ، و قرّر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير ابنه فرج، و أن يكون وصيّا على تركته و معه تغرى بردى بن بشبغا أمير السلاح، أعنى عن الوالد، و الأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان بعدهما، ثم الأمير قطلوبغا الكركىّ أحد أمراء العشرات، ثم الأمير يلبغا السالمىّ أحد أمراء العشرات أيضا، ثم سعد الدين إبراهيم بن غراب، و جعل الخليفة ناظرا على الجميع.

ثم انفضّ المجلس و نظر الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ إلى منزله، فوعد الناس أنه يبطل المظالم و أخذ البراطيل على المناصب و الولايات.

و أكثر السلطان فى مرضه من الصدقات، فبلغ ما تصدّق به فى هذا المرض أربعة عشرة ألف دينار و تسعمائة دينار و تسعة و تسعين دينارا، و أخذ فى النزع من بعد الظهر إلى أن مات السلطان الملك الظاهر برقوق من ليلته بعد نصف الليل.

و هى ليلة الجمعة خامس عشر شوّال، و قد تجاوز ستّين سنة من العمر، بعد أن حكم على الديار المصرية و الممالك الشامية أميرا كبيرا مدبرا و سلطانا إحدى و عشرين سنة و سبعة و خمسين يوما، منها تحكّمه بديار مصر، بعد مسك الأمير الكبير طشتمر العلائىّ

الدوادار أربع سنين و تسعة أشهر و عشرة أيام، و كان يسمّى إذ ذاك بالأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۵

الكبير نظام الملك، و منذ تسلطن سلطنته الأولى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع و ثمانين و سبعمائة إلى أن خلع و اختفى فى واقعة الناصرى و منطاش فى سنة إحدى و تسعين و سبعمائة، ست سنين و ثمانية أشهر و سبعة عشر يوما، و تسلطن عوضه الملك المنصور حاجّىّ ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين، و دام مخلوعا محبوسا، ثم خارجا بالبلاد الشامية ثمانية أشهر و ستة عشر يوما، و أعيد إلى السلطنة ثانيا، فمن يوم أعيد إلى سلطنته ثانية إلى أن مات فى ليلة الجمعة المذكورة تسع سنين و ثمانية أشهر، و تسلطن من بعده ابنه الملك الناصر فرج و جلس على تخت الملك حسبما يأتى ذكره فى سلطنته.

ثم أخذ الأمراء فى تجهيز السلطان الظاهر برقوق- رحمه اللّه- و غسّل و كفّن، و صلّى عليه بالقلعة قاضى القضاة صدر الدين المناوى، و حمل نعشه سائر الأمراء على أعناقهم إلى تربته، فدفن بها- حيث أوصى- على قارعة الطريق، و لم يكن بذلك المكان يوم ذاك حائط، و دفن قبل صلاة الجمعة، و نزل أمام نعشه سائر الأمراء و أرباب الدولة مشاة يصيحون و يصرخون بالبكاء و العويل، و قد امتلأت طرق الصحراء بالجوارىّ و النساء السّبيات الحاسرات منشّرات الشعور من حرم مماليكه و حواشيه، فكان يوما فيه عبرة لمن اعتبر، و لم يعهد قبله أحد من ملوك مصر دفن نهارا غيره، و ضربت الخيام على قبره، و قرئ القرآن أياما، و مدّت لهم الأسمطة العامة الهائلة، و تردّدت أكابر الدول فى كل ليلة إلى قبره عدّة أيام و كثر أسف الناس عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۶

قلت: و هو أوّل من ولى السلطنة من الجراكسة بالديار المصرية بعد الملك المظفّر بيبرس الجاشنكير، على خلاف فى بيبرس، و هو القائم بدولة الجراكسة، و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أوّل ترجمته.

و خلّف من الأولاد ثلاثة ذكور: الملك الناصر فرجا، و أمه أمّ ولد رومية تسمّى: «شيرين» و هى بنت عمّ الوالد، و قيل: أخته، و ماتت فى سلطنة ابنها الملك الناصر فرج. و عبد العزيز، و أمّه أمّ ولد أيضا تركيّة الجنس، تسمّى قنق باى، ماتت فى سنة خمس و ثلاثين و ثمانمائة، و إبراهيم، و أمّه خوند بركة، ماتت فى أواخر دولة الملك الأشرف برسباى.

و خلّف أيضا ثلاث بنات: خوند سارة و أمّها أمّ ولد، تزوّجها الأمير نوروز الحافظىّ، ثم مقبل الرومىّ، و ماتت فى سنة ست عشر و ثمانمائة بطريق دمشق، رخوند بيرم و أمّها خوند هاجر بنت منكلى بغا الشمسىّ، تزوجها إينال باى بن قجماس، و ماتت بالطاعون فى سنة تسع عشرة و ثمانمائة و خوند زينب، و أمّها أمّ ولد، تزوجها الملك المؤيّد شيخ، ثم من بعده الأتابك قجق، و ماتت فى حدود سنة ثلاثين و ثمانمائة.

و خلّف فى الخزانة و غيرها من الذّهب العين ألف ألف دينار و أربعمائة ألف دينار، و من الغلال و القنود و الأعسال و السكّر و الثياب و أنواع الفرو ما قيمته أيضا ألف ألف دينار و أربعمائة ألف دينار.

و خلّف من الخيل نحو ستّة آلاف فرس، و من الجمال نحو خمسة آلاف جمل، و من البغال و حمير التراب عدّة كبيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۷

و بلغت عدّة مماليكه المشتروات خمسة آلاف مملوك، و بلغت جوامكه مماليكه فى كل شهر نحو أربعمائة ألف درهم فضة، و علىق خيولهم فى الشهر ثلاثة عشر ألف إردب شعير، و علىق خيوله بالإسطبل السلطانى و غيره، و جمال النّفر و أبقار السواقى و حمير التراب فى كل شهر أحد عشر ألف إردب من الشعير و الفول.

و كان ملكا جليلا حازما شهما شجاعا مقداما صارما فطنا عارفا بالأمور و الوقائع و الحروب، و مما يدل على فرط شجاعته وثوبه على الملك و هو من جملة أمراء الطبلخانات، و تملّكه الديار المصرية من تلك الشجعان، و ما وقع له مع الناصرىّ و منطاش عند خلعة من السلطنة كان خذلانا من اللّه تعالى (ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا)، و ما وقع له بعد خروجه من حبس الكرك، فهو من أكبر الأدلة على

شجاعته و إقدامه.

و كان- رحمه اللّه- سيوسا عاقلا ثبتا، و عنده شهامة عظيمة و رأى جيّد و مكر شديد و حدس صائب، و كان يتروّى فى الشيء المدّة الطويلة حتى يفعله، و يتأنّى فى أموره، مع طمع كان فيه و شره فى جمع المال، و كان يحب الاستكثار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۸

من المماليك، و يقدّم جنس المماليك الجراكسة على غيره، ثم ندم على ذلك فى أواخر عمره، بعد فتنة علىّ باى.

و كان يحب اقتناء الخيول و الجمال، و كان يتصدّى للأحكام بنفسه و يباشر أحكام المملكة برأيه و تدبيره، فيصيب فى غالب أموره، على أنه كان كثير المشورة لأرباب التجارب، يأخذ رأيهم فيما يفعله، ثم يقيس رأيهم على حدسه، فيظهر له ما يفعله.

و كان يحب أهل الخير و الصلاح، و له اعتقاد جيّد فى الفقراء و الصّلحاء، و كان يقوم للفقهاء و الصلحاء إذا دخل عليه أحد منهم، و لم يكن يعهد هذا من ملك كان قبله من ملوك مصر، على أنه صار يعض من الفقهاء فى سلطنته الثانية، من أجل أنهم أفتوا فى قتاله و قتله، لاسيما القاضى ناصر الدين ابن بنت ميلق، فإنه كان كثير الاعتقاد فيه، و مع شدّة حنقه عليهم كان لا يترك إكرامهم.

و كان كثير الصّدقات و المعروف، أوقف ناحية بهتيت على سحابة تسير مع الحج إلى مكة فى كلّ سنة، و معها جمال تحمل المشاة من الحاج و تصرف لهم ما يحتاجون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۹

إليه من الماء و الزاد ذهابا و إيابا، و وقف أيضا أرضا على قبور إخوة يوسف عليه السلام بالقرافة، و كان يذبح دائما فى طول أيام إمارته و سلطنته فى كلّ يوم من أيام شهر رمضان خمسا و عشرين بقرة، يتصدّق بها بعد ما أن تطبخ، و معها آلاف من أرغفة الخبز النّقى، تفرّق على أهل الجوامع و المساجد و الرّبط و أهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ، و ثلاثة أرغفة، و هذا، غير ما كان يفرّق فى الزوايا من اللحم أيضا، فإنه كان يعطى لكل زاوية خمسين رطلا من اللحم الضأن، و عدّة أرغفة فى كل يوم، و فيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم و كان يفرق فى كل سنة فى أهل العلم و الصلاح مائتى ألف درهم، الواحد إلى مائة دينار، و كان يفرّق فى فقراء القرافتين لكل فقير من دينار إلى أكثر و أقلّ، و يفرّق فى كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحا على أهل الخير و أرباب الصلاح.

و يبعث فى كل سنة إلى بلاد الحجاز ثلاثة آلاف إردب قمحا، تفرّق فى الحرمين و فرّق فى مدة الغلاء كلّ يوم أربعين إردبا؛ عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد من الجوع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۰

و كان غير هذا كلّه يبعث فى كل قليل بجملة من الذهب تفرّق فى الفقهاء و الفقراء، حتى إنه تصدّق مرة بخمسين ألف دينار مصرية على يد خازنداره العبد الصالح الطواشى صندل المنجكى الرومىّ.

و أبطل عدّة مكوس: منها ما كان يؤخذ من أهل شورى و بلطيم من البرلّس، و كانت شبه الجالية فى كل سنة. قلت: أعيد ذلك فى سلطنة الملك الظاهر جقمق.

و أبطل ما كان يؤخذ على القمح بثغردمياط عما تبتاعه الفقراء و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۱

و أبطل مكس معمل الفراريج بال؟؟؟ ريرية و ما معها من بلاد الغربية، و أبطل مكس الملح بعينتاب، و مكس الدقيق بالبيرة، و أبطل من طرابلس ما كان مقرّرا على قضاة البرّ و ولاة الأعمال عند قدوم النائب إليها، و هو مبلغ خمسمائة درهم على كلّ منهم، أو بغلة بدل ذلك.

و أبطل ما كان يؤخذ على الدّريس و الحلفاء بباب النصر خارج القاهرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۲

و أبطل ضمان المغانی بمدینة الکرک و الشّوبک، و بمنیة ابن خصیب، و أعمال الأشمونین و زفتة و منیة غمر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۳

و أبطل رمی الأبقار بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضی مصر علی البطّالین بالوجه البحریّ.

و أنشأ بالقاهرة مدرسته التی لم یعمر مثلها ببین القصرین، و رتّب لها صوفیة بعد العصر کلّ یوم، و جعل بها سبعة دروس لأهل العلم علی المذاهب الأربعة أعظمهم بالإیوان القبلیّ الحنفی، ثم درسا للتفسیر، و درسا للحدیث، و درسا للقراءات. و أجری علی الجمیع فی کلّ یوم الخبز و لحم الضّأن المطبوخ، و فی الشهر الحلوی و الزیت و الصابون و الدراهم، و وقف علی ذلک الأوقاف الجلیلة من الأراضی و الدّور و نحوها.

و عمّر جسرا علی نهر الأردن بالغور فی طریق دمشق، طوله مائة و عشرون ذراعا فی عرض عشرین ذراعا، و جدّد خزائن السلاح بثغر الإسکندریة، و سور

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۴

دمنهور، و عمّر جبال الشرقیة بالفیوم، و زاویة البرزخ بدمیاط، و قناة العرّوب بالقدس، و بنی أیضا برکة بطریق الحجاز، و برکة أخری برأس وادی بنی سالم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۵

و جدّد عمارة القناة التی تحمل ماء النیل إلی قلعة الجبل، و جدّد عمارة المیدان من تحت القلعة، بعد ما کان خرب، و سقاه و زرع به الفرط، و غرس فیه النخل، و عمر صهریجا و مکتبا یقرأ فیه أیتام المسلمین القرآن الکریم بقلعة الجبل، و جعل علیه وقفا، و عمّر أیضا بالقلعة طاحونا، و عمر أیضا سبیلا تجاه باب دار الضیافة تجاه القلعة.

و خطب له علی منابر تبریز، عند ما أخذها قرا محمد التّرکمانی، و ضربت الدنانیر و الدراهم فیها باسمه و خطب له علی منابر الموصل من العراق، و علی منابر ماردین بدیار بکر، و منابر سنجار، و خرب عساکره مدینة دورکی و أرزن کان من أرض الروم.

و کان نائبه بالدیار المصریة الأمیر سودون الفخریّ الشیخونیّ إلی أن مات سودون المذکور، فلم یستنب الملک الظاهر أحدا بعده.

و کانت نوّابه بدمشق (أعنی الذین تولوا فی أیام سلطنته): الأمیر بیدمر الخوارزمی، و إشقتمر المارداینیّ، و ألطنبغا الجوبانیّ غیر مرة، و طرنطای السیفیّ،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۶

و یلبغا الناصری صاحب الوقعة معه، و بطا الطّولوتمریّ الظاهریّ المعروف بتنم، و مات الملک الظاهر و هو علی نیابتها.

و نوّابه بحلب: یلبغا الناصریّ غیر مرّة، و سودون المظفّریّ و کمشبغا الحمویّ و قرادمرداش الأحمدیّ و جلبان الکمشبغاویّ الظاهریّ قراسقل و تغری بردی من بشبغا الظاهریّ (أعنی الوالد) و أرغون شاه الإبراهیمی الظاهریّ و آقبغا الجمالی الظاهریّ الأطروش، و مات السلطان و هو علی نیابتها.

و نوّابه بطرابلس مأمور القلمطاویّ الیلبغاویّ و کمشبغا الحمویّ الیلبغاویّ و أسندمر السیفیّ، و قرا دمرداش الأحمدیّ الیلبغاویّ، و إینال بن خجا علی، و إیاس الجرجاوی، و دمرداش المحمدیّ الظاهریّ، و أرغون شاه الإبراهیمیّ الظاهریّ، و آقبغا الجمالیّ الظاهریّ الأطروش، و یونس بلطا الظاهریّ، و مات الملک الظاهر و هو علی نیابتها.

و نوّابه بحماة: صنجق الحسنیّ، و سودون المظفّریّ و سودون العلائیّ، و سودون العثمانیّ، و ناصر الدین محمد بن المهمندار، و مأمور القلمطاویّ الیلبغاویّ، و دمرداش المحمدیّ الظاهریّ ولیها مرّتین، و آقبغا السلطانیّ، و یونس بلطا الظاهری، ثم دمرداش المحمدی، و مات برقوق و هو علی نیابتها.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۷

و نوّابه بصفد: أرکماس السیفیّ، و بتحاص السّودونیّ، و ارغون شاه الإبراهیمی الظاهریّ و آقبغا الجمالیّ الأطروش الظاهریّ، و أحمد ابن الشیخ علیّ، و ألطنبغا العثمانیّ الظاهریّ، و مات الملک الظاهر و هو علی نیابتها.

و نوّابه بالکرک: طغای تمر القبلائی، و مأمور القلمطاویّ، الیلبغاوی، و قدید القلمطاویّ الیلبغاویّ، و یونس القشتمری، و أحمد ابن الشیخ علی، و بتخّاص السّودونیّ، و محمد بن مبارک شاه المهندار، و ألطنبغا الحاجب، و سودون الظریف الظاهریّ الشمسیّ، و مات السلطان و هو علی نیابتها.

و نوّابه بغزّة: قطلوبغا الصّفویّ و آقبغا الصغیر، و یلبغا القشتمری، و ألطنبغا العثمانی الظاهریّ، و بیخجا الشرفیّ المدعو طیفور، و ألطنبغا الحاجب، و مات الملک الظاهر و هو علی نیابتها.

ذکر قضاته بالدیار المصریة

فالشافعیة: برهان الدین إبراهیم بن جماعة، و بدر الدین محمد بن أبی البقاء، و ناصر الدین محمد بن بنت میلق، و عماد الدین أحمد المقیّری الکرکیّ. و صدر الدین محمد المناوی، و تقیّ الدین عبد الرحمن الزّبیری، ثم المناوی ثالث مرة، و مات السلطان و هو قاض.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۸

و الحنفیّة: صدر الدین محمد بن منصور الدّمشقی، و شمس الدین محمد الطرابلسی و مجد الدین إسماعیل بن إبراهیم، و جمال الدین محمود القیصریّ العجمیّ، و جمال الدین یوسف الملطیّ و مات الملک الظاهر و هو قاض.

و المالکیة: جمال الدین عبد الرحمن بن خیر السّکندریّ، ثمّ ولیّ الدّین عبد الرحمن بن خلدون، و شمس الدین محمد الرّکراکیّ المغربی، و شهاب الدین أحمد النحریریّ، و ناصر الدین أحمد بن التّنسیّ، ثم ابن خلدون، و مات الملک الظاهر و هو قاض.

و الحنابلة: نصر الدین نصر اللّه العسقلانیّ، ثم ابنه برهان الدین إبراهیم، و مات السلطان و هو قاض.

و أما أصحاب وظائفه من أکابر أمراء مصر فلم یضبطهم أحد من مؤرّخی ملک العصر، و اکتفوا بذکرهم عند ولایة أحدهم أو عزله أو موته، إن کانوا فعلوا ذلک.

ذکر مباشری دولته، أستاداریّته: بهادر المنجکیّ، ثم محمود بن علی بن أصفر عینه. ثم قرقماس الطّشتمریّ، ثم عمر بن محمد بن قایماز، ثم قطلوبک العلائی، ثم یلبغا الأحمدی المجنون، ثم محمد بن سنقر، ثم یلبغا المجنون، و مات السلطان و هو علی وظیفته.

و وزراؤه بدیار مصر: علم الدین عبد الوهاب المعروف بسنّ إبرة، و شمس الدین إبراهیم بن کاتب أرنان، و علم الدین عبد الوهاب بن کاتب سیّدی، و کریم الدین عبد الکریم بن الغنّام، و موفّق الدین أبو الفرج، و سعد الدین نصر اللّه بن البقریّ، و ناصر الدین محمد بن الحسام، و رکن الدین عمر بن قایماز، و تاج الدین عبد الرحیم ابن أبی شاکر، و ناصر الدین محمد بن رجب بن کلبک، و مبارک شاه، و بدر الدین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۹

محمد بن الطّوخیّ، و تاج الدین عبد الرزاق بن أبی الفرج، و مات السلطان و هو وزیر.

و کتّاب سره: القاضی بدر الدین محمد بن فضل اللّه، و أوحد الدّین عبد الواحد، و علاء الدین علی المقیّری الکرکیّ، ثم ابن فضل اللّه ثانیا، ثم بدر الدین محمود الکلستانیّ، و فتح الدّین فتح اللّه، و مات السلطان و هو کاتب سرّه.

و نظار جیشه: تقیّ الدین عبد الرحمن بن محبّ الدین، و موفّق الدین أبو الفرج و جمال الدین محمود القیصریّ العجمیّ، و کریم الدین عبد الکریم بن عبد العزیز، و شرف الدین محمد الدّامینی، و سعد الدین إبراهیم بن غراب، و مات السلطان هو ناظر الجیش.

و نظّار خاصّه: سعد الدین نصر اللّه بن البقریّ، و موفّق الدین أبو الفرج، و سعد الدین أبو الفرج بن تاج الدین موسی کاتب السعدی،

و سعد الدين بن غراب، و مات السلطان و هو ناظر الجيش و الخاص معا، و اللّه تعالى أعلم.

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر، و هى سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة، على أن الملك المنصور حاجّى بن الملك الأشرف شعبان حكم منها ثمانية أشهر و سبعة أيام من يوم سلطنته إلى يوم طلوع الملك الظاهر برقوق إلى قلعة الجبل.

فيها توفّى الأمير سيف الدين آقبغا بن عبد اللّه الجوهرىّ اليلبغاوىّ، كان من أكابر اليلبغاويّة و تولّى الأستادارية و حجوبيّة الحجّاب كليهما بديار مصر، و وقع له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۰

أمور، و هو أحد من أخرجه الملك الظاهر من حبس منطاش بالإسكندرية، و ندبه فيمن ندب من الأمراء لقتال منطاش، فقتل فى وقعة حمص عن بضع و خمسين سنة. و كان أميرا جليلا عارفا يذاكر بمسائل جيّدة فقهيّة و غيرها فى عدّة فنون مع حدّة مزاج.

و توفّى الأمير سيف الدين أردبغا بن عبد اللّه العثمانىّ اليلبغاوى أحد أمراء الطبلخانات قتيلا أيضا فى وقعة منطاش، و كان من كبار اليلبغاويّة.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الجوبانىّ اليلبغاوى نائب الشام قتيلا فى واقعة منطاش، و قد تقدّم ذكر موته و كيفيّة قتله فى أوائل سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، و كان من عظماء المماليك اليلبغاوية، ولّاه الملك الظاهر فى سلطنته الأولى أمير مجلس، ثم ولّاه نيابة الكرك، ثم نقله إلى نيابة الشام، ثم قبض عليه و حبسه إلى أن أخرجه الناصرىّ بعد خلع الملك الظاهر برقوق و حبسه، فولّاه الناصرىّ رأس نوبة الأمراء إلى أن أمسكه منطاش و حبسه بالإسكندرية ثانيا، حتى أخرجه الملك الظاهر برقوق فيمن أخرجه بعد عوده إلى سلطنة مصر، و ولّاه نيابة الشام، و ندبه لقتال منطاش فتوجّه و قاتله، و قتل فى الواقعة، و تولّى الناصرىّ نيابة الشام بعده، و مات الجوبانى و قد قارب الخمسين سنة من العمر، و كان حشما فخورا معظّما فى الدول متجمّلا فى مركبه و مماليكه و لبسه، و عنده سياسة و أدب و معرفة، رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۱

و توفّى الأمير سيف الدين قازان اليرقشى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان من حواشى الناصرى، قتل فى واقعة منطاش على حمص، و قبل أن يخرج منطاش بالملك المنصور من مصر لقتال الملك الظاهر برقوق لمّا خرج من سجن الكرك، أمر والى الفيّوم فى الباطن بقتل جماعة كبيرة من الأمراء ممن كان بحبس الفيوم، ثم سافر منطاش، و بعد سفره بأيّام قدم محضر مفتعل من كاشف الفيوم:

أنه لمّا كان يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الآخرة سقط على الأمراء المسجونين حائط سجنهم فماتوا جميعا، فعظم ذلك على الناس إلى الغاية، كونهم من أكابر الأمراء و أعيان الدولة، و هم: الأمير تنكز العثمانى اليلبغاوى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان من الشجعان، و تمان تمر الأشرفىّ نائب بهنسا و كان من أكابر المماليك الأشرفيّة، و هو من خشداشيّة منطاش، لكنه كان من حزب الناصرىّ، و تمربای الحسنى الأشرفى حاجب الحجاب بالديار المصرية و من أجلّ المماليك الأشرفية، و هو حمو الوالد و كان من الشجعان، و جمق الكمشبغاوى أحد أعيان أمراء مصر و الشام، و كان من حزب الناصرى، و تمر الجركتمرىّ أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان من حزب الملك الظاهر برقوق، و قطلوبغا الأحمدىّ اليلبغاوىّ أحد أمراء العشرات بالقاهرة، و عيسى التّركمانى أحد أمراء الطبلخانات بمصر، و قد ولى عدّة أعمال، و قرابغا البو بكرى أمير مجلس و أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و قرقماش الطّشتمرىّ أستادار العالية و الخازندار، و الدوادار الكبير بالديار المصرية، تنقّل فى جميع هذه الوظائف و غيرها، و كان أوّلا من حزب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۲

الظاهر، ثم صار من بعد خلعه من حزب يلبغا الناصرىّ، و يونس الإسعردى الرمّاح الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات لم يكن فى

المماليك الظاهريّة من يضاهيه فى حسن الشّكالة و لا فى لعب الرّمح، قتل الجميع فى يوم واحد حسب ما ذكرناه.

و توفّى الأمير سيف الدين مأمور بن عبد اللّه القلمطاوى اليلبغاوى فى واقعة حمص أيضا و كان ولى نيابة الكرك، و تقدمة ألف بديار مصر، و حجوبية الحجاب بها، ثم ولّاه الملك الظاهر فى سلطنته الثانية نيابة حماة، فقتل و هو على نيابة حماة، و كان من أجلّ المماليك اليلبغاوية و أعيان أمراء مصر، و هو زوج بنت أستاذه الأتابك يلبغا التى خدمت الملك الظاهر برقوقا لمّا حبس بالكرك.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح علىّ المغربل فى خامس جمادى الأولى، و دفن بزاويته خارج القاهرة بحكر الزرّاق و كان للناس فيه اعتقاد حسن و يقصد للزيارة.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح محمد الفاوىّ فى ثامن جمادى الأولى و دفن خارج باب النصر، و كان خيّرا معتقدا.

و توفّى الشيخ المقرئ شمس الدين محمد المعروف بالرفاء فى سابع جمادى الأولى.

و توفّى الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن إسماعيل الإفلاتىّ فى سادس جمادى الأولى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و نصف، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبعان. و الوفاء حادى عشر مسرى. و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۳

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۳]

السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير الكبير الحاج آل ملك الجوكندار فى يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الآخرة.

و توفّى قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن مسلم بن سعيد ابن بدر القرشىّ الدمشقى الشافعى قاضى قضاة دمشق بخزانة شمائل، بعد عقوبات شديدة فى ليلة الأحد تاسع شهر رجب، و كان غير مشكور السّيرة، مسرفا على نفسه، و هو ممن قام على الملك الظاهر برقوق بدمشق، و حرّض العامّة على قتاله و قد مرّ من ذكره ما فيه غنية عن ذكره ثانيا.

و توفّى الأمير حسام الدين حسين بن علىّ بن الكورانىّ أحد أمراء الطبلخانات و والى القاهرة مخنوقا بخزانة شمائل بعد عقوبات كثيرة، فى عاشر شعبان، و كان غير مشكور السيرة و فيه ظلم و جبروت، قتل من الزّعر فى أيام ولايته خلائق لا تدخل تحت حصر.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جلال الدين جلال بن رسول بن أحمد بن يوسف العجمىّ الثّيرىّ التّبانىّ الحنفىّ خارج القاهرة فى يوم الجمعة ثالث [عشر]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۴

شهر رجب، و التّبانىّ نسبة إلى سكنه، موضع خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير، يقال له: التبانة، و كان إماما عالما بفنون كثيرة، أفتى و أقرأ و درّس عدّة سنين، و عرض عليه قضاء مصر فامتنع عفّة منه. و له مصنفات كثيرة: منها «شرح المنار» فى أصول الفقه، و «شرح مختصر ابن الحاجب» و خرّج أيضا «مختصر التلويح فى شرح الجامع الصحيح» للحافظ مغلطاى، و له «منظومة فى الفقه»، و شرحها فى أربع مجلدات، و له «مختصر فى ترجيح الإمام أبى حنيفة»، و له تعليق على البزدوى و لم يكمله، و شرح كتبا كثيرة غير ذلك، و أصله من بلدة بالروم يقال لها: ثيرة بكسر (الثاء المثلثة) و سكون الياء آخر الحروف.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح على الروبىّ فى رابع ذى الحجة، و كان للناس فيه اعتقاد و يقصد للزيارة للتبرك به.

و توفّى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الزّكراكىّ المالكىّ قاضى قضاة الديار المصرية و هو قاض بحمص، فى رابع عشر شوّال، و قد تجرّد صحبة السلطان، و كان عالما ديّنا مشكور السّيرة.

و توفّى شيخ الخانقاه الصلاحيّة سعيد السعداء شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافعى فى عاشر ذى القعدة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۵

و توفّی قاضی قضاة الحنابلة بدمشق الشیخ شرف الدین عبد القادر بن شمس الدین محمد بن عبد القادر الحنبلی النابلسی الدمشقی فی عید الأضحی بدمشق، و کان فقیها فاضلا، أفتی و درّس.

و توفّی القاضی فتح الدین أبو بکر محمد ابن القاضی عماد الدین أبی إسحاق إبراهیم ابن محمد بن إسحاق بن إبراهیم بن أبی الکرم محمد الدّمشقی الشافعی المعروف بابن الشّهید کاتب سرّ دمشق قتیلا بخزانة شمائل، فی لیلة الثلاثاء تاسع عشرین شعبان، و کان ممن خرج علی الملک الظاهر برقوق و وافق منطاشا، و حرّض علی قتال برقوق، و قد مرّ من ذکره نبذة کبیرة عند حضوره إلی القاهرة مع جنتمر نائب دمشق و ابن القرشی قاضی دمشق و غیرهما، و کان فتح الدین رئیسا فاضلا بارعا فی الأدب و الترسّل، مشارکا فی فنون کثیرة، ماهرا فی التفسیر، ملیح الخطّ، و له مصنفات، منها: أنه نظم السّیرة النبویة لابن هشام، فی مسطور مرجّز، و جملتها خمسون ألف بیت، و لمّا ولی کتابة سرّ دمشق، قال فیه بدر الدین ابن حبیب: (السریع)

کتابة السرّ علا قدرها بابن الشهید الألمعیّ الأدیب

و کیف لا تعلو و قد جاءها (نصر من اللّه و فتح قریب)

و من شعر القاضی فتح الدین هذا- رحمه اللّه- قوله: (الوافر)

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۶

مدیر الکأس حدّثنا و دعنا بعیشک عن کؤوسک و الحثیث

حدیثک عن قدیم الراح یغنی فلا تسق الأنام سوی الحدیث

و له: (الکامل)

قاسوا حماة بجلّق فأجبتهم هذا قیاس باطل و حیاتکم

فعروس جامع جلّق ما مثلها شتان بین عروسنا و حماتکم

و له فی عین بعلبک - رحمه اللّه- (الکامل)

و لقد أتیت لبعلبکّ فشاقنی عین بها روض النعیم منمّ

فلأهلها من أجلها أنا مکرم و لأجل عین ألف عین تکرم

و توفی الأمیر الکبیر یلبغا بن عبد اللّه الناصریّ الیلبغاویّ قتیلا بقلعة حلب، و هو صاحب الوقعة مع الملک الظاهر برقوق التی خلع الملک الظاهر فیها من الملک و حبس بالکرک، و کان أصله من أکابر ممالیک یلبغا العمری أستاذ برقوق، و تولّی فی أیام أستاذه یلبغا إمرة طبلخاناه، ثم صار أمیر مائة و مقدّم ألف بالقاهرة فی دوله الملک الأشرف شعبان، و کان معه فی العقبة، ثم ملک باب السلسلة من الإسطبل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۷

السلطانیّ، کلّ ذلک و برقوق لم یتأمّر إلّا من نحو شهر واحد، ثم وقع له أمور و حبس و نفی إلی البلاد الشامیة علی إمرة مائة و تقدمة ألف بدمشق حتی ولی نیابة حلب عن المنصور علیّ، ثم عن أخیه، ثم عن الملک الظاهر برقوق، ثم أطلقه و ولّاه نیابة حلب ثانیا، فعصی بعد مدّة و وافق منطاش، و قهر الظاهر برقوقا و خلعه من السلطنة و حبسه بالکرک و رشّح إلی سلطنة مصر، فامتنع غایة الامتناع و سلطن الملک الصالح حاجیّا ثانیا و لقبه بالمنصور، و صار هو مدبّر مملکته، و حکم مصر إلی أن خرج علیه منطاش و کسره و قبض علیه و حبسه بسجن الإسکندریة، إلی أن أفرج عنه الملک الظاهر برقوق لما خرج من حبس الکرک و کسر منطاش و تسلطن ثانیا، فأخرجه و لم یؤاخذه، و ندبه لقتال منطاش ثم ولّاه نیابة الشام بعد قتل الجوبانی ثم قبض علیه فی هذه السنة، و قتله بقلعة حلب لیلته هو و کشلی أمیر آخوره و الأمیر محمد بن المهمندار نائب حماة، و قد تقدّم ذلک کله مفصلا فی ترجمة الملک الظاهر برقوق الأولی و

الثانيـة، و ترجمـة المنصور حاجّى، فإنه كان فى الحقيقة هو السـلطان، و حاجى له الاسم لا غير، فيكتفى بما وقع من ذكره هناك، و لا حاجة للإعادة هنا.

و كان يلبغا الناصـرىّ من أجلّ الملوك عفّة و صـيانة، ولى مصـر و خلع الملك الظّاهر، و ولى الملك المنصور، و لم يقتل أحدا صبرا غير واحـد يسـمّى سودون من مماليك الظاهر، و يكفيه من عفته عن سـفك الـدماء عـدم قتله للملك الظاهر برقوق بعد أن أشار عليه جميع أصحابه بقتله و كان مذهبى فيه أنّ الملك الظاهر برقوقا لا يقتله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۸

أبدا، بل إذا ظهر منه ما يخيفه يحبسه إلى أن يموت مراعاة لما سبق له من المنّ عليه لمّا خلعه من الملك و السلطنة و حبسه و لم يقتله. انتهى.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۴]

السـنة الثالثة من سـلطنة الملك الظاهر برقوق «الثانية على مصر»، و هى سنة أربع و تسعين و سبعمائة. و فيها توفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على الدّنيسـرىّ المعروف بابن العطار الشاعر المشـهور فى سادس عشـر شهر ربيع الآخر، و قد مرّ من شعره نبذة كثيرة فى عدّة مواطن، و من نظمه المشهور فى الأقباط قوله: (السريع)

قالوا ترى الأقباط قد رزقوا حظا واضحوا كالسلاطين

و تملّكوا الأتراك قلت لهم: رزق الكلاب على المجانين

و توفّى الأمير الكبير إينال بن عبد اللّه اليوسـفىّ اليلبغاوىّ أتابك العساكر بالديار المصـرية بها فى رابع عشرين جمادى الآخرة، و تولّى الأتابكيـة من بعـده الأمير كمشـبغا الحموى اليلبغـاوى، على أن كمشـبغا كـان يجلس فى الخدمـة تحت إينال المـذكور، و كان إينال شجاعـا مقـداما، و قـد تقـدم ركوبه على الملك الظاهر برقوق قبل سـلطنته و القبض عليه و حبسه مـدّة إلى أن أخرجه برقوق إلى بلاد الشـام و صـار بهـا أميرا، ثم نقله إلى عـدّة ولايات إلى أن ولّاه نيابـة حلب، ثم عزله فى سـلطنته الأولى عن نيابـة حلب، و جعله أتابك دمشـق، ثم ولّاه نيابـة حلب بعـد عصـيان الناصـرىّ، فلم يتم له ذلـك، و خرج إينـال أيضـا على الظـاهر، و وافق الناصـرىّ، فلمّـا ملك الناصرىّ مصر ولّاه نيابة صفد، و وقع له أمور حتى ولّاه الملك الظاهر برقوق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۹

أتابكيـة العساكر بالـديار المصـرية فى سـلطنته الثانية، فدام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور، و قد تقدّم ذكر إينال هذا فى عدّة تراجم من هذا الكتاب، فيها كفاية عن التعريف بحاله.

و توفّى الأمير سـيف الـدين بطا بن عبد اللّه الطولوتمرىّ الظاهرىّ نائب الشام بها، بعد أن ولى نيابة الشام أياما قليلة، فى حادى عشـرين المحرم؛ و قد ذكرنا أمر بطا هذا فى أواخر ترجمة الملك المنصور، و كيفية خروجه من سـجن القلعة؛ و كيف ملك باب السلسـلة من صراى تمر نائب غيبـة منطاش، و إقامته بباب السلسـلة إلى أن قدم أسـتاذه الملك الظاهر برقوق إلى الديار المصـرية، و ولّاه الدواداريـة الكبرى، ثم ولاه نيابـة دمشق بعـد القبض على الأتابك يلبغا الناصـرى، فلم تطل أيامه، و مات، و كان من أعيان المماليك الظاهرية، و اتّهم الملك الظاهر فى أمره أنه اغتاله بالسم، و اللّه أعلم.

و توفّى الأمير سـيف الـدين ملكتمر بن عبد اللّه الناصـرىّ بطّالا ملازما لبيته فى حادى عشـرين شـهر ربيع الأوّل، و كان قديم هجرة فى الأمراء، تأمّر فى دولة الناصر حسن، ثم أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بإمرة مائة، و تقدمة ألف بالديار المصرية، ثم جعله رأس نوبة النّوب، بعد واقعة أسندمر الناصرى، ثم نقل إلى إمرة مجلس، ثم صار أستادارا كبيرا فى سنة إحدى و سبعين و سبعمائة عوضا عن علم دار المحمدى، ثم أخرج إلى نيابة صفد فى السنة المذكورة، ثم عزل و أحضر إلى القاهرة و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بها، ثم

ولى حجوبية الحجّاب بالدّيار المصرية مدّة سنين، ثم تعطّل و لزم داره حتى مات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۰

و توفى الأمير سيف الدين سودون بن عبد اللّه الطولوتمرى نائب دمشق بها فى شعبان، و كان ولى نيابة دمشق بعد موت الأمير بطا المقدّم ذكره، فحكم بدمشق و مات، و تولى بعده نيابة دمشق الأمير كمشبغا الأشرفى الخاصّكىّ أمير مجلس.

متوفّى الشيخ المعتقد المجذوب طلحة المغربىّ فى رابع عشر شوال بمدينة مصر، و كانت جنازته مشهودة، و دفن خارج باب النصر من القاهرة، و هو أحد من أوصى الملك الظاهر برقوق أن يدفن تحت أرجلهم من الصالحين و العلماء، فدفن هناك، ثم عمّرت التربة الناصرية الموجودة الآن، و كان للناس فيه اعتقاد كبير، لاسيما الملك الظاهر برقوق.

و توفى الشيخ الإمام العالم العلامة عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى الحنفى العجمى، المعروف بالأصم، شيخ خانقاه الملك المظفر ركن الدين بيبرس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۱

الجاشنكير، ثم شيخ الخانقاه الشيخونية فى ثالث عشرين المحرم، و قد أناف على السبعين سنة، و كان من العلماء.

و توفى الأديب الوزير فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن، و قيل عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن إبراهيم القبطى الحنفى الشهير بابن مكانس وزير دمشق، و ناظر الدولة بالديار المصرية، و الشاعر المشهور بالقاهرة فى خامس ذى الحجة، و كان أديبا فاضلا شاعرا فصيحا بليغا لا يعرف فى أبناء جنسه الأقباط من يقاربه و لا يدانيه، و هو أحد فحول الشعراء بالديار المصرية فى عصره، و شعره فى غاية الحسن و الرّقة و الانسجام، و ديوان شعره مشهور كثير الوقوع بأيدى الناس، و قد استوعبنا من شعره أشياء كثيرة فى كتابنا (المنهل الصافى)، إذ هو كتاب تراجم، نذكر هنا بعضها، و من شعره و قد صادره الملك الظاهر برقوق، فقال: [الرمل]

ربّ خذ بالعدل قوما أهل ظلم متوالى

كلّفونى بيع خيلى برخيص و بغالى

و لما علّقه الملك الظاهر برقوق فى مصادرته منكسا على رأسه قال: [البسيط]

و ما تعلقت بالسّرياق منتكسا لجرمة أوجبت تعذيب ناسوتى

لكننى مذ نفثت السّحر من أدبى علّقت تعليق هاروت و ماروت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۲

و له- عفا اللّه عنه-: [الكامل]

زارت معطرة الشذا ملفوفة كى تختفى فأبى شذا العطر

يا معشر الأدباء هذا وقتكم فتناظموا فى اللّفّ و النّشر

و له- سامحه اللّه تعالى-: [الوافر]

يقول معذّبى إذ همت وجدا بخدّ خلت فيه الشّعر نملا

أتعرف خدّه للعشق أهلا فقلت لهم نعم أهلا و سهلا

و توفّى القاضى علاء الدين علىّ بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن حميد الأزرقى المقيّرى الكركىّ الشافعى كاتب سرّ الكرك ثم الديار المصرية فى أوّل شهر ربيع الاوّل، و دفن خارج باب النصر، و هو أحد من قام بنصرة الملك الظاهر عند خروجه من حبس الكرك، و قد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمة الملك الظاهر برقوق، فعرف له برقوق ذلك، و ولّاه كتابة سرّ مصر، و ولى أخاه القاضى عماد الدين قضاء الديار المصرية، و استمرّ علاء الدين هذا فى وظيفته كتابة السر إلى أن مرض و مات، و أعيد بدر الدين بن فضل اللّه من بعده فى وظيفة كتابة السرّ.

و توفّى القاضى علاء الدين علىّ بن عبد اللّه بن يوسف البيرىّ الحلبىّ الشاعر الكاتب المنشئ فى رابع عشر شهر ربيع الأوّل مخنوقا بأمر الملك برقوق، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۳

بارعا فى الإنشاء و الأدب، و خدم جماعة من الملوك إلى أن اتصل بخدمة الأتابك يلبغا الناصرى، و سار صحبته إلى الديار المصرية لقتال الملك الظاهر برقوق.

و لمّا ملك الناصرىّ ديار مصر صار علاء الدين هذا من عظماء مصر، و لا زال على ذلك حتى قبض على الناصرىّ و حبس بالإسكندرية، فاستمر علاء الدين بمصر، فلمّا عاد الظاهر إلى ملكه و أخرج الناصرىّ، عاد علاء الدين هذا إلى خدمته، إلى أن قبض عليه الملك الظاهر و قتله، و أمسك علاء الدين هذا و حمل إلى القاهرة فى الحديد، ثم قتل، و كان بارعا أديبا شاعرا، و من شعره: [الطويل]

أرى البدر لمّا أن دنا لغروبه و ألبس منه أزرق الماء أبيضا

توهّم أن البحر رام التقامه فسلّ له سيفا عليه مفضّضا

و توفّى الأمير عنقاء بن شطّى ملك العرب و أمير آل مرا، كان قد خرج عن طاعة الملك الظاهر، و قتل الأمير يونس الدّوادار، و وافق الناصرىّ و منطاشا، فلمّا عاد الملك الظاهر إلى ملكه لم يزل يرسل إليه الفداويّة و يعد الناس فى قتله حتى قتلته الفداويّة فى هذه السنة فى رابع المحرم.

و توفى الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد اللّه الصّفوى، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، و حاجب الحجّاب بها فى أوّل شهر ربيع الآخرة.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبك بن عبد اللّه السيفى طشتمر الدوادار، كان أحد أمراء العشرات مات فى عاشر صفر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۴

و توفّى الشيخ بدر الدين محمد بن عبد اللّه المنهاجىّ الفقيه الشافعى المعروف بالزّركشىّ المصنّف المشهور فى ثالث رجب و كان فقيها مصنّفا.

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد أبو عبد اللّه محمد الرّكراكىّ المغربىّ المالكىّ فى ثالث جمادى الأولى، و قد قارب مائة سنة.

و توفّى الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين لاچين الصقرىّ المنجكىّ المعروف بابن الحسام فى ثانى عشر صفر، بعد مرض طويل، بعد أن ولى الوظائف الجليلة مثل وزر مصر و الأستادارية و غيرهما.

و توفى القاضى جمال الدين محمود ابن القاضى حافظ الدين محمد بن تاج الدين إبراهيم القيصرىّ الحنفىّ قاضى قضاة الحنفية بحلب.

و توفى الأمير سيف الدين قرا دمرداش بن عبد اللّه الأحمدى اليلبغاوىّ مقتولا فى محبسه بقلعة الجبل فى ذى الحجة، و هو أيضا من أعيان المماليك اليلبغاويّة، و كان من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، و أمير سلاح فى سلطنة الظاهر الأولى، فلمّا انتصر الناصرىّ على عسكر الملك الظاهر برقوق بدمشق، و قبض الناصرىّ على الأتابك أيتمش البجاسىّ، خلع الملك الظاهر على قرا دمرداش هذا باستقراره عوضه أتابك العساكر بالديار المصرية، و أنعم عليه بثلاثين ألف دينار، فأخذها و عصى من ليلته، و توجّه إلى الناصرىّ، و صار من جملة عساكره، فلمّا ملك الناصرىّ، الديار المصرية استقرّ به أمير مجلس إلى أن أمسك منطاشا مع من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۵

أمسك من حواشى الناصرىّ، و حبسه إلى أن أطلقه الملك الظاهر برقوق، و ولّاه نيابة طرابلس، ثم نقله إلى نيابة حلب و ندبه لقتال منطاش فدأم على نيابة حلب إلى أن عزله عنها الملك الظاهر، بعد أن أمسك الناصرىّ و أنعم عليه بتقدمة ألف بديار مصر، ثم قبض

عليه بمصر و حبسه ثم قتله.

و توفّى الشيخ المحدّث المسند بدر الدين محمد بن محمد بن مجير المعروف بابن الصائغ و ابن المشارف فى ثالث شهر ربيع الآخر.

- أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۵]

السنة الرابعة من ولاية الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة خمس و تسعين و سبعمائة.

و فيها توفى الأديب الشاعر زين الدين أبو بكر بن عثمان بن العجمىّ فى سادس عشر ذى الحجّة، و كان عنده فضيلة، و له شعر جيّد من ذلك قوله: [البسيط]

قد عاود الحبّ قلبى بعد سلوته و استعذب الضّيم و التعذيب و النّصبا

و كان أقسم لا يصبو لظبى نقا فما رأى فى هوى غزلانه وصبا

و توفّى الأمير زين الدين أبو يزيد بن مراد الخازن، دوادار السلطان الملك الظاهر برقوق، و أحد أمراء الطبلخاناه فى رابع جمادى الآخرة، و حضر السلطان الصلاة عليه، و أبو يزيد هذا هو الذى كان أخفى الملك الظاهر برقوقا عنده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۶

فى نوبة الناصرى و منطاش، و أخذ من داره، و كان الظاهر توجّه إليه و اختفى عنده من غير مواعدة، فعرف له الملك الظاهر ذلك، فلما عاد الملك الظاهر إلى ملكه ثانيا أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم استقرّ به دوادارا كبيرا بعد توجّه بطا لنيابة الشام، فدام على ذلك حتى مات فى التاريخ المذكور، و دفن بتربته التى أنشأها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، و كان أميرا فاضلا عارفا ذكيّا له يد فى فتون، و كان يعرف بالتّركى و العجمىّ و الأرمنىّ، على أنه كان فصيحا باللغة العربية.

قلت: هكذا يكون الدوادار، لا كمن لا يعرف اسمه من اسم الحمار، و كان يميل إلى مذهب الصوفية، و كان الملك الظاهر يثق إليه، و يشاوره فى أموره.

و توفّى الوزير الصاحب شمس الدين أبو الفرج عبد اللّه المقسىّ، فى رابع شعبان و دفن بجامعه الذى جدّده على الخليج الناصرىّ بالقرب من باب البحر، و كان معدودا من رؤساء الأقباط.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين آقبغا آص، قال المقريزى رحمه اللّه: كان أولا من جملة أمراء الملك الأشرف شعبان الطبلخانات، ثم نزعها منه لمّا سخط على والده، و تعطّل مدّة و عقّ أباه، و حكى عنه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۷

أمور شنيعة فى عقوقه لوالده، و سافر إلى اليمن و عاد إلى القاهرة و تنقّلت به الأيام إلى أن ولى شد الدواوين بإمرة عشرة مدّة، ثم أمسك و صودر و عوقب عقوبة شديدة، و كان سيّئ السيرة، من أشرّ خلق اللّه المتجاهرين بالمعاصى، إلى أن توفى فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شوّال». انتهى كلام المقريزى.

و توفّى الأمير الطواشى مقبل بن عبد اللّه الشهابى شيخ الخدّام بالحرم النبوىّ، و كان أصله من خدّام الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون و تنقّل فى الخدم إلى أن اختص بالأمير شيخون العمرى، ثم خدم السلطان حسنا [ابن قلاوون]، ثم ولى مشيخة الخدّام بالحرم النبوى بعد وفاة الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى الخازندار الناصرى، و كان مقبل ينوب عنه فى الحرم، فلمّا مات ولى مكانه.

و توفى قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر اللّه بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى العسقلانىّ الحنبلى، قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الأربعاء حادى عشرين شعبان، و كان مشكور السيرة محبّا للناس.

و توفى الشيخ نجم الدين محمد بن جماعة الشافعى خطيب القدس فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة [بالقاهرة و دفن خارج باب النصر].

و توفى الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الكبير طشتمر الدوادار فى شهر رمضان بثغر الإسكندرية، و كان من جملة أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۸

و توفى الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد الأقفهسى الفقيه الشافعىّ فى ثامن عشرين شوّال، و كان معدودا من فقهاء الشافعية.

و توفى علاء الدين قطلوبغا بن عبد اللّه الأسنقجاوى، و المعروف بأبى درقة الكاشف، ولى الكشف بجهات كثيرة، و وقع له أمور مع العربان، و قتل منهم جماعة كبيرة حتى مهّد البلاد القبلية.

و توفى الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى، مدرس مدرسة الملك الظاهر برقوق فى شهر ربيع الآخر.

و توفى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الضياء المناوى الشافعى، شيخ المدرسة الجاولية بالكبش، و أحد نواب الحكم بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و أربعة عشر إصبعا.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۶]

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة ست و تسعين و سبعمائة. و فيها توفى الأمير سيف الدين أبرك بن عبد اللّه المحمودى الظاهرى شادّ الشراب خاناه السلطانية، و هو مجرّد بدمشق، و بها دفن و كان خصيصا عند أستاذه الملك الظاهر برقوق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۹

و فيها توفّى الصاحب الوزير موفّق الدين أبو الفرج الأسلمى تحت العقوبة فى يوم الاثنين [حادى] عشرين شهر ربيع الآخر، و كان أسوأ الوزراء سيرة، لأنه كان أكره على الإسلام حتى قال: كلمة الإيمان غصبا و لبس العمامة البيضاء و هو باق على دين النّصرانية، فكان على الناس بذنوبهم، و لما كان على دين النصرانية و هو يباشر الحوائج خاناه كان مشكور السيرة، حتى أكره على الإسلام، فبلغ من المسلمين مبلغا عظيما من الظلم و الجور، و ولى فى بعض الأحيان نظر الجيش بديار مصر أيضا.

قلت: لا ألومه على ما فعله و ما الذنب إلا لمولّيه: لم لا أقتدى بمن كان قبله من الملوك السالفة و وزرائهم! مثل القاضى الفاضل عبد الرحيم، و ابن بنت الأعز و بنى حنّاء و غيرهم- رحمهم اللّه تعالى.

و توفى الشيخ المعتقد الصالح رشيد التّكرورى الأسود فى البيمارستان المنصورى فى يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، و كان يقيم بجامع راشدة خارج مدينة مصر القديمة، و هو آخر من سكنه و هو يقصد للزيارة و للناس فيه اعتقاد حسن.

و توفى الأمير سلّام (بتشديد اللام) ابن محمد سليمان بن فايد، المعروف بابن التركية أمير خفاجة من الصعيد فى سابع شهر ربيع الآخر، و كان من أجلّ أمراء العرب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۰

و توفّى الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن صغير رئيس الأطباء، و هو بمدينة حلب فى التجريدة صحبة السلطان فى يوم الجمعة عاشر ذى الحجة و دفن بها، ثم نقل بعد مدّة إلى القاهرة، و كان من الأفراد فى علم الطب و الملاطفة ماهرا فى صناعته، كان

من عظم اطلاعه فى علم الطب يصف للموسر بأربعين ألفا و يصف الدواء فى ذلك الداء بعينه للمعسر بفلس واحد.

قال المقريزى: «و كنت عنده فدخل عليه شيخ و شكا شدة السّعال، فقال له: إياك تنام بغير سراويل، فقال الشيخ: إى و اللّه، فقال له: فلا تفعل، ثم بسراويلك! قال: فصدفت ذلك الشيخ بعد أيام فسألته، فقال لى: عملت ما قال فبرئت، قال: و كان لنا جار حدث لابنه رعاف حتى أفرط فانحلت قوى الصغير، فجاء به إلى ابن صغير هذا و شكا من كثرة الرّعاف، فقال له: شرّط أذنه، فتعجّب و توقف فقال له ثانيا: توكّل على اللّه و افعل، ففعل ذلك فبرئ الصغير و ذكر له أشياء كثيرة من هذا النموذج يطول شرحها.

و توفى القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين على ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل اللّه بن مجلّى بن دعجان بن خلف بن تصر بن منصور بن عبد اللّه بن على ابن محمد بن أبى بكر عبد اللّه بن [عبد اللّه بن] عمر بن الخطاب العدوى القرشى العمرى المصرى الشافعى كاتب سر الديار المصرية و رئيسها بدمشق فى يوم الثلاثاء العشرين من شوّال مجردا صحبة السلطان الملك الظاهر برقوق و دفن بتربتهم بدمشق، و ولى كتابة السر من بعده القاضى بدر الدين محمود [السّيرامىّ] الكلستانى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۱

و توفى أخوه حمزة بن على بن فضل اللّه بعده بشهر، فقال فى موتهما بعض شعراء العصر: [الوافر].

قضى البدر بن فضل اللّه نحبا و مات أخوه حمزة بعد شهر

فلا تعجب لذى الأجلين يوما فحمزة مات حقا بعد بدر

و كان القاضى بدر الدين المذكور إماما رئيسا فاضلا فى الإنشاء و الأدب و له مشاركة جيدة فى الفقه و غيره، و كان محمود السيرة مشكور الطريقة، باشر كتابة سرّ مصر نحو سبع و عشرين سنة، على أنه انفصل فيها أولى و ثانية، فالأولى بأوحد الدين عبد الواحد، و الثانية بعلاء الدين الكركى و هو ثالث واحد سمّى بدر الدين من بنى فضل اللّه كتّاب سر دمشق، و آخر من ولى كتابة سر مصر و غيرها من بنى فضل اللّه، و بموته خرجت كتابه السر عن بنى فضل اللّه- رحمه اللّه تعالى- و توفى القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى المعروف بصائم الدهر محتسب القاهرة، و ناظر الأحباس و خطيب مدرسة السلطان حسن فى تاسع عشر صفر عن سبعين سنة و كان خيّرا دينا مشكور السيرة- رحمه اللّه-

و توفى الأمير منكلى بغا بن عبد اللّه الشمسى الطرخانى، أحد الأمراء بديار مصر ثم نائب الكرك فى ليلة عاشوراء، و كان من أكابر أمراء مصر ولديه حشمة و رياسة.

و توفى الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الأتابك منكلى بغا الشمسى و ابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، و صهر الملك الظاهر برقوق و أحد أمراء الطبلخانات بديار مصر بها فى عاشر شعبان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۲

و توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى الفقيه الظاهرىّ المذهب فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة، و كان فاضلا و له مشاركة جيّدة فى فنون، و كان لا يتكتّم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر و يحفّ شاربه و يرفع يديه فى كلّ خفض و رفع فى الصلاة.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير شرف الدين موسى بن [سيف الدين أرقطاى بن] الأمير جمال الدين يوسف أحد أمراء العشرات بالديار المصرية فى ليلة الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة، و كان أبوه و جدّه من أمراء الألوف بالقاهرة، و كان يحبّ علم الحديث، و يواظب سماعه، و له مشاركة فى المذهب.

و توفّيت الشيخة الصالحة المعتقدة المعروفة بالبغدادية، صاحبة الرّباط بالقاهرة فى يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخرة، و كانت على قدم هائل من الصلاة و العبادة، و للناس فيها اعتقاد، و تقصد للزيارة.

و توفّى السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم؛ فى ليلة الخميس رابع شعبان بمحلّ ملكه مدينة تونس من بلاد المغرب، بعد أن حكمها أربعا و عشرين سنة و ثلاثة أشهر و نصفا، و قام من بعده على ملك تونس ابنه السلطان أبو فارس

عبد العزيز و كان من أجلّ ملوك الغرب، و طالت أيام ولده عبد العزيز فى الملك حسب ما يأتى ذكره فى محلّه، إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۳

و توفّى أيضا صاحب مملكة فاس من بلاد الغرب- السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم بن إبراهيم بن أبى الحسن المرينى ملك الغرب فى المحرّم، و أقيم بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز.

قلت: و هو يشارك المقدّم ذكره فى الاسم و الكنية و اسم الأب و الجدّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و أحد عشر إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۷]

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة سبع و تسعين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۱۲؛ ص۱۴۳

ها توفّى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الآمدى الدّمشقى الفقيه الحنبلى أحد أصحاب ابن تيميّة.

و توفى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الحلبى الأشرفى، و هو مسجون بقلعة حلب، و كان من أعيان المماليك الأشرفية؛ و أحد أكابر الأمراء بديار مصر.

و توفّى الشيخ المعتقد المجذوب أبو بكر البجائى المغربى، أحد من أوصى السلطان الملك الظاهر برقوقا أن يدفن تحت رجليه فى يوم السبت خامس جمادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۴

الآخرة، و دفن خارج باب النصر حيث هى التربة الظاهرية الآن، و كانت جنازته مشهودة، و أخرجه السلطان و جهّزه على يد الأمير يلبغا السالمى؛ و كان للناس فيه اعتقاد لا سيّما الظاهر برقوق فإنه كان له فيه اعتقاد.

و توفّى العلّامة صدر الدين بديع بن نفيس التّبريزى رئيس الأطباء بالديار المصرية فى سادس عشر شهر ربيع الأول، و هو عمّ القاضى فتح الدين فتح اللّه كاتب السّر الآتى ذكره، و هو الذى كفله بعد موت جدّه نفيس؛ و كان مات والد فتح الدين معتصم بن نفيس، و فتح اللّه طفل صغير؛ و كان بديعا ماهرا فى علم الطبّ كثير الحفظ لمتونه، و هو صاحب التصانيف المشهورة.

و توفّى الشريف أبو الحسن على بن عجلان بن رميثة، و اسم رميثة منجد بن أبى نمىّ بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن محمد بن موسى ابن عبد اللّه المحض بن موسى بن الحسن السّبط بن الحسن بن على بن أبى طالب المكى الحسنى، أمير مكة المشرفة، وليها ثمانى سنين و نحو ثلاثة أشهر مستقلّا بالإمارة؛ غير سنتين أو نحوهما؛ فإنه كان فيهما شريكا لعنان بن مغامس بن رميثة؛ و وقع له أمور بمكة مع الأشراف و وقائع؛ و آخر الأمر توجّه أخوه الشريف حسن بن عجلان إلى القاهرة يريد إمرة مكة؛ فقبض عليه السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۵

و حبسه؛ و بعث إلى علىّ هذا باستمراره على إمرة مكة، فاستمرّ على إمرتها إلى ان وقع بينه و بين بعض القواد، و خرج إليهم علىّ هذا، فبدره بعضهم و سايره، و هو راكب على راحلته، و الشريف علىّ هذا على فرس فرمى القائد بنفسه على الشريف علىّ المذكور و ضربه بجنبيّة كانت معه، فوقعا جميعا على الأرض، فوثب عليه علىّ و ضربه بالسيف ضربة كاد منها يهلك، و ولّى علىّ راجعا إلى الحلّة، فأغرى به شخص يقال له أبو نمىّ غلام لصهره حازم بن عبد الكريم جنديا، و عتبة و حمزة و قاسما، فوثبوا عليه و قتلوه و قطّعوه و بعثوا به إلى مكة، فدفن بالمعلاة على أبيه عجلان، و كان قتله فى يوم الأربعاء سابع شوّال، و ولى إمرة مكة بعده أخوه حسن بن عجلان.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الظاهر برقوق فى يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة، و مولده فى مستهل شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة، و أمّه خوند الكبرى أرد، صاحبة قاعة العواميد، و مات بعد أن أعيا الأطباء داؤه الذى كان برجليه من أرياح الشّوكة. و به مات، و كان إقطاعه الديوان المفرد الآن، فإنه لما مات جعله السلطان إقطاعه لمماليكه المشتروات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۶

و أفرده فسمى المفرد من يومئذ، و جعل كاتبه الهيصم، و كان محمد هذا أكبر أولاد السلطان و أعظمهم، و وجد السلطان عليه وجدا عظيما.

و توفّى قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلى الصوفى، قاضى قضاة الديار المصرية، و هو معزول فى ليلة الاثنين تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل. و كان أصله من أشموم الرمان، ولد قبل سنة ثلاثين و سبعمائة، و سمع الحديث و طلب العلم و تفقّه و وعظ دهرا، و قال الشعر، و أنشأ عدّة خطب بليغة، و جمع عدّة أجزاء فى عدّة فنون، و كان يتزيّا بزىّ الفقراء و يتصدى لعمل المواعيد، و اعتقده الناس و تبرّكوا به، و خطب بعدّة جوامع و صار له أتباع و شهرة كبيرة، إلى أن طلبه الملك الظاهر برقوق للقضاء بعد عزل القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فامتنع ثم أجاب فألبسه الملك الظاهر تشريف القضاء بيده، و أخذ طيلسانه يتبرّك به.

قال المقريزى: فداخل الناس بولايته خوف و وهم، و ظنوا أنه يحمل الناس على محض الحق، و أنه يسير على طريق السلف من القضاة، لما ألفوه من تشدّقه فى وعظه، و تفخّمه فى منطقه، و إعلانه بالتبكير على الكافّة، و وقيعته فى القضاة، و اشتماله على لبس الخشن المتوسط من الثياب، و معيبه على أهل التّرف، فكان أوّل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۷

ما بدأ به أن عزل قضاة مصر جميعهم من العريش إلى أسوان، و بعد يومين تكلم معه الحاجّ مفلح مولى القاضى بدر الدين بن فضل اللّه كاتم السرّ فى إعادة بعض من عزله من القضاة فأعاده، فانحل ما كان معقودا بالقلوب من مهابته، ثم قلع زيّه الذى كان يلبسه، و لبس الشاش الكبير الغالى الثمن و نحوه من الثياب، و ترفّع فى مقاله و فعاله، حتى كاد يصعد الجو، و شح فى العطاء و لاذبه جماعة غير محبّبين إلى الناس. فانطلقت ألسنة الكافّة بالوقيعة فى عرضه، و اختلقوا عليه ما ليس فيه، فلما قدم الأمير يلبغا الناصرىّ إلى الديار المصرية، و غلب برقوقا على المملكة و بعثه إلى سجن الكرك كان هو قاضيا يومئذ فوقّع فى حقّ الظاهر، و أساء القول فيه، فبلغه ذلك قبل ذهابه إلى الكرك فأسرّها فى نفسه، فلمّا ثار منطاش على الناصرى صرف ابن ميلق هذا عن القضاء بالصدر المساوى، بعد ما كان أخذ خطّه فى الفتاوى المكتتبة فى حقّ برقوق، فلمّا عاد برقوق إلى الملك لهج بدمه فتتبّعت أعين العدا لابن ميلق هذا و حسنوا للبيد فى أحمد أمين الحكم أن يقف للسلطان و يشكو ابن ميلق المذكور بسبب ما أخذه من أموال الأيتام، و كان نحو الثلاثين ألف درهم فضة، عنها قريب من ألف و خمسمائة مثقال من الذهب، فرفع فيه قصة إلى السلطان فطلبه فجاءوا به و قد حضر القضاة فأوقف مع النقباء تحت مقعد السلطان فى الميدان فحالما مثل قائما سقط مغشيا عليه، و صار على التّراب بحضرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۸

ذلك الجمع العظيم، فتقدّم بعض من كان يلوذ به ليصلح من شأنه، فصرخ فيه السلطان و ترك طويلا حتى أفاق، و ادّعى عليه البيد فى فلم يلحن بحجة، و ألزمه القضاة بغرامة ذلك، و القيام به للأيتام من ماله، و لم يكن المال المذكور فى ذمته، و إنما كان اقترضه و صرّه للحرمين، فلزمه غصبا و رسم عليه و سجن بالمدرسة الشريفية، ليدفع المال و ما زال يورده حتى أتى ذلك على غالب موجوده، ثم لزم داره و ذهبت عينه، و تخلّى عنه أحبابه إلى أن مات، و دفن حارج باب النصر بتربة الصوفية، فلقد كان قبل ولايته حسنة من حسنات الدهر، ما رأيت قبله أحسن صلاة منه و لا أكثر خشوعا مع حسن منطق، و فصاحة ألفاظ، و عذوبة كلام، و بهجة زىّ، و صدع فى وعظه إذا قصّ أو خطب، إلّا أنه امتحن بالقضاء، و ابتلى بما أرجو أن يكون كفارة له. انتهى كلام المقريزى باختصار.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن على بن صلاح الحريرى أحد نوّاب القضاة الحنفية، و مشايخ القرّاء بالديار المصرية، فى يوم الجمعة رابع عشرين شهر رجب.

و كان فقيها مقرئا، أقرأ و درّس و ناب فى الحكم سنين.

و توفّى القاضى شمس الدين محمد بن عمر القليجى الحنفى مفتى دار العدل، و أحد نواب القضاة بالديار المصرية، فى ليلة الثلاثاء العشرين من شهر رجب و قد بلغ من الرياسة مبلغا عظيما، و كانت لديه فضيلة تامّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۹

و توفّى العلّامة شمس الدين محمد الأقصرائى الحنفى شيخ المدرسة الأيتمشية بباب الوزير، فى سابع عشر جمادى الأولى، و كان إماما عالما مدرسا فقيها ذكيا حافظا، كان يلقى الدرس عند الملك الظاهر أيام إمرته، و صدرا من سلطنته، و كان خصيصا عند السلطان و له وجاهة فى الدولة، و تولّى بعد موته مشيخة الأيتمشية الشيخ سراج الدين عمر القرمى.

و توفّى القاضى برهان الدين إبراهيم القلقشندىّ الشافعىّ موقّع الحكم، و أحد الفقهاء الشافعية فى ثالث عشرين شعبان.

و توفّى الأمير سيف الدين طوغان بن عبد اللّه الظاهرىّ أمير جاندار، فى سادس عشر صفر، و كان أحد أعيان المماليك الظاهرية برقوق خصيصا عند أستاذه.

و توفّى الشيخ نور الدين أبو الحسن على الهورينىّ الفقيه الشافعى شيخ القوصونية فى شهر رجب و كان فقيها فاضلا بارعا.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد السفرى الحلبى الحنفى فى يوم الجمعة خامس شهر ربيع الأوّل، و أصله من قرية خربتا من عمل عزاز، و كان فقيها بارعا، و له مشاركة فى فنون.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۰

و توفّى القاضى جمال الدين أبو محمد عبد اللّه بن فرج النّويرى المالكى، أحد نواب الحكم المالكية بالديار المصرية، و كان معدودا من فضلاء المالكية.

و توفّى الأمير سيف الدين قرابغا بن عبد اللّه، والد الأمير جركتمر الخاصكى الأشرفىّ، فى ثانى شهر ربيع الأوّل و كان أحد أمراء العشرينات بالقاهرة، و كان مشكور السيرة خيّرا ديّنا.

و توفّى الشيخ المعتقد شمس الدين محمد المقسى فى يوم الأحد أول شهر رمضان، و كان يسكن بجامع المقسى على الخليج، و كان يقصد للزيارة.

و توفى الشيخ المعتقد محمد السّملوطى الصعيدى المالكى، فى ثانى عشر شهر رمضان، و كان فقيها خيّرا ديّنا، و للناس فيه اعتقاد و محبة.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن على بن عبد العزيز المعروف بابن المطرّز فى يوم الأحد سادس جمادى الآخرة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و أربعة أصابع- مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ثمانية أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۸]

السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق «الثانية على مصر» و هى سنة ثمان و تسعين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ المقرئ الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد بن بيبرس الجندىّ، المعروف بابن الركن البيبرسى الحنفى، و كان إماما فاضلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۱

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد اللّه الأعسر فى يوم عيد الفطر، و كان من أعيان الأمراء، و تنقّل فى عدّة ولايات.

و توفّى الأمير تمر بن عبد اللّه الشّهابى الحاجب أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان فقيها فاضلا، و إماما بارعا فى الفقه و فروعه، معدودا من فقهاء الحنفيّة، و كان شجاعا مقداما خرج عليه العرب العصاة فقاتلهم فجرح فى المعركة، و مات من جراحه، رحمه اللّه.

و توفّى الأمير الجليل سودون بن عبد اللّه الفخرى الشيخونى، نائب السلطنة بالديار المصرية بها؛ فى يوم الثلاثاء خامس جمادى الآخرة، بعد ما شاخ، و كان أصله من مماليك الأمير الكبير شيخون العمرى الناصرىّ، ثم ترقّى فى الدول إلى أن ولى حجوبية الحجاب بالديار المصرية، فى دولة الملك الصالح حاجى، ثم نقله الملك الظاهر برقوق إلى نيابة السلطنة فى أوائل سلطنته، و طالت أيامه فى السعادة، و كان وقورا فى الدّول، معظّما عند الملوك، و لما كبر و شاخ أخذ يتبرّم من الإمرة و الوظيفة و يستعفى، إلى أن أعفاه الملك الظاهر بعد قدومه من سفرته إلى البلاد الشامية، و كان سودون مقيما بالقاهرة، فلزم داره من صفر سنة سبع و تسعين و سبعمائة إلى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره، و كان أميرا خيّرا ديّنا وافر الحرمة، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، و منذ مات تجاهر الملك الظاهر برقوق بالمنكرات التى لم تكن قبل تعرف منه، و كان محبا للعلماء و الفقراء، كان يدور و ينزل إلى بيوت الفقراء، و يتبرّك بهم و يبذل إليهم الأموال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۲

قال قاضى القضاة العينى- رحمه اللّه-: و كان حصل له شىء من التّغفّل و التساهى.

قلت: كان فيه سلامة باطن مع دين و شفقة و لين جانب، حتى صار يحكى عنه أشياء فى حكوماته مختلقة عليه، كما يذكر الناس ذلك عن الخادم بهاء الدين قراقوش الصّلاحى الخصىّ و ليس لذلك صحة. انتهى.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبك بن عبد اللّه الطّشتمرى، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، و كان جليل القدر وقورا من الأمراء المشايخ.

و توفّى الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبك التّركمانى الأصل المصرى، فى يوم الجمعة سادس عشرين صفر، كان شابا جميلا- حسن الهيئة، و هو ممن توفّى بغير نكبة، ولّاه الملك الظاهر برقوق أوّلا شادّ الدواوين بعد ابن آقبغا آص، ثم عزل بابن آقبغا آص، و عوّض عن شدّ الدواوين بشد الدواليب الخاصّ، عوضا عن خاله محمد بن الحسام، بحكم انتقال خاله إلى الوزارة، ثم بعد مدّة صودر، و حمّل مائة و سبعين ألف درهم، و قبل أن يغلقها أفرج عنه، ثم ولاه الملك الظاهر الوزارة عوضا عن الوزير موفّق الدين، فى يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين و سبعمائة، و أنعم السلطان عليه فى يوم ولايته للوزارة بإمرة مائة و تقدمة ألف بديار مصر، ثم خلع السلطان على جماعة من الوزراء البطّالين بوظائف تحت يده تعظيما له، و صار الجميع فى خدمته، فاستقرّ الوزير سعد الدين نصر اللّه ابن البقرىّ ناظر الدولة، و استقرّ الوزير كريم الدين بن الغنّام فى نظر البيوت، و استقرّ الوزير علم الدين سنّ إبرة فى استيفاء الدولة، شريكا للوزير تاج الدين عبد الرحيم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۳

ابن أبى شاكر، و نزل الجميع فى خدمته، و باشروا بين يديه، كما كانوا بين يدى خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصّفوى، فسمّى بوزير الوزراء و باشر بحرمة وافرة إلى أن مات.

و توفّى السيد الشريف صدر الدين مرتضى بن الشريف غياث الدين إبراهيم ابن حمزة الحسنىّ العراقىّ، نقيب الأشراف فى ليلة [السبت] ثالث شهر ربيع الآخر، و دفن على أبيه بتربة الأتابك يلبغا العمرى بالصحراء خارج القاهرة، و كان ولى نظر وقف الأشراف مع نقابة الأشراف، و نظر القدس و الخليل، و كان شكلا جميلا مهيبا فصيحا بالألسن الثلاثة: العربية و العجمية و التركية، و كان ديّنا خيّرا، صاحب عبادة و نسك، و كان له نظم على طريق البغاددة- رحمه اللّه تعالى- و هو قوله:

بحقّى عليكم بشوقى إليكم إذا اشتقت ليكم تعالوا ابصرونى

و توفّى ملك الغرب و صاحب فاس السلطان أبو فارس عبد العزيز بن السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم بن إبراهيم بن أبى الحسن المرينى، و أقيم بعده على سلطنة فاس أخوه أبو عامر عبد اللّه.

و توفّى الشيخ صلاح الدين محمد الشّطنوفى موقّع الحكم فى شهر رمضان، و كان إماما فى صناعته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۴

و توفّى الشيخ نور الدين على بن عبد اللّه بن عبد العزيز [بن عمر بن عوض] الدّميرى المالكى شيخ القرّاء بخانقاه شيخون، و أخو القاضى تاج الدين بهرام، فى ثانى عشرين شهر رمضان، و كان إماما فى القراءات مشاركا فى عدّة فنون.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن جمق بن الأمير الكبير أيتمش البجاسى فى يوم الجمعة خامس صفر، و حضر السلطان الصلاة عليه و كان أحد أمراء الطبلخانات.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جاركس الخليلى فى يوم الثلاثاء تاسع صفر، و كان محمد المذكور أيضا من أمراء الطبلخانات بالديار المصرية.

و توفّى القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشى الحنفى المعروف بالرّخ، أحد نوّاب القضاة الحنفية بمصر فى [يوم الخميس سادس] جمادى الأولى.

و توفّى الشيخ زين الدين مقبل بن عبد اللّه الصّرغتمشى الفقيه الحنفى فى أول شهر رمضان بالقاهرة، و كان فقيها فاضلا مستحضرا لفروع مذهبه، و له مشاركة فى عدّة فنون.

و توفى الأمير سيف الدين تغرى بردى بن عبد اللّه القردمىّ قتيلا فى محبسه، و كان من أعيان الأمراء، و وقع له أمور فى واقعة الناصرى و منطاش مع الملك الظاهر برقوق أوّلا، ثم كان من حزب الملك الظاهر على منطاش آخرا، و دام على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۵

ذلك إلى أن قبض عليه و حبس، ثم قتل فى التاريخ المذكور- رحمه اللّه- و كان شجاعا مقداما.

و توفّى الشيخ الخطيب برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ المعتقد الصالح عبد اللّه المنوفى الفقيه المالكى فى شهر رجب، و كان أحد الفقهاء المالكية، أقرأ و درّس و خطب بجامع الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر سنين، و هو ابن العبد الصالح المشهور عبد اللّه المنوفى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و اثنا عشر إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۹]

السنة الثامنة من سلطنة الملك الظاهر برقوق «الثانية على مصر» و هى سنة تسع و تسعين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير سيف الدين إياس بن عبد اللّه الجرجاوى نائب طرابلس بالقاهرة بعد أن قبض عليه و ألزم بحمل مال كبير، فأرسل خازنداره إلى حضور المال، فمات بعد يومين، فى يوم الجمعة ثامن عشرين صفر، و كان أولا من أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم تنقل فى عدّة أعمال بالبلاد الشامية، حتى إنه ولى نيابة طرابلس ثلاث مرات آخرها فى سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية إلى أن عزله بالأمير دمرداش المحمدى الظاهرى، نائب حماة، و توجّه إياس أتابكا بدمشق، فأقام بها يسيرا و طلب إلى القاهرة و صودر و أهين إلى أن مات بعد يومين حسب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۶

ما تقدّم ذكره، و قيل: إنه لما أهين كان فى يده خاتم سمّ فمصّه فمات من وقته، و قيل غير ذلك، و كان بشع المنظر ظالما غشوما حدّ

المزاج كريهة المعاشرة، يرمى بعظائم، قيل: إنه قال له رجل مرة: يا وجه القمر؛ بعد أن دعا له كما هى عادة العوامّ، فضرب الرجل ضربا مؤلما، و قال: أنا أعرف بنفسى منك، و كانت بعض حظاياه ملكها الوالد من بعده و استولدها، فكانت تحكى عنه عظائم من سوء خلقه و خلقه.

و توفّى الأمير أبو بكر بن [محمد بن واضل] المعروف بابن الأحدب أمير العربان ببلاد الصعيد قتيلا.

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه التمان تمرى الأمير آخور الثانى، و أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، فى رابع عشر جمادى الآخرة، و كان من قدماء الأمراء، و هو من أوّل الأمر إلى آخره كان من حزب الملك الظاهر برقوق، و كان الملك الظاهر ينادمه و يمازحه و يعجبه كلامه، و أنا أتعجّب غاية العجب من الملك الظاهر برقوق فى عدم ترقّيه، و لعلّه كان راضيا بما هو فيه- و اللّه أعلم- و هو والد صاحبنا الناصرى محمد بن بيبرس- رحمهما اللّه تعالى-.

و توفّى الأمير عمر بن عبد العزيز أمير عرب هوّارة ببلاد الصعيد.

قلت: و عمر هذا هو والد بنى عمر أمراء العربان ببلاد الصعيد فى زماننا هذا، و لعله يكون أوّل من ولى منهم الإمرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۷

و توفّى الشيخ المسند المعمّر المعتقد زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن المبارك بن حماد المغربى المعروف بابن الشيخة، و مولده فى سنة خمس و عشرين و سبعمائة، و مات فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر، و دفن خارج القاهرة بعد أن حدّث سنين و صار رحلة فى زمانه.

و توفّى الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد العزيز العقيلىّ (بفتح العين المهملة) المالكى إمام المالكية بالمسجد الحرام بمكة المشرفة، و أخو القاضى أبى الفضل، و كان يعرف بالفقيه علىّ النّويرىّ، فى ثانى جمادى الأولى بمكة المشرفة، و كان سمع الكثير و حدّث سنين.

و توفى الشيخ الإمام محبّ الدين محمد بن الشيخ الإمام العلّامة جمال الدين عبد اللّه بن يوسف بن هشام النحوىّ، فى ليلة الاثنين رابع عشرين شهر رجب بعد أن تصدّى لإقراء النحو سنين، و انتفع به جماعة الطلبة، و كان له مشاركة جيّدة فى الفقه و غيره، و كان خيّرا ديّنا.

و توفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفىّ، قاضى قضاة الديار المصرية، فى يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة، و كان عفيفا دينا مشكور السّيرة، و تولى القضاء من بعده قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطىّ، بعد أن خرج البريد بطلبه، و شغر منصب القضاء بالقاهرة، مائة يوم و أحد عشر يوما، حتى حضر و ولى قضاء الحنفية بديار مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۸

قلت: هكذا تكون ولاية قضاة الشرع الشريف بعزّة و طلب و احترام، لا كمن يسعى فيها من بيت المال و الأمير الكبير إلى بيت والى القاهرة، حتى يلى بالمال و البذل من غير تستّر فى ذلك حتى إنه يعرف ولايته بالبرّطيل، كلّ أحد من المسلمين حتى النصارى و اليهود، فلا حول و لا قوة إلا باللّه العلىّ العظيم.

و توفّى الشيخ الإمام العالم زين الدين ميكائيل بن حسن بن إسرائيل التّركمانى، الفقيه الحنفىّ فى ذى الحجة عن نيّف و سبعين سنة، كان فقيها فاضلا بارعا مشاركا فى فنون كثيرة من العلوم، و كان مستحضرا لمذهبه مناظرا طلق اللسان فصيحا و أقرأ و درّس سنين.

و توفّى القاضى جمال الدين محمود بن أحمد، و سماه بعضهم محمودا بن محمد بن على ابن عبد اللّه القيصرى العجمىّ الحنفى، قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية، و ناظر الجيوش المنصورة بها، و شيخ شيوخ خانقاه شيخون، فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول، بعد أن جمع بين هذه الوظائف الثلاث التى لم تجمع لغيره، و كان من رجال الدهر حزما و عزما، و معرفة و عقلا و فضلا، و كان قدم

إلى القاهرة فى عنفوان شبيبته فقيرا مملقا، و ترك بالمدرسة الصّرغتمشية مدّة يخدم الفقهاء، فرأى فى منامه أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يقول له: أنت شاهنشاه، ففسّر المنام على الشّنشى، و كان من جملة الصوفية بالصرغتمشية، و تنقّلت به الأحوال إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۹

صار يقرئ المماليك بالأطباق من القلعة، و قتل الملك الأشرف شعبان و صار مخدومه طشتمر اللّفاف أتابك العساكر، فتكلّم له فى حسبة القاهرة دفعة واحدة فوليها، و نزل عند شخص فى داره حتى تعيّن له دار يسكنها، و بعث له قاضى القضاة صدر الدين المناوى بثوب حتى لبسه، لعجزه عن شراء ثوب، و هذا كان أوّل مبدأ أمره، ثم تنقّل فى الوظائف حتى كان من أمره ما كان، و لما مات خلّف موجودا كبيرا و كتبا حسنة، و خلّف ثمانية أولاد من الذكور و الإناث، منهم العلّامة صدر الدين أحمد بن العجمى الآتى ذكره فى وفيات ثلاث و ثلاثين و ثمانمائة، و تولّى قضاء الحنفيّة من بعده القاضى شمس الدين محمد الطرابلسى، و مات فى السنة حسب ما تقدّم، و ولى الجيش بعده شرف الدين بن الدّمامينى.

و توفّى الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه الأستادار، فى يوم الأحد تاسع شهر رجب بخزانة شمائل، بعد ما نكب و عوقب و صودر و دفن بمدرسته خارج بابى زويلة المعروفة به، و جملة ما أخذه الملك الظاهر منه من المال فى ايام مصادرته ألف ألف دينار، و أربعمائة ألف دينار، و ألف ألف درهم فضة، و بضائع و غلال، و غير ذلك بما ينيف على ألف ألف درهم فضة، و تلف له بأيدى من عاقبه و حواشيه جملة كبيرة، و اخفى هو أيضا أشياء كثيرة يترجّى البقاء، و من عظم ما ظهر له من المال، قالت العامة: ألان اللّه الحديد لداود، و الذهب لمحمود، و كان أصل محمود هذا أنه كان فى مبدأ أمره فقيرا يتعانى الشدّ فى إقطاعات الجند،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۰

ثم حدم عند بعض الأمراء، فصلحت حاله، و حصّل و سعى، حتى ولى شدّ الدواوين بالقاهرة، فظهر منه نجابة و يقظة، و ترقّى حتى ولى الأستادارية فى دولة الملك الظاهر برقوق الأولى، و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف، و نكبه الناصرى لمّا ملك مصر، و حبسه إلى أن خرج من السجن فى توبة بطا و أصحابه من الجبّ، و أعاده الملك الظاهر إلى وظيفة الأستادارية، بعد مدة فإنه كان أولا لما قدم إلى مصر ولّاه مشيرا، ثم أعاده إلى الأستادارية، و دام بها إلى أن قبض عليه الظاهر، بسعى كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب، و أجرى عليه العقوبة إلى أن مات.

و توفّى الوزير الصاحب سعد الدين نصر اللّه القبطى الأسلمى، المعروف بابن البقرى، فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة مخنوقا بعد عقوبة شديدة و مصادرة.

و توفّى قاضى القضاة سرىّ الدين [أبو الخطاب محمد] بن محمد قاضى قضاة الشافعية بدمشق، المعروف بابن المسلّاتى الشافعى، بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب، و كان فقيها عالما أفتى و درّس و ولى قضاء دمشق، و كان معدودا من علماء الشافعية.

و توفى قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاه عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبى العزّ وهيب بن عطاء بن جبير ابن جابر بن وهيب الحنفى الدمشقى، المعروف بابن أبى العز، و بابن الكشك قتيلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۱

بدمشق، فى مستهل ذى الحجة بعد أن لزم داره مدة، و كان إماما فقيها بارعا عالما مفتّنا، ولى قضاء دمشق استقلالا غير مرة، و حسنت سيرته، و أشخص فى سنة سبع و سبعين و سبعمائة إلى الديار المصرية، و ولى بها قضاء الحنفية بعد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد اللّه التركمانى بعد موته، فلم تطل مدته و استعفى، و ألحّ فى ذلك حتى أعفاه السلطان، و ولّاه قضاء الحنفية بدمشق على عادته، فدام بها سنين، ثم صرف عنها، و لزم داره حتى مات قتيلا بدمشق- رحمه اللّه تعالى-

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۰]

السنة التاسعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق «الثانية على مصر» و هى سنة ثمانمائة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين تنبك بن عبد اللّه اليحياوىّ الظاهرىّ، الأمير آخور الكبير فى ليلة الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر، و نزل السلطان إلى الإسطبل و مشى فى جنازته حتى حضر الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى، ثم ركب و توجّه أمام جنازته حتى شاهد دفنه، و أقام القرّاء على قبره أسبوعا، و وجد السلطان عليه كثيرا و بكى عند دفنه، و كان من عظماء المماليك الظاهرية، أنعم عليه السلطان بإمرة عشرة فى أوائل واقعة الناصرىّ و منطاش، ثم رقّاه حتى ولّاه الأمير آخورية بعد الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۲

بكلمش العلائى، لمّا نقل إلى إمرة سلاح، فدام فى وظيفة الأمير آخورية إلى أن توفى، و تولّى الأمير آخورية بعد موته الأمير نوروز الحافظى الظاهرىّ رأس نوبة النوب.

و توفّى السيد الشريف جمال الدين عبد اللّه بن عبد الكافى بن على بن عبد اللّه الطّباطبى نقيب الأشراف فى ليلة رابع عشرين ذى القعدة.

و توفّى القاضى العلّامة تاج الدين أبو محمد عبد اللّه بن على بن عمر السّنجارى الحنفى المعروف بقاضى صور (بفتح الصاد المهملة) و صور: بليدة بين حصن كيفا، و بين ماردين من ديار بكر بن وائل، و كان إماما عالما مفتنّا بارعا فى الفقه و الأصلين، و العربية و اللغة، و أفتى و درّس سنين بدمشق و مصر، و كان فى ابتداء أمره لما قدم القاهرة اجتاز بدمشق و استوطنها مدّة، و أخذ بها عن العلّامة علاء الدين القونوى الحنفىّ، ثم قدم إلى القاهرة فأخذ عن العلّامة شمس الدين محمد الأصبهانى و غيره، حتى برع فى عدّة فنون، و أفتى و درّس و صنّف و أشغل، و من تآليفه كتاب «البحر الحاوى فى الفتاوى» و نظم كتاب «المختار فى الفقه» و نظم «السراجية فى الفرائض»

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۳

و نظم كتاب «سلوان المطاع لابن ظفر» و ناب فى الحكم بالقاهرة، و ولى وكالة بيت المال بدمشق، و كان من محاسن الدنيا دينا و علما و خيرا و كرما.

و توفّى الأمير سيف الدين قلمطاى بن عبد اللّه العثمانى الظاهرى الدوادار الكبير بالديار المصرية فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى، و حضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى، و حضر دفنه أيضا بتربته التى أنشأها عند الصّوّة بالقرب من باب الوزير، و بكى السلطان عليه بكاء كثيرا، و أقام القرّاء على قبره أسبوعا، و تولّى الدوادارية من بعده الأمير بيبرس ابن أخت السلطان، و كان قلمطاى من أجلّ المماليك الظاهرية، باشر الدواداريـة بحرمة وافرة، و نالته السعادة و عظم فى الدولة، و هو صاحب الحاصل بالقرب من البندقيين بالقاهرة، و خلّف مالا- كثيرا، و هو أيضا ممن نشّأه أستاذه الملك الظاهر برقوق فى سلطنته الثانية، رحمه اللّه تعالى.

و توفّى أمين الدين أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن على الأنصارى الحمصى الحنفى كاتب سرّ دمشق بها فى ثانى عشر ذى الحجة، و مولده فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و خمسين و سبعمائة، و تفقه بدمشق، و برع فى الفقه و العربية، و شارك فى عدّة فنون مشاركة جيّدة، و مهر فى الأدب و الترسّل و النظم، و تولى كتابة سرّ دمشق و باشرها بحرمة وافرة، و نالته السعادة فى مباشرته، و كان ذا شكالة حسنة، و عبارة فصيحة، و فضل و إفضال، و كان له يد فى علم الموسيقى و تأديته، و عنده ميل إلى اللهو و

الطرب مع حشمة و دين و كرم، و من شعره لمّا عاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۴

من تجريدة أرزنكان صحبة الأمير تنم الحسنى نائب الشام، و قد ضلّ غالب العسكر فى بعض الليالى عن الماء، فنزل هو على ماء فى بعض الطريق، و قال فى ذلك:

(البسيط).

ضلّوا عن الماء لمّا أن سروا سحرا قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما

و اللّه أكرمنى بالورد دونهم فقلت «يا ليت قومى يعلمون بما»

و له أيضا- سامحه اللّه تعالى- (الوافر).

جفون من تأرّقها دوامى مدامعها تفيض على الدوام

فديت عيون من حرمت عيونى مناها من لقا طيب المنام

و راشت من لواحظها نبالا مراشقها شفين من السقام

إذا لاحظننى فتصيب قلبى على اللّحظات موفور السهام

لها شفتان قد شفتا فؤادى و لا شفتاه إلّا للغرام

و ثغر من يعيش به ارتواء يموت من الصّبابة و هو ظام

أدامت لى مدامته ارتشافا فوا سكراه من ذاك المدام

و لمّا رام بدر الأفق فخرا و تشبيها بما تحت اللّثام

بدت تختال عجبا عن عقود و تبسم عن جمان بانتظام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۵

فأزرى ثغرها بالدر نقصا و أخجل وجهها بدر التمام

بعيشك يا كريم الخيم كن لى معينا إن مررت على الخيام

و قل صبّ توصّل فى أوان له قلب تقطّع بالأوام

و لبّ هام بالذكرى و دمع كوبل عطاء فخر الدين هامى

و توفّى القاضى نجم الدين محمد بن عمر الطّمبدى وكيل بيت المال و محتسب القاهرة فى رابع عشرين شهر ربيع الأوّل. قال المقريزى: «و كان غاية فى الجهل»

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد أبو عبد اللّه محمد بن سلامة النّويرىّ المغربىّ المعروف بالكركى لطول إقامته بمدينة الكرك فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل، و كان عند الملك الظاهر برقوق بمنزلة مكينة جدّا، كان يجلسه فوق قضاة القضاة، و لم يغيّر لبس العباءة، و لا أخذ من الملك الظاهر شيئا من المال، و كان الناس فيه على قسمين ما بين مفرط فى مدحه، و ما بين مفرط فى الحطّ عليه. و تولّى الأمير يلبغا السالمى تجهيزه، و بعث السلطان مائتى دينار للقراءة على قبره مدّة أسبوع.

و توفّى الأمير سيف الدين آق بلاط بن عبد اللّه الأحمدى الظاهرى أحد أمراء العشرات و رأس نوبة فى شهر ربيع الآخر، و كان تركىّ الجنس شجاعا.

و توفّى الأمير سيف الدين طوغاى بن عبد اللّه العمرى أحد أمراء العشرات بالديار المصرية، و نقيب الفقراء السّطوحيّة فى أوّل شهر ربيع الأوّل، و كان ديّنا خيّرا يحب الفقراء، و يتردّد لزيارة الصالحين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۶

و توفّى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البعلبكّى الدمشقى الضرير المعروف بالبرهان الشامى فى ثامن جمادى الأولى، و كان فاضلا أديبا فقيها.

و توفّى الأمير سولى بن قراجا بن دلغادر التّركمانى، صاحب أبلستين، قتل غيلة على فراشه، و كان غير مشكور السيرة، كثير الشرور و الفتن.

و توفّى الأمير شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار فى ثانى عشر شهر رجب و كان من جملة أمراء العشرات.

و توفّى الشيخ الأديب المادح أبو الفتح محمد بن الشيخ العارف على البديوىّ فى ثامن عشر جمادى الآخرة بالنّحريرية، و كان أكثر شعره مدائح.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۷

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و اثنا عشر إصبعا- مبلغ الزيادة. تسعة عشر ذراعا و سبعة أصابع و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۸

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۱]

ذكر سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الأولى على مصر

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق بن الأمير آنص، الجاركسى الأصل، المصرىّ المولد و المنشأ، سلطان الديار المصرية، و البلاد الشامية، و الأقطار الحجازية، و هو السلطان السادس و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، و الثانى من الجراكسة، و أمّه أم ولد رومية تسمّى شيرين، ماتت فى سلطنته. مولده فى سنة إحدى و تسعين و سبعمائة، قبل خلع أبيه الملك الظاهر برقوق من السلطنة، و حبسه بالكرك، فأراد أن يسمّيه «بلغاك» يعنى «تخبيط» باللغة التركية، فسمّى «فرجا».

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل صبيحة موت أبيه يوم الجمعة النصف من شوّال سنة إحدى و ثمانمائة بعهد من أبيه إليه حسب ما تقدّم ذكره، فى أواخر ترجمة أبيه، و حسب ما نذكره أيضا.

و فى سلطنته يقول الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد اللّه بن حسن الأوحدى: [الطويل]

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك إلى ربّه يرقى إلى الخلد فى الدرج

و قالوا ستأتى شدّة بعد موته فأكرمهم ربّى و ما جا سوى (فرج)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۹

ذكر جلوسه على تخت الملك

قال الشيخ تقىّ الدين المقريزى- رحمه اللّه تعالى-: و لمّا كان صبيحة يوم الجمعة اجتمع بالقلعة الأمير الكبير أيتمش، و الأمير تغرى بردى أمير سلاح، و سائر أمراء الدولة، و استدعى الخليفة و قضاة القضاة، و شيخ الإسلام البلقينى، فلما تكاملوا بالإسطبل السلطانى، أحضر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق، و خطب الخليفة و بايعه بالسلطنة و قلّده أمور المسلمين، و أحضرت خلعة سوداء فأفيضت على فرج المذكور، و نعت بالملك الناصر، و ركب بشعار السلطنة، و طلع حتى جلس على تخت الملك بالقصر السلطانى، و قبّل الأمراء كلّهم الأرض بين يديه على العادة، و لبس الخليفة تشريفا جليلا، ثم أخذ الأمراء فى تجهيز السلطان الملك الظاهر برقوق.

انتهى كلام المقريزى.

قلت: و نـذكر الآن فى ابتداء دولة الملك الناصـر فرج اسم خليفة الوقت و لقبه، و قضاة القضاة، و أرباب الوظائف من الأمراء و غيرهم من النوّاب، بالبلاد الشامية، ليكون ذلك مقدّمة لما يأتى من تغيير الوظائف و تقلّبات الدّول. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۰

فخليفة الوقت: أمير المؤمنين المتوكّل على اللّه أبو عبد اللّه محمد العباسـىّ، و القاضـى الشافعى صدر الدين محمد المناوى، و القاضى الحنفى جمال الـدين يوسف الملطى، و القاضـى المالكىّ ولىّ الدين عبد الرحمن بن خلدون، و القاضـى الحنبلى برهان الدين إبراهيم بن نصر اللّه العسقلانى، و الأمير الكبير أتابك العساكر أيتمش البجاسىّ، و أمير سلاح تغرى بردى من يشبغا الظاهرىّ (أعنى الوالد)، و أمير مجلس أرغون شاه البيدمرى الظاهرى، و الأمير آخور الكبير سيّدى سودون قريب الملك الظاهر برقوق، و حاجب الحجاب فارس الأـعرج الظـاهرى، و رأس نوبـة النّوب أرسطاى، و الـدوادار الكـبير بيـبرس ابن أخت السـلطان الملـك الظـاهر، و الخازنـدار يشـبك الشـعبانى الظاهرىّ، و هو أمير مائـة و مقـدّم ألف، و شادّ الشـراب خاناه سودون المارداني، و الأسـتادار الأمير يلبغا الأحمـدى الظاهرى المجنون، و كاتب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۱

السـرّ فتـح الدين فتح اللّه التّبريزىّ، و الوزير تاج الدين عبد الرزّاق بن أبى الفرج، و ناظر الجيش و الخاصّ معا سـعد الدين إبراهيم بن غراب، و محتسب القاهرة الشيخ تقىّ الدين أحمد المقريزىّ، و والى القاهرة شهاب الدين أحمد بن الزين، بالبلاد الحجازية و الشامية، و أمير مكـة الشـريف حسن بن عجلاـن الحسـنىّ، و أمير المدينـة النبويـة الشـريف ثـابت بن نعير الحسـينىّ، و نائب الشام الأمير تنبك الحسـنى المعروف بتنم الظـاهرى، و نـائب حلب آقبغا الجمالى الظاهرى، المعروف بالأطروش و نائب طرابلس يونس بلطا الظاهرى، و نـائب حمـاة دمرداش المحمـدى الظـاهرى، و نـائب صـفد ألطنبغـا العثمـانى الظـاهرى، و نـائب غزّة ألطنبغا الحاجب الظاهرى، و نائب الكرك سودون الشمسىّ الظاهرى المعروف بالظريف، و عدّة نوّاب أخر بقلاع الساحل و غيرها يطول الشرح فى ذكرهم.

و لمّـا تم أمر الملك الناصـر فرج فى الملك، بعـد أن دفن والـده، و صار الأتابك أيتمش مـدبّر ملكه، أراد أيتمش أن يطلع إلى باب السلسـلة و يسـكن بالإسـطبل السـلطانىّ، فمنعه من ذلـك الأـمير سودون الأـمير آخور الكبير، قريب الملك الظاهر، و ردّ ما بعته الأمير الكبير أيتمش من القمـاش، فاسـتدعى سودون إلى حضـرة السـلطان فـامتنع، فأمسـك أيتمش عن الكلاـم فى ذلك، و تكلّم فيما يعود نفعه، فأمر فكتب إلى سائر الأقطار بالعزاء فى الملك الظاهر برقوق، و الهناء بسـلطنة ولـده الملك الناصـر فرج، و كتب تقليد الشـريف حسن بن عجلان بإمرة مكّـة، و كان بالقاهرة، و كتب إلى مكّـة و بها الأمير بيسق الشـيخى والى المدينـة النبويـة، و توجّه بذلك بعض الخاصكية، و كتب إلى الأمير نعير بن حيّار بإمرة آل فضل على عادته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۲

و عزل الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنّا، و عرف بموت الملك الظاهر، و بسلطنة الملك الناصر فرج؛ و حمل إليه التشريف و التقليد على يد الأمير أسـنبغا الدوادار، و عيّن الأمير سودون الطّيار الأمير آخور بالكتب و الخلع إلى نائب الشام الأمير تنم الحسنى، و عيّن يلبغا الناصرى رأس نوبة إلى الأمير آقبغا الجمالى نائب حلب، و عيّن الأمير تغرى بردى قرا إلى الأمير يونس بلطا نائب طرابلس، و عيّن الأمير يشـبك إلى الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد، و عيّن الأمير شاهين كنك إلى الأمير سودون الظريف نائب الكرك، و على يـد كل من هؤلاء كتاب يتضـمّن العزاء و الهناء، و أن يحلّف كلّ نائب أمراء بلـده للملك الناصـر فرج على العادة، و قرر الأمير الكبير أيتمش مع أرباب الدولة إبقاء الأمور على ما هى عليه.

ثم كلّم الوزير و الأستادار فى الكفّ عن الظلم و تجهيز الجامكيّة و العليق برسم لمماليك السلطانية.

و فى يوم الاثنين ثامن عشـر شوّال خرج ركب المحمل إلى البركـة صـحبة أمير الحج الأمير شـيخ المحمودىّ الظاهرىّ، «أعنى الملك المؤيد»، و أمير الركب الأوّل الأمير الطواشى بهادر مقدّم المماليك السلطانية.

و فى اليوم المذكور اجتمع الأمراء بالقلعة فى الخدمة السلطانية على عادتهم، و طلبوا الأمير سودون أمير آخور، فامتنع عن الحضور، فبعث الأمراء إليه ثانيا فامتنع، فكرروا الإرسال إليه ثلاث مرات إلى أن حضر فكلّموه فى النزول من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۳

الإسطبل فلم يجبهم إلى ذلك، فتخيّلوا منه و اتّهموه بأنه يريد إثارة فتنة، فقبضوا عليه و على الأمير علىّ بن إينال اليوسفى، و أخرجوا ما كان له بالإسطبل من خيول و قماش و نحو ذلك، و سكن الأتابك أيتمش مكانه بالإسطبل من باب السلسلة، و أنزل سودون و على بن إينال فى الحديد إلى الحرّاقة و جهزا إلى سجن الاسكندرية ثم نودى بالقاهرة و مصر بخروج طائفة العجم من الديار المصرية، و هدّد من تأخّر بعد ثلاثة أيام بالقتل.

ثم خلع على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار باستقراره (لا لا) السلطان الملك الناصر فرج، و معه الأمير قطلوبغا الكركى (لا لا) أيضا.

و لمّا كان يوم حادى عشرين شوّال جلس السلطان الملك الناصر فرج بدار العدل، «أعنى بالإيوان من قلعة الجبل» على عادة الملوك، و خلع على الأمير الكبير أيتمش، و على الوالد الأمير تغرى بردى و هو أمير سلاح، و على أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس؛ و على بيبرس الدوادار، و أرسطاى رأس نوبة النّوب، و فارس حاجب الحجّاب، و تمربغا المنجكى الحاجب الثانى، و أحد مقدّمى الألوف، و على يلبغا المجنون الأستادار، و على جميع أرباب الدولة.

ثم قام السلطان من دار العدل و دخل إلى القصر، و جلس القضاة بجامع القلعة حتى يخلع عليهم، فعند ما تكامل الأمراء و أرباب الدولة بالقصر، أغلق الأمراء الخاصكية باب القصر، و كان رئيسهم يوم ذاك سودون طاز، و سودون من زادة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۴

و آقباى رأس نوبة، و جاركس القاسمى المصارع، ثم سلّوا سيوفهم بمن معهم، و هجموا على الأمراء و قبضوا على أرسطاى رأس نوبة النّوب، و تمراز و تمربغا المنجكى، و طغنجى و بلاط السعدى، و طولو رأس نوبة، و فارس الحاجب، و فرّ مبارك شاه و طبج، فأدركا، و قبض عليهما أيضا، و بلغ ذلك يلبغا المجنون الأستادار و كان خارج القصر، فخلع خلعته و سلّ سيفه، و نزل من القلعة إلى داره.

ثم أحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم إلى عند الأمير الكبير أيتمش و قد بهت و أسكت، و قيّدوا أرسطاى رأس نوبة النّوب، و تمراز و تمربغا المنجكى؛ و طغنجى أحد أمراء الطبلخانات، و أطلقوا من عداهم، و استدعوا يلبغا المجنون الأستادار، فلمّا حضر قبض عليه أيضا و قيّد و أضيف إلى الأمراء المقبوض عليهم و أنزل الجميع من يومهم إلى الحرّاقة، و توجّهوا إلى سجن الإسكندرية، ما خلا يلبغا المجنون فإنه فى يوم السبت ثالث عشرينه عصر يلبغا المجنون ليحضر المال، ثم أسلموه لسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش و الخاصّ ليحاسبه، فنزل به إلى داره، و سألوا يلبغا السالمىّ بوظيفته الأستادارية فامتنع، فعرضوها على ناصر الدين محمد بن سقر و ابن قطينة فلم يوافقا، فخلع على الأمير مبارك شاه باستقراره أستادارا عوضا عن يلبغا المجنون.

و فيه أنفق على المماليك السلطانية نفقة سلطنة الملك الناصر، و تولّى الإنفاق عليهم يلبغا السالمى، و فرّقت بحضرة السلطان و الأمراء، فأعطى كلّ مملوك من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۵

من أرباب الخدم الجوانية و المشتروات ستين دينارا؛ صرف كل دينار ثلاثون درهما.

و فى يوم الاثنين خامس عشرينه، تأخّر سائر أمراء الألوف عن طلوع الخدمة السلطانية خوفا من الخاصكيّة، فإن الأمور صارت معذوقة بهم، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور فأبوا ذلك، فنزل الخاصكية إلى الإسطبل فى خدمة الأمير الكبير أيتمش، و استدعوا الأمراء من منازلهم فحضروا، و كثر الكلام بينهم حتى اتفقوا جميعا، و تحالفوا على طاعة الأمير الكبير أيتمش، و الملك الناصر، و حلف لهم أيضا أيتمش، ثم حلف سائر المماليك و الخاصكية، و تولّى تحليفهم يلبغا السالمىّ، و خلع على سودون المارداني باستقراره رأس نوبة النّوب عوضا عن أرسطاى المقبوض عليه قبل تاريخه، و على قطلوبغا الحسنىّ الكركى باستقراره شادّ الشراب خاناه، عوضا عن

سودون الماردانی، و أنعم علی الأمیر قراکسک بإمرة مائة، و تقدمة ألف کانت مؤخّرة.

ثم فی یوم الثلاثاء سادس عشرین شوّال خلع علی الوزیر تاج الدین عبد الرزاق ابن أبی الفرج باستقراره فی وظیفة الأستادارية مضافا للوزر عوضا عن مبارک شاه بحکم استعفاء مبارک شاه.

و فیه کتب مرسوم سلطانیّ باستقرار قرا یوسف بن قرا محمد صاحب تبریز فی نیابة الرّها علی عادته، و باستقرار دمشق خجا فی نیابة جعبر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۶

و فیه ورد الخبر بأن أبا یزید بن عثمان ملک الروم تحرّک للمشی علی البلاد الشامیة، و فی ثامن عشرین شوّال، ورد الخبر بأن الأمیر تنم الحسنی نائب الشام أخذ قلعة دمشق، و کان خبر أخذه لقلعة دمشق أنّ تنم کان بالمرج من غوطة دمشق، فقدم علیه الخبر بموت الملک الظاهر برقوق، فرکب و قصد دمشق و لم یشعر به الناس، فی لیلة الأربعاء العشرین من شوّال، حتی حضر إلی دار السعادة ثلث اللیل، فلما أصبح استدعی الأمیر جمال الدین یوسف الهیدبانیّ نائب قلعة دمشق، بحجة أن الملک الظاهر برقوقا طلبه إلی الدیار المصریة، فعندما نزل إلیه أمسکه و بعث من تسلّم قلعة دمشق، فلم یعلم أحد ما قصده تم المذکور إلی أذان الظهر، فوصل فارس دوادار تنم من مصر، و أخبر بموت الملک الظاهر، و سلطنة ولده الملک الناصر فرج، و أخبر أیضا بأن سودون الطیّار قادم بالخلعه إلی الأمیر تنم، فخرج الأمیر تنم إلی لقائه، و لبس الخلعة، و باس الأرض خارج مدینة دمشق، ثم عاد إلی دار السعادة و قد اجتمع بها القضاة و الأعیان، و قرئ علیهم کتاب السلطان الملک الناصر فرج، فأجابوا بالسمع و الطاعة، و نودی بدمشق بالأمان و الزینة، فزیّنت البلد، و دقّت البشائر، و سرّ الناس بذلک، و أخذ الأمیر تنم یقول بأنّ السلطان صغیر، و کلّ ما یصدر لیس هو عنه، و إنما هو عن الأمراء، و أنا وصیّ السلطان لا یعمل أحد شیئا إلا بمراجعتی و نحو هذا، فاضطرب الناس بدمشق، و بلغ ذلک نائب حمص، فأخذ قلعتها، و أخذ أیضا نائب حماة قلعة حماة، کلّ ذلک قبل تکملة خمسة عشر یوما من سلطنة الملک الناصر فرج.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۷

ثم فی أوّل ذی القعدة رکب الأمیر طغای تمر مقدّم البریدیة من مصر علی البرید إلی البلاد الشامیة، و معه ملطّفات لأمراء الورسق و الأمراء الأوجقیّة، و مطلق لنواب الممالک و القلاع، و مثال لأحمد بن رمضان نائب أذنة و لأمراء التّرکمان، و لنائب حلب، و لنائب سیس و صحبته أقبیة مطرّزة بفرو؛ خمس عشرة قطعة، و فوقانیات حریر بطرز زرکش؛ أربع و عشرون قطعة، و تشاریف عدّة کبیرة.

و فی ثالث ذی القعدة فرغ تحلیف المماليک السلطانیة للملک الناصر فرج.

و فیه أنعم علی الأمیر إینال بای من قجماس بإمرة مائة و تقدمة ألف، و هو خبز أرسطای رأس نوبة النّوب، و علی سودون من علی بک المعروف بطاز، بتقدمة الأمیر سودون أمیر آخور المقبوض علیه، و علی آقبای من حسین شاه، بتقدمة ألف أیضا عوضا عن تمربغا المنجکیّ، و أنعم علی الأمیر یعقوب شاه الخازندار بإمرة طبلخاناه زیادة علی طبلخاناته، فصارت تقدمته بثمانین فارسا «أعنی إمرة ثمانین»، و أنعم علی کل من قرابغا الأسنبغاوی و ینتمر المحمدی و آقبای الإینالی بإمرة طبلخاناه، و علی جرباش الشیخی بإقطاع یلبغا المجنون، إمرة خمسین فارسا و علی آقبغا المحمودی بإمرة طبلخاناه أیضا و علی کلّ من تمر الساقی و جرکس القاسمیّ المصارع، و إینال حطب، و کمشبغا الجمالی، و ألطنبغا الخلیلیّ، و کزل العجمیّ البجمقدار، و قانی بای العلائی، و جکم من عوض، و صومای الحسنی بإمرة عشرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۸

و فی سابعه خلع علی سودون الماردانی باستقراره رأس نوبة النّوب، و کانت عیّنت له قبل ذلک، غیر أنه کان متوعّکا، و علی یعقوب شاه الظاهری باستقراره حاجبا ثانیا، عوضا عن تمربغا المنجکی بإمرة ثمانین، و علی کلّ من سودون من زاده، و تنکزبغا الحططیّ، و بشبای و جکم من عوض، و آقبغا المحمودی الأشقر و استقروا رءوس نوب صغارا.

و فى تاسعه خلع على قرابغا الأسنبغاوى و مقبل الظاهرى، و استقروا حجّابا، فصارت الحجّاب ستة بالديار المصرية، و رءوس نوب نحو العشرة، و هذا شىء لم يكن قبل ذلك.

ثم حضر الأمير دقماق المحمّدى معزولا عن نيابة ملطية بتقادم كثيرة.

و فى ثانى عشره خلع على الأمير جرباش الشيخى و تمان تمر، باستقرارهما رءوس نوب أيضا، فزادت عدّة رءوس النّوب على العشرة، و خلع على كزل المحمدى العجمى البجمقدار باستقراره أستادار الصحبة، عوضا عن قرابغا الأسنبغاوى، المنتقل إلى الحجوبية، و خلع على كل من الطواشيين: شاهين الحسنى الأشرفى، و عبد اللطيف الأشرفى باستقرارهما (لالا) السلطان.

و فى سابع عشره استدعى الأمير الكبير الشيخ سراج الدين عمر البلقينىّ و القضاة و أعيان الفقهاء من كل مذهب، فحضر الجميع عند الأمير الكبير بالإسطبل، و قد حضر الأمراء و الخاصكية بسبب الأموال التى خلّفها السلطان الملك الظاهر برقوق، هل تقسّم فى ورثته؟ أو يكون ذلك فى بيت مال المسلمين؟ فوقع كلام كثير آخره أن تفرّق فى ورثته من السدس، و ما بقى فلبيت المال.

و فيه استقرّ الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس فى نظر خانقاه شيخون عوضا عن يلبغا السالمى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۹

و فى حادى عشرين ذى القعدة، استقر الأمير سودون الطيّار أمير آخورا كبيرا، عوضا عن سودون قريب السلطان، بعد أن شغرت عدّة أيام.

و فى ثالث عشرينه خلع على أستادار الوالد؛ شهاب الدين أحمد بن عمر المعروف بابن قطينة باستقراره وزيرا، عوضا عن تاج الدين بن أبى الفرج.

[و خلع أيضا على يلبغا السالمى الظاهرى باستقراره أستادارا عوضا عن ابن أبى الفرج] المذكور، و قبض على تاج الدين بن أبى الفرج و صودر، فلم تطل مدة ابن قطينة فى الوزر، و عزل بفخر الدين ماجد بن غراب فى رابع ذى الحجة و عاد إلى أستادارية الوالد على عادته.

ثم قدم الخبر فى ثامن عشر ذى الحجة بأن ابن عثمان أخذ الأبلستين و ملطية، و عزم على المسير إلى البلاد الشامية، فعمل الأمراء مشورة فى أمره، و اتفق الحال على المسير إلى قتاله، و تفرّقوا فأنكر المماليك السلطانية ذلك، و قالوا هذه حيلة علينا حتى نخرج من القاهرة، و عيّنوا سودون الطيّار الأمير آخور لكشف هذا الخبر، و حضر البريد من دمشق بأن علاء الدين بن الطبلاوى ترك لبس الأمراء، و تزيّا بزىّ الفقراء، و امتنع من الحضور إلى مصر، و كان طلب إليها، و أن تنم نائب الشام قال: هذا رجل فقير قد قنع بالفقر، اتركوه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۰

و فى يوم ثامن عشر المذكور خرج سودون الطيّار لكشف الأخبار، فدخل دمشق فى العشرين منه، و هذا شىء من وراء العقل، كونه يصل من مصر إلى الشام فى يومين.

و فى أواخر ذى الحجة قدم الخبر بأن تنم نائب الشام خرج عن الطاعة، و قبض جانبك اليحياوى الظاهرى، الذى كان ولى نيابة قلعة دمشق، و لم تسلّم له قلعة دمشق، و أنه أرسل إلى نائب الصّبيبة. فأفرج عن آقبغا اللكّاش، و ألجيبغا الحاجب، و خضر الكريمى، و استدعاهم إلى دمشق، فقدموا عليه، فلم يتحرّك بسبب ذلك ساكن بمصر لاختلاف الكلمة.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۲]

اشارة

ثم فى يوم الثلاثاء حادى عشرين المحرم سنة اثنتين و ثمانمائة، ركب السلطان الملك الناصر من قلعة الجبل، و معه الأمير الكبير أيتمش البجاسى، و الوالد أمير سلاح، و سائر الأمراء، و نزل إلى تربة أبيه بالصحراء وزاره، ثم عاد بعد أن شقّ القاهرة، و طلع إلى القلعة، و هذا أوّل ركوب الملك الناصر.

ثم فى هذه الأيام تزايد الاختلاف بين أكابر الأمراء، و بين الأمراء الخاصّكية و اشتدّت الوحشة بين الطائفتين، و اتّفق سودون طاز، و سودون من زاده، و جركس القاسمى المصارع، و آقباى من حسين شاه، و بشباى و غيرهم، و انضموا على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار، و صاروا فى عصبة قوية و شوكة شديدة، و استمالوا جماعة كبيرة من خجداشيّتهم الظاهرية، الذين بالأطباق من القلعة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۱

و تأكّدت الفتنة، و شرعت كلّ من الطائفتين تدبّر على الأخرى، فأخذ الأمراء الخاصكيّة يتخوّفون من تنم نائب الشام، فأرسلوا بتفويض أمور البلاد الشامية إليه، فلما وصل ذلك إلى تنم على يد مملوكه سونجبغا، فى ثالث عشر المحرم، و قرئ المرسوم الشريف الذى على يده بدار السعادة، و فيه أنه يعزل من شاء، و يولّى من شاء، و يطلق من شاء من المسجونين، فأرسل أطلق الأمير جلبان الكمشبغاوى الظاهرى المعروف بقراسقل المعزول عن نيابة حلب، ثم عن أتابكيّة دمشق، من سجن قلعة دمشق فى ليلة الجمعة رابع عشرين المحرم، و أطلق أيضا الأمير أزدمر أخا إينال اليوسفى، و محمد بن إينال اليوسفى، من سجن طرابلس و أحضرهما إلى دمشق، ثم بعث إلى نوّاب البلاد الشامية يدعوهم إلى طاعته، و إلى القيام معه فأجابه الأمير آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، و الأمير يونس بلطبا نائب طرابلس، و الأمير ألطنبغا العثمانى الظاهرى نائب صفد، و امتنع من إجابته الأمير دمرداش المحمدى الظاهرى، نائب حماة، ثم بعث تنم إلى طرابلس بتجهيز شينى فى البحر إلى ثغردمياط، ليحمل فيه الأمير نوروز الحافظى، و غيره من الأمراء الذين بثغردمياط، فبادر ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمنى، فتسلم برج الأمير أيتمش بطرابلس، و ركب البحر إلى دمياط، و قدم إلى القاهرة، و أعلم القوم بما قصده تنم، فكتب على يده عدّة ملطّفات إلى الأمير قرمش حاجب حجّاب طرابلس، و إلى القضاة و الأعيان بأن قرمش يركب على يونس بلطا نائب طرابلس و يقتله، و يلى نيابة طرابلس عوضه، فاتفق أنّ يونس المذكور قبض على قرمش الحاجب و قتله قبل وصول ابن بهادر إلى طرابلس، ثم إن تنم استدعى الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى المقدّم ذكره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق لمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۲

صودر و حبس بخزانة شمائل، ثم نفى و خلع عليه، و أقامه متحدّثا فى أمور الدولة:

كما كان فى ديار مصر، فأخذ ابن الطبلاوى هذا فى الإفحاش فى أمر الشاميّين، و طرح عليهم السّكّر الواصل من الغور، بحيث إنه طرح ذلك على الناس، حتى على الفقهاء و نقباء القضاة، فتنكّرت القلوب عليه، و قدم الخبر بهذا كلّه إلى الديار المصرية، فتحقّق عند ذلك أعيان الدولة عصيان تنم و صرّح الأمراء الخاصكية بأن الأمير الكبير أيتمش، و الوالد و جماعة من أكابر الأمراء بالديار المصرية، قد وافقوا تنم على ذلك، و كاتبوه بالخروج، و لم يكن لذلك صحّة، فأخذ الأمراء الخاصّكية و كبيرهم يشبك الشعبانىّ الخازندار، فى التدبير على أيتمش و رفقته، و اتفقوا على أمر يكون فيه زوال أيتمش و أصحابه، و علّموا السلطان الملك الناصر فرجا يقول يقوله إلى أيتمش.

فلمّا كان يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول من سنة اثنتين و ثمانمائة و جميع الأمراء بالخدمة السلطانية، ابتدأ السلطان الملك الناصر بالكلام مع الأمير الكبير أيتمش، و قال له: يا عمّ أنا قد أدركت و بلغت الحلم، و أريد أن أرشد فقال له أيتمش: السمع و الطاعة، و اتّفق مع الأمراء الخاصكيّة على ترشيد السلطان و صوّب ذلك جميع الأمراء؛ إلّا الوالد و فارس الحاجب، و خالفا الجميع، فأخذ الأتابك أيتمش يحسّن ذلك للوالد و لفارس، حتى أذعنا على رغمها لترشيد السلطان و أنهم يمتثلون بعد ترشيده سائر ما يرسم به، و طلب فى الحال الخليفة و القضاة و السراج البلقينىّ و مفتى دار العدل فحضروا، و قام سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش و

الخاصّ، و ادّعى على الأمير الكبير أيتمش، بأن السلطان قد بلغ رشده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۳

و شهد عدّة من الأمراء الخاصكيّة بذلك، و لم يكن لذلك صحّة فحكم القضاة بعد البيّنة برشد السلطان، و خلع على الخليفة و قضاة القضاة و على الأمير الكبير أيتمش و انفضّ الموكب، و نزل الأمير الكبير إلى داره التى كان يسكن بها بالقرب من باب الوزير و معه جميع الأمراء، فلما سار أيتمش حتى صار تحت الطبلخاناه السلطانية، و طلب أن يسلّم على الأمراء، و التفت برأس فرسه، و قد وقف له جميع الأمراء لردّ سلامه، و قبل أن يسلّم عليهم، قال له الوالد: إلى أين يتوجّه الأمير الكبير من هنا؟ قال الأمير أيتمش: إلى بيتى! أو ما علمت بما وقع عليه الاتفاق من ترشيد السلطان، و أنه يستبدّ بالأمور، و أنزل أنا من باب السّلسلة إلى دارى! فقال الوالد: نعم، وقع ذلك، غير أنه بنزولك تسكن الفتنة، اطلع إلى باب السلسلة، و امكث به اليوم، و خذ فى نقل قماشك شيئا بعد شىء إلى الليل حتى نبرم أمرا نفعله فى هذه الليلة، فإذا أصبحت فانزل إلى دارك، فقال أيتمش: يا ولدى! ليس ذلك مصلحة و يقيم- من له غرض فى إثارة الفتنة- الحجّة علينا، فألح عليه الوالد حتى سمع كلامه كلّ أحد، و أيتمش لا يذعن إليه، و أبى إلّا النزول إلى داره، ثم سلّم عليهم، و التفت برأس فرسه، فقال الوالد: أخربت بيتك و بيوتنا بسوء تدبيرك، و عاد الوالد إلى جهة داره، بخط الصليبة عند حمام الفارقانى، و معه سائر الأمراء،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۴

فكلّمهم فى الطريق و قال: هؤلاء الأجلاب لابدّ لهم معنا من رأس، فإن كان و لابد يكون ذلك فى الإسطبل السلطانى معنا، و ندب الأمراء إلى أن يتوجّهوا إلى أيتمش فى ذلك، فقالوا: قد فات الأمر، و نزل إلى داره، ثم توجّه كلّ واحد إلى منزله، و فى الحال دقّت البشائر لترشيد السلطان، و زيّنت القاهرة، و افترق العسكر فرقتين: فرقة مع الأمير الكبير أيتمش البجاسى، و هم جميع أكابر الأمراء و المماليك القرانيص، و فرقة مع الأمير يشبك الشعبانى الخازندار، و هم الأمراء الخاصّكية و مماليك الأطباق، و قويت شوكة الأمير يشبك بعجز أيتمش و عدم أهليته فى القيام بتدبير الأمور من يوم مات الملك الظاهر برقوق، و استمر ذلك إلى ليلة عاشر شهر ربيع الأول المذكور، و قد ندم الأمير الكبير أيتمش على نزوله من باب السلسلة، حيث لا ينفعه الندم، و لم يجد بدّا من الركوب، و اتّفق مع الأمراء على الركوب

ذكر الواقعة بين الأتابك أيتمش و بين يشبك و غيره

و لما كان ليلة الاثنين عاشر شهر ربيع الأول، اتفق الأمراء الأكابر مع الأمير الكبير أيتمش، و لبسوا الجميع آلة الحرب، و اجتمعوا على الأتابك أيتمش بداره بخط باب الوزير، بعد نزول أيتمش من باب السلسلة بثلاثة أيام، و أخذ بعض رفقته من أكابر الأمراء يلومه على نزوله من الإسطبل السلطانى، و على عدم ميله لكلام الأمير تغرى بردى (أعنى الوالد) فى النزول، فقال: هكذا قدّر، و كان سبب ركوب أيتمش بعد نزوله من الإسطبل أنه لمّا وقع ترشيد السلطان، و اتفقوا معه على أن ينزل إلى داره ظنّ أيتمش أن بنزوله تسكن الفتنة، و تطمئن الخواطر، و يصير هو على عادته رأس مشورة، و لا يعمل شىء إلّا بعد مشاورته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۵

فتمشى الأحوال بذلك على أحسن وجه؛ و لم يدر أن القصد كان بنزوله من باب السلسلة حتى يضعف أمره؛ و تصير القلعة بأسرها فى أيدى الجماعة؛ و يستبدّوا بالأمر من غير مشارك؛ ثم يقبضوا على واحد واحد، حتى يصفو لهم الوقت؛ و فطن الوالد لذلك فعرّف أيتمش بالمقصود و قال له: إنّه لا بدّ لهؤلاء الجماعة من إثارة فتنة فإن كان و لا بدّ فيكون ذلك و نحن ملّاك باب السلسلة؛ و هى شطر القلعة، فأبى إلّا ما أراد اللّه تعالى، و نزل إلى داره و أقام يومه، ثم أصبح و قد تحقّق ما قاله الوالد و غيره، و علم أنه متى ظفروا به و بالأمراء رفقته قبضوا عليهم، فلم يجد بدّا من الركوب و ركب إلى الوالد فى ظهر نهاره و ترضاه، حتى وافقه، فعند ذلك وافقه

الجميع، و اتّفق رأيهم على الركوب فى ليلة الاثنين المذكورة، فركبوا بعد صلاة العشاء الأخيرة، و هم جماعة كثيرة من أمراء الألوف و الطبلخانات و العشرات و المماليك السلطانية القرانيص، فالذى كان معه من مقدمى الألوف: الأمير تغرى بردى من يشبغا أمير سلاح (أغنى عن الوالد)، و الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس، و فارس حاجب الحجاب، و يعقوب شاه الحاجب الثانى، و من أمراء الطبلخانات ألطنبغا شادى، و شادى خجا العثمانى، و تغرى بردى الجلبانى، و بكتمر الناصرىّ المعروف بجلّق، و تنكزبغا الحططى، و آقبغا المحمودى الأشقر، و عيسى فلان والى القاهرة، و من العشرينات أسندمر الإسعردىّ، و منكلى العثمانى، و يلبغا من خجا الظريف، و من العشرات خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، و خليل بن قرطاى شادّ العمائر، و على بلاط الفخرى، و بيرم العلائى، و أسنبغا المحمودى، و محمد بن يونس النّوروزى، و ألجيبغا السلطانى و تمان تمر الإشقتمرى، و تغرى بردى البيدمرى، و أرغون السّيفىّ، و يلبغا المحمودى، و باى خجا الحسنىّ، و أحمد بن أرغون شاه الأشرفى، و مقبل الحاجب، و محمد بن على بن كلبك نقيب الجيش و خير بك من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۶

حسن شاه: و جلبّان العثمانى، و كزل العلائى و يدى شاه العثمانى، و كمشبغا الجمالى، و ألطنبغا الخليلى، و ألطنبغا الحسنى، و نحو الألف مملوك من أعيان المماليك السلطانية، و خرج أيتمش إلى داره ملبسا هو و مماليكه، و كانوا نحو الألف مملوك، و صحبته الأمراء المذكورون، و عبّى عساكره، و أوقف طلبه و مماليكه بمن انضاف إليهم من أمراء الطبلخانات و العشرات، و المماليك السلطانية بالصّوّة، تجاه باب المدرّج أحد أبواب قلعة الجبل، و أصعد جماعة أخر من حواشيه إلى سطح المدرسة الأشرفية التى مكانها الآن بيمارستان الملك المؤيد شيخ، ليرموا على من بالطبلخاناة السلطانية و يحموا ظهور مماليكه، و لم يخرج هو من بيته و كان الذى رتب العساكر الوالد، و وقف الأمير فارس حاجب الحجّاب و معه جماعة من أمراء الطبلخانات و العشرات، فى رأس الشارع الملاصق لمدرسة السلطان حسن، المتوصّل منه إلى سوق القبو، ليقاتل من يخرج من باب السلسلة من السلطانية، و وقف الوالد و معه الأمير أرغون شاه أمير مجلس، برأس سويقة منعم من خط الصليبة، تجاه القصر السلطانى و تفرقت الأمراء و المماليك ثلاث فرق: كل فرقة إلى جهة من الأمراء المذكورين مع من انضاف إليهم من المماليك البطالة و الزّعر و غيرهم، و أخذ كلّ واحد من هؤلاء الأمراء يعبّئ طلبه و عساكره، على حسب ما يختار، كلّ ذلك فى الليل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۷

و أمّا أهل القلعة فإن الأمير يشبك الشعبانىّ الخازندار لمّا سمع بذلك ركب إلى القلعة هو و بيبرس الدّوادار و طلعا إلى السلطان، و قد اجتمع غالب الأمراء و الخاصكيّة من الظاهرية عند السلطان، و طلب يشبك فى الحال مماليك الأطباق، و أمرهم يلبس السلاح و لبس هو و جميع الأمراء، و حرّضهم على قتال أيتمش و رفقته، و خوّفهم عاقبة الأمر، و قال لهم: هؤلاء و إن كانوا خشداشيّتنا، فقد صاروا الآن أجانب، و تركوا خبز الملك الظاهر برقوق، و خرجوا على ولده، و أرادوا يسلطتون أيتمش و نحن نقاتل مع ابن أستاذنا حتى نموت، فأجابه جميع المماليك الجلبان و ظنوا أن مقالته حقيقية، و فى الحال دقّت الكوسات الحربية بالقلعة و لبس سائر الأمراء الذين بالقلعة، و هم: بيبرس الدوادار ابن أخت الملك الظاهر برقوق، و يشبك الشعبانى الخازندار المقدّم ذكره، و سودون المارداني رأس نوبة النّوب، و سودون من على بك طاز، و إينال باى بن قجماس، و يلبغا الناصرى. و بكتمر الرّكنى و دقماق المحمدى المعزول عن نيابة ملطية، و شيخ المحمودى (أعنى المؤيّد) و آقبغا الطرنطائى و الجميع ألوف، و جماعة أخر من الطبلخانات و العشرات، و أما المماليك السلطانية فمعظمهم، و نزل السلطان الملك الناصر فرج من القصر إلى الإسطبل السلطانى، و وقع القتال بين الطائفتين من وقت عشاء الأخيرة إلى باكر النهار و معظم قتال أهل القلعة مع الذين كانوا برأس سويقة منعم، و تصادموا غير مرّة، و بينما القتال يشتدّ أمر الأتابك أيتمش البجاسى فنودى من قبض على مملوك جركسىّ و أحضره إلى الأمير الكبير أيتمش فله كيت و كيت، فلمّا سمعت الجراكسة الذين كانوا من حزب أيتمش ذلك حنقوا منه و توجّه أكثرهم إلى السلطان، مع أن أيتمش كان من أعظم

الجراكسة؛ غير أن زوال النعم شئ آخر، فعند ذلك كثر جمع السلطانية و قوى أمرهم، و حملوا على الوالد، و بمن معه و هو برأس سويقة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۸

منعم، فكسروه، فمرّ بمن معه من الأمراء و مماليكه حتى اجتاز بداره، و هى دار طاز بالشارع الأعظم تجاه حمّام الفارقانى، و القوم فى أثره، فحمى ظهره مماليكه الجلبان الذين بالأطباق بالرمى على السلطانية، حتى تركوه و عادوا، و مرّ الوالد حتى لحق بالأمير أيتمش بالصّوّة.

و أما السلطانية فإنهم لمّا كسروا الوالد، و كان الأهم عادوا لقتال فارس الحاجب، و كان فارس من الفرسان المعدودة الأقشية، فثبت لهم فارس المذكور ثباتا عظيما، لولا ما كادوه من أخذ مدرسة السلطان حسن، و الرمى عليه من أعلاها إلى أن هزموه أيضا، و انحاز بطائفته إلى أيتمش بالصوّة، فكرر أيتمش المناداة على المماليك الجراكسة- خذلان من اللّه-، فذهب من كان بقى عنده منهم، و عند ذلك صدمته السلطانية صدمة هائلة كسروه فيها، و انهزم من بقى معه من الأمراء المذكورين و المماليك وقت الظهر من يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين و ثمانمائة، و مرّوا قاصدين إلى جهة الشأم حتى نزلوا بسرياقوس، فأخذوا من الخيول السلطانية التى كانت بها من جيادها نحو المائة فرس، ثم ساروا إلى نحو البلاد الشامية، و ندب السلطان خلف أيتمش و رفقته من المنهزمين جماعة من أمراء الألوف و غيرهم، فالذى كان منهم من أمراء الألوف بكتمر الرّكنى المعروف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۹

ببكتمر باطيا، و يلبغا الناصرى، و آقبغا الطرنطائى، و من أمراء الطبلخانات أسنبغا الدوادار و بشباى من باكى، و صومای الحسنى فى جماعة كثيرة من أمراء العشرات، و المماليك السلطانية، و هم نحو خمسمائة مملوك فلم يقفوا لهم على خبر، و عادوا من قريب.

و امتدّت الأيدى إلى بيوت الأمراء المنهزمين بالنهب، فنهبوا جميع ما كان فيها حتى نهبت الزّعر مدرسة أيتمش و أخذوا جميع ما كان فيها حتى حفروا قبر ولده الذى كان بها، و أحرقوا الرّبع المجاور لها من خارج باب الوزير، و نهبوا جامع آق سنقر المجاور لدار أيتمش، و استهانوا حرمة المصاحف بها، ثم نهبوا مدرسة السلطان حسن، و انتهبوا بيوتا كثيرة من بيوت المنهزمين، فكان الذى أخذ من بيت الوالد فقط من الخيل و القماش و السلاح و غير ذلك ما تزيد قيمته على عشرين ألف دينار.

ثم كسرت الزّعر حبس الديلم و حبس الرحية، و أخرجوا من كان بهما من أرباب الجرائم، و صارت القاهرة فى ذلك اليوم غوغاء، من غلب على شىء صار له، و قتل فى هذه الواقعة من الطائفتين جماعة كبيرة من المماليك و غيرهم، فكان الذى قتل من الأمراء قجماس المحمدى شادّ السلاح خاناه، و قرابغا الأسنبغاوى، و ينتمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۰

المحمدى، و اختفى بالقاهرة ممن كان مع الأتابك أيتمش، مقبل الرومى الطويل أمير جاندار، و كمشبغا الخضرى و جماعة أخر يأتى ذكرهم، و توجّه بقية أصحابه الجميع صحبته إلى دمشق، و قصد أيتمش الأمير تنم الحسنى نائب الشام.

و أما تنم نائب الشام فإنه لما عظم أمره بدمشق و تمّ له ما قصده، وجّه الأمير آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش فى عدّة من الأمراء و العساكر إلى غزّة فساروا من دمشق فى أوّل شهر ربيع الأوّل المذكور. ثم ندب جماعة أخر من كبار الأمراء إلى البلاد الحلبية، و خرجوا من دمشق فى ثالث شهر ربيع الأوّل، و عليهم الأمير جلبان الكمشبغاوى الظاهرى، المعروف بقراسقل المعزول عن نيابة حلب قديما، و معه الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صفد كان، و الأمير بيخجا المعروف بطيفور نائب غزّة كان، و هو يومئذ حاجب دمشق و الأمير يلبغا الإشقتمرى، و الأمير صرق الظاهرى، و ساروا إلى حلب لتمهيد أمورها. ثم قبض الأمير تنم على الأمير بتخاص و عيسى التركمانى و حبسهما بالبرج من قلعة دمشق، ثم خرج تنم فيمن بقى معه من عساكره فى سادسه يريد حلب، و جعل الأمير أزدمر أخا إينال اليوسفى نائب الغيبة بدمشق، و سار حتى قدم حمّص و استولى عليها، و ولّى عليها من يثق به من أصحابه، ثم توجّه إلى حماة، فوافاه الأمير

يونس بلطا نائب طرابلس و معه عسكر طرابلس، و نزلوا على مدينة حماة، فامتنع نائبها الأمير دمرداش المحمدى بها، و قاتل تنم قتالا شديدا، و قتل من أصحاب تنم نحو الأربعة أنفس و لم يقدر عليه تنم، و بينما تنم فى ذلك ورد عليه الخبر بقيام أهل طرابلس على من بها من أصحابه.

و خبر ذلك أنه لما قرب محمد بن بهادر المؤمنى من طرابلس، بعث ما كان معه من الملطّفات من الديار المصرية لأهل طرابلس، فوصلت إليهم قبل قدومه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۱

ثم وصل هو بمن معه فى البحر، فظنه نائب غيبة يونس بلطا من الفرنج، فخرج إليه فى نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس، فتبيّن له أنه من المسلمين، فطلبه نائب الغيبة بمن معه فلم يأته، و قاتلهم على ساحل البحر فانهزم إلى برج أيتمش، و كان تحت حكم ابن المؤمنى المذكور، فأصبح الذين أتتهم الملطّفات من مصر، و نادوا فى العامّة بجهاد نائب الغيبة، و خطب خطيب البلد بذلك، فشرعت العامّة فى قتال نائب الغيبة حتى هزموه و نهبوا ما كان معه توجه إلى حماة، فأرسل تنم الأمير الأمير صرق على عسكر كبير لقتال أهل طرابلس، فتوجه صرق إليهم، و قاتلهم قتالا شديدا مدّة تسعة أيام، و بينما تنم فى ذلك ورد عليه الخبر بواقعة الأمير أيتمش مع المصريين، و أنه نزل بمن معه فى دار النيابة بغزّة، و أنه سار بمن معه يريد دمشق، فسرّ تنم بذلك و أذن لنائب غيبته بدمشق و هو الأمير أزدمر بدخول أيتمش، و من معه إلى دمشق و بالقيام فى خدمتهم حتى يحضر إليهم، تم لما بلغه عجز صرق عن أهل طرابلس، جهّز إليها نائبها الأمير يونس بلطا فى طائفة كبيرة من العساكر، فسار إليها يونس و دخلها بعد أن هزم ابن المؤمنى، و ركب البحر و معه القاضى شرف الدين مسعود قاضى القضاة الشافعية بطرابلس، يريدان القاهرة بمن معهما، و نهب يونس أموال الناس كافّة بطرابلس، و فعل فى طرابلس و أهلها ما لا تفعله الكفرة، و قتل نحو العشرين رجلا من أعيان طرابلس و قضاتها و علمائها منهم: الشيخ العالم المفتى جمال الدين بن النابلسى الشافعى. و الخطيب شرف الدين محمود، و القاضى المحدّث شهاب الدين أحمد الأذرعى المالكىّ، و قاضى القضاة شهاب الدين الحنفىّ، و القاضى موفّق الدين الحنبلى، و قتل من عامة طرابلس ما يقارب الألف، و صادر الناس مصادرات كثيرة، و أخذ أموالهم وسى حريمهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۲

فكانت هذه الكائنة من أقبح الحوادث، و كانت فى الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل المذكور.

و أمّا أمر الديار المصرية فإنه لمّا كان بعد الواقعة من الغد خلع السلطان على الأمير قرابغا مغرق الظاهرى باستقراره فى ولاية القاهرة عوضا عن عيسى فلان بحكم عصيانه مع أيتمش، فمات من الغد من جرح كان أصابه فى الواقعة، و استقرّ فى ولاية القاهرة عوضه بلبان أحد المماليك الظاهريّة، فنزل بلبان المذكور بالخلعة إلى القاهرة فمرّ من باب زويلة يريد باب الفتوح، و عبر راكبا من باب الجامع الحاكى و هو ينادى بالأمان، و إذا بالأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين قد جاء من جهة باب النصر، و هو أيضا ينادى بين يديه باستقراره فى ولاية القاهرة، فتحيّرت المقدّمون و الجبلية بينهما، و بينما هم فى ذلك و قد التقى بلبان مع ابن الزين فقال بلبان أنا ولّانى فلان، و قال ابن الزّين أنا ولّانى فلان، و إذا بالطواشى شاهين الحسنى قدم و معه خلعة ابن الزين بولايته القاهرة، فبطل أمر بلبان، و تصرّف ابن الزين فى أمور الولاية و نادى بالكف عن النهب، و هدّد من ظفر به من النّهابة.

ثم فى سادس عشره عرض السلطان المماليك السلطانية، ففقد منهم مائة و ثلاثون نفر قد انهزموا مع الأتابك أيتمش.

ثم قبض السلطان على الأمير بكتمر جلّق أحد أمراء الطبلخانات، و تنكزبغا الحططىّ أحد أمراء الطبلخانات أيضا و رأس نوبة، و قرمان المنجكى و كمشبغا الخضرى، و خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، و على بن بلاط الفخرى، و محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۳

يونس النوروزى و ألجيبغا السلطانى و أرغون السيفى و أحمد بن أرغون شاه، و الجميع من أصحاب أيتمش.

ثم رسم السلطان فكتب بإحضار الأمير سودون أمير أخور المعروف بسيدى سودون، و الأمير تمراز الناصرى من سجن الإسكندرية، و الأمير نوروز الحافظى الأمير أخور الكبير كان، من ثغردمياط و سارت القصّاد لإحضارهم، فوصلوا فى العشرين منه و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان و نزلوا إلى دورهم.

و فى أوّل شهر ربيع الآخر استقرّ الأمير آقباى من حسين شاه الطّرنطائىّ حاجب الحجّاب عوضا عن الأمير فارس الأعرج، و استقرّ الأمير دقماق المحمدى المعزول عن نيابة ملطية باستقراره حاجبا ثانيا عوضا عن يعقوب شاه بحكم عصيانهما مع أيتمش.

ثم فى ثالثه خلع السلطان على كلّ من الأمير أسنبغا العلائى الدوادار و الأمير قمارى الأسنبغاوى والى باب القلعة و منكلى بغا الصلاحى الدوادار و سودون المأمورى باستقرارهم حجّابا، و استقر تمربغا المحمدى نائب القلعة.

و أما الأمير تنم فإنه لما جاءه خبر أيتمش ترك حصار حماة و عاد إلى دمشق ثم خرج إلى لقاء أيتمش و أصحابه فى خامس شهر ربيع الآخر إلى ظاهر دمشق.

فلمّا عاينهم ترجّل عن فرسه و سلّم عليهم و بالغ فى إكرامهم، و عاد بهم إلى دمشق و قدّم إليهم تقام جليلة، لاسيّما الوالد فإن تنم قام بخدمته زيادة عن الجميع، حتى يزول ما كان عنده حسب ما تقدّم ذكره و سببه أنه كان وعّر خاطر أستاذه الملك الظاهر برقوق عليه حتى عزله عن نيابة حلب، فأخذ تنم يعتذر إليه، و يتلطّف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۴

به حتى زال ما كان عنده من الكمائن القديمة، و صار من أعظم أصحابه، و حلّفه على موافقته و حلف له، و وعده بأمور كثيرة يستحيا من ذكرها.

ثم كتب الوالد إلى الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة بالدخول فى طاعة تنم حسب ما يأتى ذكره.

ثم قدم على الأمير تنم كتاب الملك الناصر فرج يأمره بمسك الأتابك أيتمش و بمسك الوالد و من قدم معهما، فأخذ تنم الكتاب و أتى به إلى أيتمش و رفقته، و قرأه عليهم بالقصر الأبلق من الميدان، فضحك الوالد و قال له: امتثل مرسوم السلطان و افعل ما أمرك به فتبسّم تنم و قال له: بالله عليك زوّل ما عندك و طيّب قلبك، و قام و عانقه، ثم تكلّم تنم مع الأمراء فيما يفعله فى أمر دمرداش نائب حماة، فأشار الوالد بأنه يتوجّه إليه صحبة الأمير الكبير أيتمش، ثم يتوجّهان أيضا إلى نائب حلب يدعوانه إلى طاعة تنم و موافقته، فقال: هذا الذى كان خاطرى، فإن دمرداش لا يسمع لأحد غيرك، و خرجا بعد أيام إلى جهة حماة، فأجاب دمرداش بالسمع و الطاعة، و دخل تحت طاعة تنم و وعد بالقيام بنصرته، ثم عاد الوالد و أيتمش إلى دمشق فسرّ تنم بذلك غاية السرور.

ثم قدم دمرداش بعد ذلك بأيام إلى دمشق، فخلع عليه تنم باستمراره على نيابة حماة، و أنعم عليه بأشياء كثيرة و توجّه إلى حماة ثم أخذ الجميع فى التأهّب إلى قتال المصريين.

و أمّا ما وقع بالديار المصرية من الولايات و العزل، فإنه لمّا كان العشر الأخير من شهر ربيع الاخر، خلع السلطان على الأمير بيبرس الدوادار باستقراره أتابك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۵

العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير أيتمش البجاسىّ، و أنعم عليه بإقطاعه إلا النّحريرية و منية بدران و طوخ الجبل، فغضب بيبرس بسبب ذلك فلم يلتفت إلى غضبه، و أنعم بإقطاع الوالد و وظيفته على نوروز الحافظى، و أنعم على تمراز الناصرىّ بإقطاع أرغون شاه أمير مجلس، و أنعم على سودون أمير آخور بإقطاع يعقوب شاه الحاجب، و أنعم بإقطاع بيبرس على بكتمر الرّكنى، و بإقطاع بكتمر على دقماق المحمدى نائب ملطية كان، و بإقطاع دقماق على جركس القاسمىّ المصارع، و استقرّ أمير طبلخاناه، و أنعم على كلّ من كزل الناصرى، و قمارى الأسنبغاوى، و شاهين من شيخ الإسلام، و شيخ السليمانىّ، و بشباى من باكى، و تمربغا الظاهرى، و جكم من عوض، و صوماى، و تمر الساقى، و إينال حطب، و قانى باى العلائىّ، و سودون المأمورىّ، و ألطنبغا الخليلىّ و

مجترك القاسمىّ، و كزل المحمدى، و بيغان الإينالى بإمرة عشرين، و أنعم على كلّ من أزبك الرمضانىّ و أسندمر العمرىّ و قرقماس السيفىّ و منكلى بغا الصلاحى و آقبغا الجوجرى و طيبغا الطولوتمرى وقانى باى من باشاه و دمرداش الأحمدى و آقباى السلطانى و أرغون شاه الصلاحىّ و يونس العلائى و جمق و نكباى الأزدمرى و قانى بك الحسامى و با يزيد من بابا و آقبغا المحمدى و سودون الشمسىّ و سودون البجاسىّ و تمراز من باكى و سودون النوروزىّ و أسنبغا المسافرى و قطلوبغا الحسنى و قطلقتمر المحمدىّ و سودون الحمصىّ و سودون القاسمىّ و أرزمك و أسنباى بإمرة عشرة، و حلفوا الجميع على طاعة السلطان، و السفر معه لقتال تنم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۶

و لمّا بلغ المماليك السلطانية سفر السلطان إلى الشام امتنعوا و هدّدوا الامراء و أكثروا لهم من الوعيد، فخاف سودون طاز و تأخّر عن الخدمة السلطانية، ثم اتفقت المماليك المذكورة، و توجّهوا إلى الأمير يشبك و هو متوعّك و حدّثوه فى أمر السفر، فاعتذر لهم بما هو فيه من الضعف، ثم وقع الخلف بين الأمير سودون قريب الملك الظاهر المعروف بسيّدى سودون و بين الأمير سودون طاز، و تسابا بسبب سكنى الإسطبل السلطانى بالحرّاقة، و على وظيفة الأمير أخورية و كادا يقتتلان، لو لا فرق بينهما الأمير نوروز الحافظى.

ثم وقع أيضا بين الأمير سودون طاز المذكور و بين الأمير جركس القاسمى المصارع تنافس، و تقابضا بالأطواق، و لم يبق إلّا أن تثور الفتنة، حتى فرّق الأمراء بينهما، و صارت المملكة بأيدى هؤلاء الأمراء، و كلّ من أراد شيئا فعله، فصار الرجل يلى الوظيفة من سعى فلان، و ينزل إلى داره فيعزل فى الحال بأمر غيره، و كلّ أحد يتعصّب لواحد، و كل منهم يروم الرتب العلية.

هذا و مثل تنم و أيتمش و رفقتهما فى طلبهم و فى القصد إلى الديار المصرية، ثم أخذ نوروز يسكّنهم عن إثارة الفتنة، و يخوّفهم عاقبة تنم، حتى عملوا مشورة بين يدى السلطان بسبب قتال تنم و غيره، فحضر جميع الأمراء و رتّبوا أمورا: منها إقامة نائب بالديار المصرية، و عيّنوا عدّة تشاريف.

فلمّا كان يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير سودون طاز باستقراره أمير أخورا كبيرا، عوضا عن سودون الطّيار، لتأخّره بدمشق عند تنم، و خلع على الأمير مبارك شاه باستقراره حاجبا ثالثا بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، و هذا بخلاف العادة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۷

ثم خلع على بعض الأمراء و استقرّ حاجبا ثامنا، و هذا أيضا بخلاف العادة، لأن فى القديم كان بمصر ثلاثة حجّاب (أعنى بالقديم فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون) ثم لا زال الملك الظاهر برقوق يزيد الحجّاب حتى صار عدّتهم ستة، و ذلك فى أواخر دولته، و الآن صاروا ثمانية، و كان هذا أيضا مما عابه الأمير تنم على أمراء مصر فيما فعلوه.

قلت: و السّكات أجمل، فإنّ تلك الحجّاب الثمانية كان فيهم ثلاثة أمراء ألوف و ثلاثة طبلخاناه، و أمّا يومنا هذا ففيه بمصر أزيد من عشرين حاجبا، ما فيهم أمير خمسة، بل الجميع أجناد، و فيهم من جندّيته غير كاملة، و الحاجب الثانى أمير عشرة، فسبحان الحكيم الستّار.

ثم بعد أيام خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى باستقراره رأس نوبة الأمراء، و على الأمير تمراز باستقراره أمير مجلس، و على الأمير سيدى سودون باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن بيبرس، و كانت شاغرة منذ انتقل بيبرس عنها إلى الأتابكية.

و هذا كله بعد أن ورد الخبر على الملك الناصر بخروج الأمير تنم من دمشق يريد القاهرة، فعندئذ أمر السلطان بأن يخرج ثمانية أمراء من مقدّمى الألوف بألف و خمسمائة مملوك من المشتروات، و خمسمائة مملوك من مماليك الخدمة، و أن يخرجوا فى أول جمادى الآخرة، فمنهم من أجاب، و منهم من قال: لا بدّ من سفر السلطان و اختلف الرأى و انفضوا على غير شىء، و نفوسهم متغيّرة من بعضهم على بعض، كلّ ذلك و الأمراء تكذّب خروج تنم من دمشق حتى علّق جاليش السفر على

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۸

الطبلخاناه السلطانیة، و وقع الشروع فی النفقة للأمراء، فحمل إلی کل من الأمراء الأکابر مائة ألف درهم، و لمن دونهم کل واحد علی قدر رتبته، و أنفق علی ثلاثة آلاف مملوک و ستمائة مملوک لکل واحد مائة دینار، فبلغت جمیع النفقة نحو خمسمائة ألف دینار.

ثم خرجت مدوّرة السلطان و خیامه، و نصبوا خارج القاهرة تجاه مسجد التبن.

ثم خلع السلطان علی الأمیر بکتمر الرکنی باستقراره أمیر سلاح عوضا عن الوالد، و کانت شاغرة عنه منذ توجه مع أیتمش إلی الشام، و بینما السلطان فی ذلک قدم علاء الدین علی بن المکلّلة والی منفلوط، و أخبر أن ألطنبغا نائب الوجه القبلی خرج هو و محمد بن عمر بن عبد العزیز الهوّاری عن الطاعة، و کبسا عثمان بن الأحدب، ففرّ ابن الأحدب إلی جهة منفلوط و تبعاه إلیها و أخرباها، فرسم السلطان لکل من الأمیر الکبیر بیبرس و الأمیر إینال بای من قجماس و آقبای بن حسین شاه حاجب الحجّاب و سودون من زادة و إینال حطب رأس نوبة، و بیسق الشیخیّ الأمیر أخور الثانی، و بهادر فطیس الأمیر أخور الثالث أن یتوجّهوا إلی بلاد الصعید لقتال ألطنبغا و ابن عمر الهوّاری فلم یوافقوا علی ذلک و لا سار أحد.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۹

ثم قدم الخبر علی السلطان بأنّ الأمیر دمرداش المحمدی نائب حماة قدم علی الأمیر تنم بدمشق بعساکر حماة، و أن لأمیر آقبغا الجمالی الأطروش نائب حلب لمّا برز هو أیضا من حلب یرید المسیر إلی دمشق ثار علیه جماعة من أمراء حلب و قاتلوه فکسّرهم، و قبض علی جماعة منهم، ثم سار إلی دمشق فسرّ بقدومه تنم و أکرمه غایة الإکرام، و أنه قد خرج من دمشق من أصحاب تنم الأمیر أرغون شاه البیدمری أمیر مجلس، و الأمیر یعقوب شاه، و فارس حاجب الحجّاب، و صرق و فرج بن منجک إلی غزّة، فعند ذلک خلع السلطان علی الأمیر عمر بن الطحّان حاجب غزّة باستقراره فی نیابة غزّة، و علی سودون حاجبها الصغیر باستقراره حاجب حجّاب غزّة عوضا عن ابن الطحان المذکور.

ثم قدم الخبر علی السلطان بأن عساکر تنم خرجوا من دمشق فی یوم خامس عشرین جمادی الآخرة، فأمر السلطان الأمیر سودون المأموریّ الحاجب بالتوجّه إلی دمیاط لینقل منها الأمیر یلبغا الأحمدی المجنون الأستادار کان، و الأمیر تمربغا المنجکی، و طغنجی و بلاط السعدیّ، و قراکسک إلی سجن الإسکندریة.

هذا و قد تجهّزت العساکر المصریة للسفر صحبة السلطان لقتال تنم و تهیأ الجمیع.

فلمّا کان یوم الاثنین رابع شهر رجب نزل السلطان الملک الناصر من القلعة إلی الرّیدانیة خارج القاهرة، و أصبح من الغد خلع علی الأمیر الکبیر بیبرس باستقراره فی نظر البیمارستان المنصوری، و بنیابة الغیبة بالدیار المصریة، و خلع علی الأمیر نوروز الحافظیّ رأس نوبة الأمراء باستقراره فی نظر الخانقاه الشیخونیة، ثم أصبح من الغد سادس الشهر خلع السلطان علی الأمیر نوروز المذکور بتقدمة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۰

العساکر، ثم أنفق السلطان علی جماعة من الممالیک السلطانیة بنحو خمسة و عشرین ألف دینار إنعاما.

و فی الیوم المذکور رحل جالیش السلطان من الرّیدانیّة، و فیه من الأمراء نوروز الحافظیّ مقدّم العساکر و بکتمر الرکنی المعروف بباطیا أمیر سلاح، و تمراز الناصری أمیر مجلس، و یلبغا الناصری، و سودون الدوادار المعروف بسیدی سودون، و شیخ المحمودی هو المؤیّد، و دقماق المحمدی الحاجب الثانی، و الجمیع مقدّمو ألوف.

ثم رحل السلطان بعدهم فی یوم الجمعة ثامنه ببقیّة العساکر، و عدّة ما سافر أوّلا و ثانیا سبعة آلاف فارس، و هذا سوی من أقام بالقاهرة، و هم أیضا عدّة کبیرة من الأمراء و الممالیک، فأمّا الأمراء فکان بالقاهرة بیبرس، و آقبای حاجب الحجّاب، و أقام بقلعة الجبل الأمیر إینال بای من قجماس أحد مقدّمی الألوف، و إینال حطب رأس نوبة، و أقام بالإسطبل السلطانی سودون من زادة، و بهادر؟؟؟ طیس و بیسق الشیخی أمیر أخور ثانی، و أقام عند هؤلاء جماعة کبیرة من الممالیک السلطانیة.

و أما تنم فكان من خبره أنه قدم جماعة من أمرائه و عساكره إلى مدينة غزّة حسب ما ذكرناه، و هم: الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس، و فارس حاجب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۱

الحجاب، و يعقوب شاه و صرق، و الأمير فرج من منجك فتوجّهوا أمامه بعساكر كثيرة.

ثم قدم على تنم الأمير يونس بلطا نائب طرابلس بعساكرها و غيرهم، و معه الأمير حمد بن يلبغا أمير مجلس كان، و كان قدم على تنم قبله نائب حلب الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، و نائب حماة الأمير دمرداش المحمدى، فخرج هؤلاء النوّاب أيضا أمام تم إلى جهة غزة، ثم تبعهم الأمير تنم و معه الأتابك أيتمش و الوالد و بقية عساكره، بعد أن جعل الأمير جركس المعروف بأبى تنم نائب الغيبة بدمشق، و عنده جماعة أخر من أعيان الأمراء، ثم خرج بعد الأمير تنم الأمير يونس بلطا نائب طرابلس، و سار تنم فى عساكر عظيمة إلى الغاية، و كان قبل سفره بدمشق منذ قدم عليه أمراء مصر يعمل كلّ يوم موكبا أعظم من الآخر، حتى قيل: إن موكبه كان يضاهى موكب أستاذه الملك الظاهر برقوق بل أعظم، و كان يركب بالدّفّ و الشبّابة و الشعراء و الجاويشية، و يركب فى خدمته من الأتابك أيتمش إلى من دونه من أمراء الألوف، و هم نحو خمسة و عشرين أميرا من أمراء الألوف، سوى أمراء الطبلخانات و العشرات، و ذلك خارج عن التركمان و الأعراب و العشير، و كانوا أيضا جمعا كبيرا إلى الغاية، و آخر موكب عمله بدمشق كان فيه عساكر دمشق بتمامها و كمالها، و عساكر حلب و طرابلس و حماة، و جماعة كبيرة من عظماء أمراء الديار المصرية (أعنى أيتمش و رفقته)، و كان الجميع قد أذعنوا لتنم بالطاعة، حتى إنه لم يشكّ أحد فى سلطنته، حتى و لا أمراء مصر أخصامه، فإنهم كتبوا له فى الصلح غير مرة، و فى المستقبل أيضا حسب ما يأتى ذكره، و أنفق تنم فى العساكر من الأموال ما لا يحصى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۲

و أمّا أمراء الديار المصرية فإنه لما سافر السلطان إلى جهة تنم بعساكره فى ثامن الشهر، قدم الخبر فى صبيحته على الأمير بيبرس و هو يوم السبت من البحيرة، بأن الأمير سودون المأمورىّ الحاجب أخذ الأمراء من ثغردمياط، و سار بهم نحو الإسكندرية، فلمّا وصل بهم إلى ديروط لقيه الشيخ المعتقد عبد الرحمن ابن نفيس الدّيروطىّ و أضافه، فعندما قعد الأمير سودون المأمورىّ هو و الأمراء للأكل قام يلبغا المجنون و وثب هو و رفقته من الأمراء على سودون المأمورىّ، و قبضوا عليه و على مماليكه و قيّدوهم بقيودهم، و بينما هم فى ذلك قدمت حرّاقة من القاهرة فيها الأمير كمشبغا المحضرى و إياس الكمشبغاوى و جقمق البجمقدار، و أمير آخر، و الأربعة فى القيود، فدخلت الحرّاقة بهم إلى شاطئ ديروط ليقضوا حاجة لهم، فأحاط بهم يلبغا المجنون، و خلّص منهم الأربعة المقيّدين، و أخذهم إلى أصحابه.

ثم كتب يلبغا إلى نائب البحيرة بالحضور إليه، و أخذ خيول الطواحين، و ركب هو و رفقته من الأمراء و سار بهم إلى مدينة دمنهور و طرقها بغتة، و قبض على متولّيها، و أتته العربان من كل فجّ حتى صار فى عدد كبير.

ثم نادى بإقليم البحيرة بحطّ الخراج عن أهلها عدّة سنين، و أخذ مال السلطان الذى استخرج من تروجة و غيرها، و بعث يستدعى بالمال من النواحى، فراعاه الناس، فإنه كان ولى وظيفة الأستادارية سنين كثيرة، فكتب بيبرس بذلك يعرّف السلطان و الأمراء، فوردت كتبهم إلى نائب الإسكندرية بالاحتراز على مدينة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۳

إسكندرية و على من عنده من الأمراء المسجونين، و كتب السلطان أيضا إلى أكابر العربان بالبحيرة بالإنكار عليهم، و بإمساك يلبغا المجنون و رفقته، و كتب السلطان أيضا للأمير بيبرس أن يتجرد هو و آقباى الحاجب و إينال باى بن قجماس و يسق أمير أخور، و إينال حطب رأس نوبة، و أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية لقتال يلبغا المجنون، و كتب السلطان مثالا إلى عربان البحيرة بحطّ الخراج عنهم مدّة ثلاث سنين.

و أما يلبغا المجنون فإنه عدّى من البحيرة إلى الغربيّة خوفا من عرب البحيرة، و دخل المحلّة، و نهب دار الكاشف، و دار إبراهيم بن بدوى كبيرها، و قبض عليه و أخذ منه ثلاثمائة ففّة فلوس، ثم عدّى بعد أيّام سمنّود إلى برّ أشموم طناح، و سار إلى الشرقيّة، و نزل على مشتول الطواحين، و سار منها إلى العبّاسة، فارتجّت القاهرة، و بعث الأمير بيبرس إلى برّ الجيزة حيث الخيول مربوطة به على الربيع، فأحضروها إلى القاهرة خوفا من يلبغا، لئلّا يطرقهم على حين غفلة، و بينما بيبرس فى ذلك ورد عليه الخبر بمخامرة كاشف الوجه القبلى مع العرب، فاضطرب بيبرس و خاف على القاهرة، و كان فيه لين جانب و انعكاف على اللهو و الطرب، فشرع بيبرس فى استخدام الأجناد، و أراد بيبرس الخروج إلى يلبغا المجنون، فمنع، و خرج إليه الأمير آقباى الحاجب و يلبغا السالمى، و بيسق أمير أخور، و محمد بن سنقر فى ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية كما سنذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۴

و أما السلطان الملك الناصر فإنه لما سار بعساكره من الريدانية، و استقل بالمسير من يومه حتى نزل على منزلة تل العجول خارج مدينة غزة فى ثامن عشر رجب، و أقام به يومه، فلم يلبث إلا و جاليش الأمير تنم طرقه، و مقدّم العسكر المذكور الولد، و صحبته من أكابر الأمراء و النوّاب: آقبغا الجمالى نائب حلب و دمرداش المحمدى نائب حماة، و ألطنبغا العثمانى نائب صفد و جقمق الصفوى نائب ملطية، و جماعة أخرى من أكابر الأمراء و هم: أرغون شاه أمير مجلس و فارس الحاجب، و آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش، و يعقوب شاه، و جماعة كبيرة من الأمراء و العساكر، فركبت العساكر المصرية فى الحال، و قاتلوهم من بكرة النهار إلى قريب الظهر، و كل من الفريقين يبذل جهده فى القتال، و الحرب تشتدّ بينهم إلى أن خرج من جاليش عسكر تنم دمرداش المحمدى نائب حماة بمماليكه و طلبه، ثم تبعه ألطنبغا العثمانى نائب صفد بطلبه و عساكره، ثم صراى تمر الناصرى أتابك حلب بمماليكه، ثم جقمق الصّفوى نائب ملطية بطلبه و مماليكه، ثم فرج بن منجك أحد أمراء الألوف بطلبه و مماليكه، ثم تبعهم عدّة أمراء أحر، فعند ذلك انهزم الوالد بمن بقى معه إلى نحو الأمير تنم، و ملك السلطان الملك الناصر مدينة غزّة، و نزل على مصطبة السلطان.

و أما تنم فإنه نزل بعساكره على مدينة الرّملة و اجتمع عليه الوالد بها بمن بقى معه من العساكر الشامية، و قصّ عليه ما وقع من أمر القتال و هروب الأمراء من عسكره، فتأثّر تنم قليلا ثم أراد القبض على الأمير بتحاص، فمنعه بعض أصحابه من ذلك، ثم أخذ يتهيّأ لقتال المصريين، و لم يكترث بما وقع لجاليشه لكثرة عساكره، و قوّته بمن بقى معه من أكابر الأمراء و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۵

و أمّا العسكر السلطانىّ المصرىّ فإنهم لمّا دخلوا إلى غزّة بلغهم أنّ تنم إلى الآن لم يصل إلى الرّملة بعساكره، و إنما الذى قاتلهم هو جاليش عسكره، فكثر عند ذلك تخوّفهم منه، و داخلهم الرّعب، و عملوا بسبب ذلك مشورة، فاتفق الرأى أن يتكلّموا معه فى الصلح، و أرسلوا إليه من غزّة قاضى القضاة صدر الدين المناوى الشافعىّ، و معه المعلّم نصر الدين محمد الرّماح أمير أخور، و طغاى تمر مقدّم البريديّة، فخرجوا الجميع من غزّة فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب، و كتب لتنم صحبتهم أمان من السلطان، و أنه باق على كفالته بدمشق إن أراد ذلك، و إلّا فيكون أتابك العساكر بمصر، و إليه تدبير ملك ابن أستاذه الملك الناصر فرج لا يشاركه فى ذلك أحد.

ثم كتب إليه أعيان الأمراء يقولون: أنت أبونا و أخونا و أستاذنا، فإن أردت الشام فهى لك، و إن أردت مصر كنّا مماليكك، و فى خدمتك، فصن دماء المسلمين ودع عساكر مصر فى قوّتها، فإنّ خلفنا مثل تيمورلنك، و أشياء كثيرة من أنواع التضرّع إليه، فسار إليه قاضى القضاة المذكور برفيقيه حتى وافاه بمدينة الرملة و هو بمخيّمه على هيئة السلطان، و الأتابك أيتمش عن يمينه و الوالد عن يساره، و بقيّة الأمراء على منازلهم ميمنة و ميسرة، فلمّا عاين تنم قاضى القضاة المذكور قام له و اعتنقه، و أجلسه بجانبه فحدّثه قاضى القضاة المذكور فى الصلح، و أدّى له الأمان و وعظه، و حذّره الشّقاق و الخروج عن الطاعة، ثم كلّمه ناصر الدين الرّماح و طغاى تمر بمثل ذلك، و ترفقا له عن لسان الأمراء، و أن السلطان هو ابن الملك الظاهر برقوق، ليس له من يقوم بنصرته غيرك، فقال تنم: أنا

مالى مع السلطان كلام، و لكن يرسل إلى يشبك و سودون طاز و جركس المصارع، و عدّد جماعة أخر كثيرة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۶

و يعود الأمير الكبير أيتمش و جميع رفقته على ما كانوا عليه أوّلا فإن فعلوا ذلك و إلّا فما بينى و بينهم إلا السيف، و صمّم على ذلك، فراجعه قاضى القضاة غير مرّة فيما يريده غير ذلك، فأبى إلّا ما قاله، فعند ذلك قام القاضى من عنده، فخرج معه تنم إلى ظاهر مخيّمه يوادعه، فلمّا قدم صدر الدين المناوى على الملك الناصر و أعاد عليه الجواب قال: السلطان: أنا ما أسلّم لالاتى لأحد (يعنى عن يشبك الشعبانى)، و انفضّ الأمراء، و قد أجمعوا على قتاله، و ركب تنم بعساكره من مدينة الرملة يريد جهة غزّة، و ركب السلطان بعساكره من غزّة يريد الرملة. إلى أن أشرف على الجيتين قريب الظهر، فعاين تنم و قد عبّأ عساكره، و هم نحو الخمسة آلاف فارس، و نحو ستة آلاف راجل، و صفّ الأطلاب فعبّأ أيضا الأمراء عسكر السلطان ميمنة و ميسرة، و قلبا فى قلب فى قلب، و لكل جماعة رديف، و كان ذلك تعبئة ناصر الدين المعلّم أخذت أنا هذه التعبئة عن الأتابك آقبغا التمرازى عنه، انتهى.

ثم تقدّم العسكران و تصادما فلم يكن إلا أسرع وقت، و كانت الكسرة على تنم، و انهام غالب عسكره من غير قتال، خذلان من اللّه تعالى، لأنه تقنطر عن فرسه فى أوائل الحرب، فانكسرت عساكره لتقنطره فى الحال و لوقوعه فى الأسر، و قبض عليه و على جماعة كبيرة من أعيان أصحابه من أكابر الأمراء و النوّاب، و لقد سألت جماعة من أعيان مماليك تنم ممن كان معه فى الوقعة المذكورة عن سبب تقنطره، فإنه لم يطعنه أحد من العسكر السلطانىّ، فقالوا: كان فى فرسه الذى ركبه شؤم. إما شعر رسل أو تحجيل، منتهى الوهم متى، قالوا: فكلّمناه فى ذلك و نهيناه عن ركوبه فأبى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۷

إلا ركوبه، و قال: ما خبأته إلا لهذا اليوم، فحالما علا ظهره و حرّكه لينظر حال عسكره و وغل فى القوم تقنطر به، و قد كرّت عساكره إلى نحوه، و لم يلحقه أحد من مماليكه، فظفر به، و لما قبض على تنم قبض معه بعد هزيمة عسكره على الأمير آقبغا الجمالى نائب حلب، و يونس بلطا نائب طرابلس، و أحمد بن الشيخ على نائب صفد كان، و جلبان قراسقل نائب حلب كان، و فارس حاجب الحجاب، و بيغوت و بيرم رأس نوبة أيتمش، و شادى خجا، و من الطبلخانات و العشرات من أمراء مصر و الشام ما ينيف على مائة أمير، و فرّ الأتابك أيتمش و الوالد، و أحمد بن يلبغا أمير مجلس كان، و أرغون شاه أمير مجلس، و يعقوب شاه و آقبغا اللّكّاش، و بيخجا المدعو طيغور نائب غزّة كان، و جماعة أخر فى نحو ثلاثة آلاف مملوك، و توجّهوا إلى دمشق.

و لمّا قبض على تنم أنزل فى خيمة و قيّد، ثم شكا العطش و طلب ماء ليشربه، فقام الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى و هو يوم ذلك أحد أمراء الطبلخانات و شادّ الشراب خاناه السلطانية، و تناول الكوز و أخذ ششنة على عادة الملوك، ثم سقاه لتنم، و كان لما أمسك تنم ادّعى مملوك من الظاهرية أنه قنطر تنم عن فرسه، و طلب إمرة عشرة، فلمّا بلغ ذلك تنم قال: اطلبوه إلى عندى، فأحضروه، فنظر إليه طويلا ثم قال له: أنت تستأهل إمرة عشرة و غيرها بدون ذلك، إلا أنّ الكذب قبيح، هذا قرقلى إلى الآن علىّ، أين المكان الذى طعنتنى فيه برمحك، أنا ما رمانى إلا اللّه تعالى، ثم فرسى الأشقر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۸

و عندما أمسك تنم كتبت البشائر إلى الديار المصرية و البلاد الشاميّة بذلك، و دقّت البشائر، و سار أيتمش و رفقته إلى نحو دمشق حتى و صلوها، فأراد الوالد و يعقوب شاه و جماعة أن يتوجّهوا إلى بلاد التّركمان، حتى يأتيهم أمان من السلطان، و أشاروا على أيتمش بذلك، فامتنع أيتمش من ذلك، و أبى إلّا دخول دمشق، فحال دخولهم إليها و هم فى أشدّ ما يكون من النعب، و قد كلّت خيولهم، ثار عليهم أمراء دمشق، و قبضوا على أيتمش و الوالد، و آقبغا اللّكّاش و أحمد بن يلبغا النابلسى، و حبسوا بدار السعادة، و فرّ من بقى، ثم أمسك بعد يومين أرغون شاه و يعقوب شاه، و تتبع أمراء دمشق بقيّة أصحاب تنم من كلّ مكان حتى قبضوا على جماعة كبيرة منهم.

و أمّا يلبغا المحنون فإنه لمّا خرج إليه العسكر من مصر مع آقباى الحاجب، سار آقباى إلى العبّاسة فلم يقف ليلبغا المجنون على خبر، فقيل له إنه سار إلى قطيا، فنزل آقباى بالعساكر على الصالحية فلم يروا له أثرا، فعادوا إلى القاهرة من غير حرب، و سار ابن سنقر و بيسق نحو بلاد السباخ فلم يجدا أحدا، فعادا إلى عيتا فى يوم الجمعة و أقاما بها، فلم يشعرا إلّا و يلبغا المجنون قد طرقهما و قبض عليهما، و أخذ خطّهما بجملة من المال، فارتجّت القاهرة لذلك، ثم سار يلبغا بعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۹

أيام، حتى نزل البئر البيضاء، فبعث له بيبرس أمانا، فقبض على من حضر من عند بيبرس و طوّقه من الحديد، فاستعدّ الناس تلك الليلة بالقاهرة لقتاله، و باتوا على أهبة اللقاء، و ركب الأمراء بأسرهم من الغد إلى قبّة النصر خارج القاهرة، و صفّوا عسكرهم من الغد، و بعد ساعة أقبل يلبغا المجنون بجموعه فواقعهم عند بساتين المطرية و معه نحو ثلاثمائة فارس، فيهم واحد من مماليك الوالد يسمى كزل بغا، و صدمهم بمن معه، و قصد القلب، و كان فيه سودون من زادة، و إينال حطب، و نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية، فأطبق عليه الأمير بيبرس من الميمنة، و معه يلبغا السّالمىّ الأستادار، و ساعدهما إينال باى من قجماس بمن معه من الميسرة، فنقنطر سودون من زادة، و خرق يلبغا المجنون القلب فى عشرين فارسا، و سار إلى الجبل الأحمر، و انكسر سائر من كان معه من الأمراء و غيرهم، فتبعهم العسكر و فى ظنّهم أن يلبغا المجنون فيهم، فأدركوا الأمير تمربغا المنجكى بالزيّات، و قبضوا عليه، و أخذ طلب يلبغا المجنون من عند خليج الزّعفران فوجدوا فيه ابن سنقر و بيسق الشيخى أمير آخور اللذين كان قبض عليهما يلبغا المجنون بالبئر البيضاء، فأطلقوهما، و عاد العسكر إلى تحت قلعة الجبل، و سار يلبغا المجنون فى عشرين فارسا مع ذيل الجبل إلى تجاه دار الضيافة، فلمّا رأى كثرة من اجتمع من العامّة خاف منهم أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۰

يرجموه، فقال لهم: أنتم ترجمونى بالحجارة و أنا أرجمكم بالذهب، فدعوا له و تركوه فسار من خلف القلعة و مضى إلى جهة الصعيد من غير أن يعرّف الأمراء، و توجّه فى نحو المائة فارس، و أخذ خيل والى الفيّوم، و انضمّ عليه جماعة من العربان.

و أمّا السلطان الملك الناصر فإنه لمّا كسر تنم و قبض عليه و على جماعة من أصحابه و قيّدهم، أرسل فى الحال سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى الشام لتحصيل الإقامات، ثم ندب السلطان الأمير جكم من عوض رأس نوبة للتوجه إلى دمشق لتقييد الأمير أيتمش و رفقته و إيداعهم بسجن قلعة دمشق، ثم خلع السلطان على الأمير سودون الدوادار المعروف بسيّدى سودون، باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير تنم الحسنىّ، فسار جكم و فعل ما أمر به، ثم دخل بعده سودون نائب الشام إليها فى ليلة الاثنين ثانى شعبان و معه الأمير تنم نائب الشام و عشرة أمراء فى القيود، فحبس الجميع بقلعة دمشق، ثم دخل السلطان الملك الناصر بعساكره و أمرائه إلى دمشق من الغد فى يوم الاثنين ثانى شعبان المذكور، فكان لدخوله يوم مشهود، و أوقع ابن غراب الحوطة على حواشى تنم، و على الأمير علاء الدين بن الطبلاوى.

ثم أصبح السلطان من الغد و خلع على سيّدى سودون بنيابة الشام ثانيا، و على الأمير دمرداش المحمّدى نائب حماة باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن آقبغا الجمالى الأطروش، و على الأمير شيخ المحمودى المؤيّد باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن يونس بلطا، و على الأمير دقماق المحمدى باستقراره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۱

فى نيابة حماة عوضا عن دمرداش المحمدى، و على الأمير ألطنبغا العثمانى باستمراره على نيابة صفد، و على الأمير جنتمر التركمانى نائب حمص بنيابة بعلبك، و على الأمير بشباى من باكى باستقراره حاجب حجّاب دمشق عوضا عن بيخجا المدعوّ طيفور.

و استمرّ السلطان بعساكره فى دمشق إلى ليلة الأحد رابع عشر شعبان، فاتّفقت الأمراء المصريون على قتل جماعة من المقبوض عليهم، فذبح فى الليلة المذكورة الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ، و جلبان الكمشبغاوى المعروف بقراسقل نائب حلب كان، فى دولة أستاذه

الملك الظاهر برقوق، و أرغون شاه البيدمرى الظاهرىّ أمير مجلس كان، و أحمد بن يلبغا العمرى أمير مجلس كان، و ابن أستاذ الملك الظاهر برقوق، و آقبغا الطّولوتمرى الظاهرى اللّكّاش أحد أمراء الألوف بالديار المصرية و أمير مجلس، و فارس الأعرج حاجب الحجّاب بالديار المصرية، و كان من الشجعان، و فيه يقول الشيخ المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدى: [الرجز]

يا دهر كم تفنى الكرام عامدا هل أنت سبع للورى ممارس

أيتمش ربّ العلا صرعته و رحت للندب الهمام فارس

و الأمير يعقوب شاه الظاهرى الحاجب الثانى، و أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و بيخجا المدعو طيفور نائب غزّة كان، ثم حاجب حجّاب دمشق، و الأمير بيغوت اليحياوى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات، و الأمير مبارك المجنون و الأمير بهادر العثمانى الظاهرى نائب البيرة، و جميع من قتل من هؤلاء المذكورين من عظماء مماليك الملك الظاهر برقوق، قتلتهم خجداشيّتهم بذنب واحد لأجل الرياسة، و لم يكن فيهم غير ظاهرىّ إلّا الأتابك أيتمش، و هو أيضا ممن أقامه الملك الظاهر برقوق و أنشأه، بل كان اشتراه أيضا فى سلطنته الأولى حسب ما ذكرناه، و كان عند الظاهر بمنزلة عظيمة لسلامة باطنه، و لين جانبه و شيخوخته، فإنه كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۲

بمعزل عن إثارة الفتن، و يكفيك أن منطاشا لمّا ملك الديار المصريّة بعد خلع الظاهر برقوق، و القبض على الناصرىّ قتل غالب حواشى الملك الظاهر برقوق، و كان أيتمش فى حبسه بقلعة دمشق و هو أتابك العساكر و عظيم دولة برقوق، فلم يتعرّض إليه بسوء، لكونه كان مكفوفا عن الشرور و الفتن، إلا هؤلاء القوم، فإنهم لمّا ظفروا بتنم و أصحابه لم يرحموا كبيرا لكبره و لا صغيرا لصغره، و لهذا سلّط اللّه تعالى بعضهم على بعض، إلى أن تفانوا جميعا.

ثم جهّزوا رأس الأتابك أيتمش المذكور، و رأس فارس الحاجب لا غير إلى الديار المصرية، فعلّقتا بباب قلعة الجبل، ثم بباب زويلة أيّاما ثم سلّمتا إلى أهلهما.

ثم خلع السلطان الملك الناصر على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن سيّدى سودون المنتقل إلى نيابة الشام، و استمر السلطان بدمشق إلى ليلة الخميس رابع شهر رمضان، فقتل فى الليلة المذكورة الأمير تنم الحسنى نائب الشام بمحبسه بقلعة دمشق، و قتل معه الأمير يونس بلطا نائب طرابلس أيضا، خنقا بعد أن استصفيت أموالهما بالعقوبة، ثم سلّما إلى أهلهما، فدفن تنم بتربته التى أنشأها عند ميدان الحصى خارج دمشق، و كان تنم المذكور- رحمه اللّه- من محاسن الدنيا، و كانت مدة ولايته على دمشق سبع سنين و ستة أشهر و نصفا. و لقد أخبرنى بعض مماليك الوالد- رحمه اللّه- قال: لما حصر تيمورلنك العساكر المصرية بدمشق، كان الوالد يوم ذلك متولّى ثيابة دمشق، و كان مقيما على بعض أبواب دمشق لحفظها، و كان نوروز الحافظىّ على باب آخر، فركب نوروز الحافظى فى بعض الأيام، و أتى الوالد و وقف يحادثه، فكان من جملة كلامه للوالد، يا فلان، انظر عساكر هذا اللعين ما أكثرها، و اللّه لو عاش أستاذنا لما قدر عليه لكثرة عساكره، فتبسّم الوالد و خاشنه فى اللفظ يمازحه، و قال له:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۳

و اللّه لو كان تنم حيّا للقيه من الفرات و هزمه أقبح هزيمة، و إنما عساكرنا الآن مفلولة، و آراؤهم مختلفة، و ليس فيهم من يرجع إلى كلامه، فلهذا كان ما ترى. انتهى.

ثم دفن يونس بلطا بصالحية دمشق، و كان أيضا ولى نيابة طرابلس نحو ست سنين، ثم قتل جميع من كان من أصحاب أيتمش و تنم، و لم يبق منهم إلا آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، و الوالد أبقى لشفاعة أخته خوند شيرين أم السلطان الملك الناصر فرج فيه، فإنها كانت ألزمت الأمير نوروز الحافظى و الأمير يشبك الشعبانىّ بالوالد و حرّضتهما على بقائه، و كان لها يوم ذلك جاه كبير لسلطنة ولدها الملك الناصر، ثم أوصت ولدها الملك الناصر أيضا به، فزاد ذلك فسحة الأجل فأبقى، و أما آقبغا الأطروش فإنه بذل فى إبقائه مالا كبيرا للأمراء فأبقى.

ثم خلع السلطان على الأمير بتخاص السّودونى باستقراره فى نيابة الكرك عوضا عن سودون الظريف.

ثم خرج السلطان بعساكره و أمرائه من مدينة دمشق فى يوم رابع شهر رمضان صبيحة قتل تنم و يونس يريد الديار المصريّة، و سار حتى نزل غزّة فى ثانى عشر شهر رمضان المذكور، و قتل بغزّة علاء الدين على بن الطبلاوى أحد أصحاب تنم، ثم خرج من غزّة و سار يريد القاهرة حتى وصلها فى سادس عشرين رمضان من سنة اثنتين و ثمانمائة، بعد أن زيّنت القاهرة، و فرشت له الشّقاق الحرير من تربة الأمير يونس الدوادار بالصحراء إلى قلعة الجبل، و كان يوم دخوله إلى مصر من الأيام المشهودة، و طلع إلى القلعة و كثرت التهانى بها لمجيئه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۴

ثم فى ثامن عشرينه أنعم السلطان على الأمير قصلوبغا الكركى الحسنى الظاهرى بإقطاع سيّدى سودون نائب الشام و أنعم على الأمير آقباى الكركى الخازندار بإقطاع شيخ المحمودى المنتقل إلى نيابة طرابلس، و أنعم على الأمير جركس القاسمى المصارع بإقطاع مبارك شاه، و أنعم على الأمير جكم من عوض بإقطاع دقماق المحمدى نائب حماة، و الجميع تقادم ألوف، و أنعم السلطان على الأمير الطواشى مقبل الزمّام بإقطاع الطواشى بهادر الشّهابى مقدّم المماليك بعد موته، و أنعم بإقطاع مقبل على الطواشى صواب السعدى المعروف بشنكل، و قد استقرّ مقدّم المماليك بعد موت بهادر المذكور، و أنعم بإقطاع صواب المذكور على الطواشى شاهين الألجائى نائب مقدّم المماليك.

ثم قدم على السلطان مملوك الأمير يلبغا المجنون من بلاد الصعيد بكتاب يلبغا المجنون يسأل فى نيابة الوجه القبلى، فرسم السلطان أن يخرج إليه تجريدة من الأمراء و هم: الأمير نوروز الحافظىّ و هو مقدم العسكر المذكور، و بكتمر أمير سلاح، و آقباى الحاجب، و تمراز أمير مجلس، و يلبغا الناصرى، و إينال باى بن قجماس، و أسنبغا الدوادار، و تتمّة ثمانية عشر أميرا، و خرجوا من القاهرة فى ثالث عشر شوّال و معهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية.

و فى صبيحة يوم خروج العسكر، ورد الخبر على السلطان بأن الأمير محمد بن عمر ابن عبد العزيز الهوّارى حارب يلبغا المجنون، و أنه قبض على أمير على دواداره، و على نائب الوجه البحرى، و على الأمير إياس الكمشبغاوى الخاصكى، و على جماعة من أصحابه، و أن يلبغا المجنون فرّ بعد أن انهزم و نزل إلى البحر بفرسه فغرق، و أنه أخرج من النيل ميتا، فوجدوه قد أكل السمك لحم وجهه، فسر السلطان و الأمراء بذلك، و خرج البريد فى الوقت بعود الأمراء المجرّدين إلى القاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۵

ثم فى ثامن عشره خرج أمير حاج المحمل بيسق الشّيخى أمير آخور الثانى بالمحمل، و كان تكلم الناس بعدم سفر الحاج فى هذه السنة و لم يكن لذلك أصل.

ثم ابتدأت الفتنة بين الأمير يشبك الشعبانى الدوادار و بين الأمير سودون من على بك المعروف بطاز الأمير آخور الكبير؛ و وقع بينهما أمور.

فلما كان يوم ثامن عشرين شوّال المذكور منع جميع مباشرى الدولة بديار مصر من النزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار، و ذلك أن المباشرين بأجمعهم الكبير منهم و الصغير كانوا ينزلون فى خدمة يشبك منذ قدم السلطان من دمشق، فعظم ذلك على سودون طاز، و تفاوض معه فى مجلس السلطان فى كفّه عن ذلك، حتى أذعن يشبك فمنعوا، ثم نزلوا إليه على عادتهم، و صاروا جميعا يجلسون عنده من غير أن يقفوا، و كانوا من قبل يقفون على أقدامهم.

ثم فى ثانى ذى القعدة و رد الخبر على السلطان من حلب بواقعة الامير دمرداش المحمدى نائب حلب مع السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد و العراق.

و خبره أن القان غياث الدين أحمد بن أويس المذكور لما ملك بغداد بعد حضوره إلى الديار المصرية حسب ما تقدّم ذكره فى

ترجمة الملک الظاهر برقوق الثانیة، فأخذ السلطان أحمد المذکور یسیر مع أمرائه و رعیته سیرة سیئة، فرکبوا علیه و قاتلوه، و کاتبوا صاحب شیراز فی القدوم علیهم لأخذ بغداد، و خرج ابن أویس منهزما إلی الأمیر قرا یوسف یستنجده، فرکب معه قرا یوسف و سار إلی بغداد، فخرج إلیهما أهل بغداد، و قاتلوهما و کسروهما بعد حروب طویلة، فانهزما إلی شاطئ الفرات، و بعثا یسألان الأمیر دمرداش نائب حلب فی نزولهما ببلاد الشام،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۶

ففی الحال استدعی دمرداش دقماق نائب حماة بعساکره إلی حلب فقدم علیه، و خرجا معا فی عسکر کبیر و کبسا ابن أویس و قرا یوسف، و هما فی نحو سبعة آلاف فارس، فاقتتلا قتالا شدیدا فی یوم الجمعة رابع عشرین شوّال، قتل فیه الأمیر جانیبک الیحیاوی أتابک حلب، و أسر دقماق المحمدی نائب حماة، و انهزم دمرداش المحمدی نائب حلب، و فرّ فیمن بقی من عسکره إلی حلب، ثم لحقه دقماق بعد أن فدی نفسه بمائة ألف درهم، و حضر الوقعة الأمیر سودون من زاده المتوجه بالبشارة إلی البلاد الشامیة بسلامة السلطان، و قدم مع ذلک کتب ابن أویس و قرا یوسف علی السلطان تتضمن: إنا لم نجئ محاربین، و إنما جئنا مستجیرین مستنجدین بسلطان مصر، علی عوائد فضل أبیه الملک الظاهر- رحمه اللّه- فحاربنا هؤلاء بغتة، فدافعنا عن أنفسنا و إلا کنا هلکنا، فلم یلتفت أهل الدولة إلی کتبهما، و کتبوا إلی نائب الشام بمسیره بعساکر الشام و قتال ابن أویس و قرا یوسف و القبض علیهما و إرسالهما إلی مصر. هذا و خوند شیرین والدة الملک الناصر فرج مستمرّة السعی فی الإفراج عن الوالد من سجنه بقلعة دمشق، إلی أن أجاب الأمراء إلی ذلک و کتب بالإفراج عنه و عن الأمیر آقبغا الجمالی الأطروش نائب حلب فی یوم عرفة من محبسهما بقلعة دمشق، و حملا إلی القدس بطالین بها.

و بینما القوم فی انتظار ما یرد علیهم من أمر السلطان أحمد بن أویس و قرا یوسف، قدم علیهم الخبر من حلب بنزول تیمور لنک علی مدینة سیواس، و أنه حارب سلیمان بن أبی یزید بن عثمان، فانهزم سلیمان المذکور إلی أبیه بمدینة برصا، و معه قرا یوسف، و أخذ تیمور سیواس و قتل من أهلها مقتلة عظیمة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۷

ثم وصلت بعد قلیل رسل ابن عثمان إلی الدیار المصریة و کتابه یتضمّن اجتماع الکلمة و أن یکون مع السلطان عونا علی قتال هذه الطاغیة تیمورلنک، لیستریح الإسلام و المسلمون منه، و أخذ یتخضّع و یلحّ فی کتابه علی اجتماع الکلمة، فلم یلتفت أحد إلی کلامه، و قالت أمراء مصر یوم ذاک الآن صار صاحبنا، و عندما مات أستاذنا الملک الظاهر برقوق مشی علی بلادنا، و أخذ ملطیة من عملنا، فلیس هو لنا بصاحب، یقاتل هو عن بلاده، و نحن نقاتل عن بلادنا و رعیتنا، و کتب له عن السلطان بمعنی هذا اللفظ، و کان ما قاله أبو یزید بن عثمان من أکبر المصالح، فانه حدّثنی فیما بعد الأمیر أسنبای الظاهری الزردکاش، و کان أسره تیمور و حظی عنده و جعله زردکاشه، قال: قال لی تیمورلنک ما معناه: إنه لقی فی عمره عساکر کثیرة و حاربها، لم ینظر فیها مثل عسکرین: عسکر مصر و عسکر ابن عثمان المذکور، غیر أن عسکر مصر کان عسکرا عظیما لیس له من یقوم بتدبیره لصغر سن الملک الناصر فرج، و عدم معرفة من کان حوله من الأمراء بالحروب، و عسکر ابن عثمان المذکور، غیر أنه کان أبو یزید صاحب رأی و تدبیر و إقدام، لکنه لم یکن له من العساکر من یقوم بنصرته.

قلت: و لهذا قلت إن المصلحة کانت تقتضی الصلح مع أبی یزید بن عثمان المذکور، فإنه کان یصیّر للعساکر المصریة من یدبّرها، و یصیّر لابن عثمان المذکور عساکر مصر مع عساکره عونا، فکان تیمور لا یقوی [علی] مدافعتهم، فإن کلا من العسکرین کان یقوی دفعه لولا ما ذکرناه، فما شاء اللّه کان.

و بعد أن کتب لابن عثمان بذلک لم یتأهب أحد من المصریین لقتال تیمور، و لا التفت إلی ذلک، بل کان جل قصد کل أحد منهم ما یوصله إلی سلطنة مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۸

و إبعاد غيره عنها، و يدع الدنيا تنقلب ظهرا لبطن، فإنه مع ورود هذا الخبر المزعج بلغ السلطان و الأمراء أن الأمير قانى باى العلائى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات و رأس نوبة يريد إثارة فتنه، فطلبه السلطان و أمره بلبس التشريف بنيابة غزة، فامتنع من لبسه، فأمر السلطان به فقبض عليه و سلم للأمير آقباى الحاجب، فأخذه و نزل إلى داره و أقام عنده إلى آخر النهار، فاجتمع عليه طائفة من المماليك السلطانية يريدون أخذه من آقباى الحاجب غصبا، فخاف آقباى و طلع به إلى القلعة، فطلب السلطان الأمراء و تشاوروا على قتله، فاتفقوا على إبقائه فى إمرته و وظيفته.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۳]

ثم فى خامس عشرين المحرّم من سنة ثلاث و ثمانمائة و رد البريد على السلطان من حلب بأخذ تيمور ملطية، ثم وصل من الغد البريد أيضا بوصول أوائل عسكر تيمور لنك إلى مدينة عينتاب، و فى الكتاب: أدركوا المسلمين و إلا هلكوا، فاستدعى السلطان بعد يومين الخليفة و القضاة و الأمراء و أعيان الدولة، و علموا أن تيمور لنك وصلت مقدّمته إلى مرعش و عينتاب، و كان القصد بهذا الجمع أخذ مال التجار إعانة على النفقة فى العساكر، فقال القضاة: أنتم أصحاب الأمر و النهى و ليس لكم فيه معارض، و إن كان القصد الفتوى فى ذلك فلا يجوز أخذ مال أحد يخاف على العساكر من الدعاء، فقيل لهم نأخذ نصف الأوقاف من البلاد، نقطعها للأجناد البطّالين، فإن الأجناد قلّت لكثرة الأوقاف، فقال القضاة: و ما قدر ذلك؟

و متى عمدتم على البطّالين فى الحرب، خيف أن يؤخذ الإسلام، و طال الكلام فى ذلك حتى استقر الرأى على إرسال الأمير أسنبغا الدوادار لكشف الأخبار، و تجهيز عساكر الشام إلى جهة تيمور لنك، و سار أسنبغا فى خامس صفر من سنة ثلاث المذكورة على البريد، و وقع التخذيل و التقاعد لاختلاف الكلمة و كثرة الآراء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۹

هذا و أهل البلاد الشامية فى أمر لا يعلمه إلا اللّه تعالى، مما داخلهم من الرعب و الخوف، و قصد كل واحد أن يرحل من بلده، فمنعه من ذلك حاكم بلده، و وعده بحضور العساكر المصرية و الدفع عنهم.

ثم بعد أيام قدم البريد بكتاب نائب حلب الأمير دمرداش المحمدى، و صحبته أيضا كتاب أسنبغا الدوادار بأن تيمور نزل على قلعة بهسنا، بعد ما ملك مدينتها، و أنه مستمر على حصارها، و قد وصلت عساكره إلى عينتاب، و وصل هذا الخبر إلى مصر رابع عشرين صفر المذكور، فوقع الشروع عند ذلك فى حركة سفر السلطان، ثم علق جاليش السفر فى يوم ثالث شهر ربيع الأوّل، و كان من خبر أسنبغا الدوادار أنه وصل إلى دمشق فى سابع صفر، فقرأ كتاب السلطان فى الجامع الأموى، و هو يتضمن تجهيز العساكر الشامية و خروجهم لقتال تيمور، و قدم فى تاسعه رسول تيمور إلى الشام و على يده مطالعات تيمور للمشايخ و القضاة و الأمراء، بأنه قدم فى عام أول إلى العراق، يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة، ثم عاد إلى الهند، فبلغه موت الملك الظاهر، فعاد و أوقع بالكرج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۰

ثم قصد الروم لمّا بلغه قلّة أدب هذا الصبىّ سليمان بن أبى يزيد بن عثمان أن يعرك أذنه، فتوجه إليه و فعل بسيواس و غيرها من بلاد الروم ما بلغكم، ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة، و يذكر اسمه فى الخطبة، ثم يرجع، و طلب فى الكتاب أن يرسل إليه أطلمش المقبوض عليه من أمرائه قبل تاريخه، فى دولة الملك الظاهر برقوق، و إن لم ترسلوه يصير دماء المسلمين فى ذمتكم، فلم يلتفت سودون نائب الشام إلى كلامه، و أمر بالرسول فوسّط.

و توجه أسنبغا إلى حلب فوجد الأخبار صحيحة؛ فكتب بما رآه و علمه إلى الديار المصرية صحبة كتاب نائب حلب، فوصلت الكتب المذكورة إلى مصر فى ثالث شهر ربيع الأول؛ و كان ما تضمنته الكتب أن تيمور نزل على بزاعة ظاهر حلب، و قد اجتمع بحلب سائر

نوّاب البلاد الشامية، و استحثّ فى خروج السلطان بالعساكر من مصر إلى البلاد الشامية، و أن تيمور لما نزل على بزاعة خرج الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس هو الملك المؤيد و برز إلى جاليش تيمور لنك فى سبعمائة فارس، و التتار فى نحو ثلاثة آلاف فارس، و ترامى الجمعان بالنشاب ثم اقتتلوا ساعة، و أخذ شيخ من التتار أربعة، و عاد كل من الفريقين إلى موضعه، فوسّط الأربعة على أبواب مدينة حلب بحضرة من اجتمع بحلب من النواب، و كان الذى اجتمع بها الأمير سودون نائب الشام بعساكر دمشق و أجنادها و عشيرها،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۱

و نائب طرابلس شيخ المحمودى المذكور بعساكر طرابلس و أجنادها و رجّالتها، و نائب حماة دقماق المحمدى بعساكر حماة و عربانها، و نائب صفد ألطنبغا العثمانى بعساكر صفد و عشيرها، و نائب غزة عمر بن الطحان بعساكرها، فاجتمع منهم بحلب عساكر عظيمة، غير أن الكلمة متفرّقة، و العزائم محلولة لعدم وجود السلطان. انتهى.

و كان تيمور لما نزل على عينتاب أرسل رسوله إلى الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب يعده باستمراره على نيابة حلب، و يأمره بمسك سودون نائب الشام، فإنه كان قتل رسوله الذى وجهه إلى دمشق قبل تاريخه، فأخذ دمرداش الرسول و أحضره إلى النواب، فأنكر الرسول مسك سودون نائب الشام، و قال لدمرداش:

إن الأمير (يعنى تيمور) لم يأت البلاد إلا بمكاتباتك إليه، و أنت تستدعيه أن ينزل على حلب، و أعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها، فحنق منه دمرداش لمّا سمع منه هذا الكلام، و قام إليه و ضربه، ثم أمر به، فضربت رقبته، و يقال: إن كلام هذا الرسول كان من تنميق تيمور لنك و دهائه و مكره ليفرّق بذلك بين العساكر، فعلم الأمراء ذلك، و لم يقع ما قصده، و من الحليين جماعة يقولون إلى الآن:

إنه كاتب تيمور و تقاعد عن القتال. و اللّه أعلم بصحّة ذلك.

ثم اجتمع الأمراء و النواب على قتال تيمور، و تهيّأ كل منهم للقائه بعد أن يئسوا من مجيء السلطان و عساكره، لعلمهم بعدم رأى مدبّرى مملكة مصر من الأمراء، و لصغر سن السلطان، و قد فات الأمر و هم فى قلة إلى الغاية بالنسبة إلى عساكر تيمور و جنوده و جموعه، و كان الاليق خروج السلطان من مصر بعساكره و وصوله إلى حلب قبل رحيل تيمور من سيواس، كما فعل الملك الظاهر برقوق- رحمه اللّه- فيما تقدّم ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۲

و بينما النواب فى إصلاح شأنهم للقتال، نزل تيمور بعساكره على قرية جيلان، خارج حلب فى يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل و أحاط بمدينة حلب، و أصبح من الغد فى يوم الجمعة، زحف على مدينة حلب و أحاط بسورها، فكانت بين أهل حلب و بينه فى هذين اليومين حروب كثيرة، و مناوشات بالنشّاب و النّفوط و المكاحل، و ركب اهل حلب أسوار المدينة و قاتلوه أشدّ قتال، فلما اشرقت الشمس يوم السبت حادى عشره خرج نوّاب الشام بجميع عساكرها، و عامة أهل حلب إلى ظاهر مدينة حلب، و عبأوا الأطلاب و العساكر لقتال تيمور، و وقف سيّدى سودون نائب دمشق بمماليكه، و عساكر دمشق فى الميمنة، و وقف دمرداش نائب حلب بمماليكه، و عساكر حلب فى الميسرة، و وقف بقية النواب فى القلب، و قدّموا أمامهم أهل حلب المشاة، فكانت هذه التعبئة من أيشم التعابئ، هذا مع ادعاء دمرداش بالمعرفة لتعبئة العساكر، و حال وقوف الجميع فى منازلهم زحف تيمور بجيوش قد سدّت الفضاء، و صدم عساكر حلب صدمة هائلة فالتقاه النوّاب و ثبتوا لصدمته أوّلا، ثم انكسرت الميسرة، و ثبت سودون نائب الشام فى الميمنة، و أردفه شيخ نائب طرابلس و قاتلاه قتالا عظيما، و برز الأمير عزّ الدين أزدمر أخو الأتابك إينال اليوسفى و ولده يشبك بن أزدمر فى عدّة من الفرسان و قد بذلوا نفوسهم فى سبيل اللّه، و قاتلوا قتالا شديدا و أبلوا بلاء عظيما و ظهر عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۳

أزدمر و ولده يشبك من الشجاعة و الإقدام ما لعلّه يذكر إلى يوم القيامة، و لم يزل أزدمر يقتحم القوم و يكرّ فيهم إلى أن قتل و فقد خبره فإنه لم يقتل إلّا و هو فى قلب العدوّ، و سقط ولده يشبك بين القتلى و قد أثخنت جراحاته، و صار فى رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربة بالسيف و غيره، سوى ما فى بدنه.

ثم أخذ و حمل إلى بين يدى تيمور، فلمّا رأى تيمور ما به من الجراح تعجّب من إقدامه و ثباته غاية العجب، و أمر بمداواته، فيما قيل؛ و لم تمض غير ساعة حتى ولّت العساكر الشامية منهزمة يريدون مدينة حلب، و ركب أصحاب تيمور أقفيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من البشر و من أهل حلب و غيرها من المشاة ما لا يدخل تحت حصر، فإن أهل حلب خرجوا منها لقتال تيمور، حتى النساء و الصبيان، و ازدحم الناس مع ذلك فى دخولهم إلى أبواب المدينة، و داس بعضهم بعضا، حتى صارت الرّمم طول قامة، و الناس تمشى من فوقها، و قصد نوّاب المماليك الشامية قلعة حلب و طلعوا إليها، فدخلها معهم خلائق من الحلبيين و كانوا قبل ذلك قد نقلوا إليها سائر أموال الناس بحلب.

هذا و قد اقتحم عساكر تيمور مدينة حلب فى الحال، و أشعلوا فيها النّيران و أخذوا فى الأسر و النهب و القتل، فهرب سائر نساء البلد و الأطفال إلى جامع حلب و بقية المساجد، فمال أصحاب تيمور عليهن، و ربطوهن بالحبال أسرى، ثم وضعوا السيف فى الأطفال، فقتلوهم بأسرهم، و شرعوا فى تلك الأفعال القبيحة على عادتهم، و صار الأبكار تفتضّ من غير تستّر، و المخدّرات يفسق فيهنّ من غير احتشام، بل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۴

يأخذ التّترى الواحدة و يعلوها فى المسجد و الجامع بحضرة الجمّ الغفير من أصحابه و من أهل حلب، فيراها أبوها و أخوها و زوجها و ولدها و لا يقدر أن يدفع عنها لقلّة مقدرته، و لشغله بنفسه بما هو فيه من العقوبة و العذاب، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر و هى مكشوفة العورة.

ثم بذلوا السيف فى عامة حلب و أجنادها حتى امتلأت الجوامع و الطرقات بالقتلى، و جافت حلب، و استمر هذا من ضحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأوّل، هذا و القلعة فى أشدّ ما يكون من الحصار و القتال، و قد نقبها عسكر تيمور من عدّة أماكن، وردم خندقها و لم يبق إلا أن تؤخذ.

فتشاور النوّاب و الأعيان الذين بالقلعة، فأجمعوا على طلب الأمان، فأرسلوا لتيمور بذلك، فطلب تيمور نزول بعض النوّاب إليه، فنزل إليه دمرداش نائب حلب، فخلع عليه، و دفع إليه أمانا و خلعا إلى النوّاب، و أرسل معه عدّة وافرة من أصحابه إلى قلعة حلب، فطلعوا إليها و أخرجوا النوّاب منها بمن معهم من الأمراء و الأعيان، و جعلوا كلّ اثنين فى قيد، و أحضروا الجميع إلى تيمور و أوقفوا بين يديه، فنظر إليهم طويلا و هم وقوف بين يديه و رئيسهم سودون نائب الشام.

ثم أخذ يقرّعهم و يوبّخهم و يلوم سودون نائب الشام فى قتله لرسوله، و يكثر له من الوعيد. ثم دفع كلّ واحد منهم إلى من يحتفظ به. ثم سيقت إليه نساء حلب سبايا، و أحضرت إليه الأموال و الجواهر و الآلات الفاخرة، ففرّقها على أمرائه و أخصّائه، و استمرّ النهب و السبى و القتل بحلب فى كل يوم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۵

مع قطع الأشجار و هدم البيوت و إحراق المساجد، و جافت حلب و ظواهرها من القتلى، بحيث صارت الأرض منهم فراشا، لا يجد الشخص مكانا يمشى عليه إلّا و تحت رجليه رمّة قتيل. و عمل تيمور من رءوس المسلمين منائر عدّة مرتفعة من الأرض نحو عشرة أذرع فى دور عشرين ذراعا، حسب ما فيها من رءوس بنى آدم فكان زيادة على عشرين ألف رأس، و لمّا بنيت جعلت الوجوه بارزة يراها من يمرّ بها.

ثم رحل تيمور من حلب بعد أن أقام بها شهرا، و تركها خاوية على عروشها، خالية من سكّانها و أنيسها، قد خربت و تعطّلت من

الأذان و الصلوات، و أصبحت خرابا يبابا مظلمة بالحريق موحشة قفرا، لا يأويها إلّا البوم و الرّخم. و سار تيمور قاصدا جهة دمشق، فمرّ بمدينة حماة، و كان أخذها ابنه ميران شاه.

و كان من خبرها أن ميران شاه بن تيمور نزل عليها بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور، و أحاط بها بعساكره، بعد أن نهب خارج مدينة حماة، و سبى النساء و الأطفال، و أسر الرجال، و استمرّت أيدى أصحابه يفعلون فى النساء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۶

و الأبكار تلك الأفعال القبيحة، و خرّبوا جميع ما خرج عن سور المدينة. هذا و قد استعدّ أهل حماة للقتال، و ركب الناس سور المدينة، و امتنعوا من تسليم المدينة، و باتوا على ذلك، فلما أصبحوا خادعهم ابن تيمور، ففتحوا له بابا من أبواب المدينة، و دخل ابن تيمور المذكور مدينة حماة و نادى بالأمان؛ فقدم الناس عليه، و قدّموا له أنواع المطاعم، فقبلها منهم، و عزم أن يقيم رجلا من أصحابه عليها، فقيل له:

إن الأعيان قد خرجوا منها، فخرج إلى مخيّمه و بات به.

ثم رحل يوم الخميس عنها و وعد الناس بخير؛ و مع ذلك فإن قلعة حماة لم يتسلّمها، بل كانت امتنعت عليه.

فلما كان ليلة الجمعة نزل أهل القلعة و قتلوا من أصحاب ابن تيمور رجلين كان أقرّهما بالمدينة، فلما بلغ ذلك ابن تيمور رجع إليها و اقتحم البلد، و أشعل النار بها، و أخذ أصحابه يقتلون و يأسرون و ينهبون حتى صارت كمدينة حلب، غير أنّه كان رفق بأهل حلب، فإنه كان سأل قضاة حلب لمّا صاروا فى أسره عن قتاله، و من الشهيد [من العسكرين]؟ فأجاب محبّ الدين محمد بن محمد بن الشّحنة الحنفىّ بأن قال: سئل رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و سلّم- عن هذا، فقال: «من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا فهو الشهيد»، فأعجبه ذلك و حادثهم، فطلبوا منه أن يعفو عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۷

أهل حلب، و لا يقتل أحدا؛ فأمّنهم جميعا و حلف لهم، فحصل بذلك بعض رفق بالنسبة إلى غيرهم.

و أمّا أهل دمشق، فإنه لمّا قدم عليهم الخبر بأخذ حلب، نودى فى الناس بالرحيل من ظاهرها إلى داخل المدينة، و الاستعداد لقتال العدوّ المخذول فأخذوا فى ذلك، فقدم عليهم المنهزمون من حماة، فعظم خوف أهلها و همّوا بالجلاء، فمنعوا من ذلك، و نودى «من سافر نهب»، فعاد إليها من كان خرج منها، و حصّنت دمشق، و نصبت المجانيق على قلعة دمشق، و نصبت المكاحل على أسوار المدينة، و استعدّوا للقتال استعدادا جيّدا إلى الغاية.

ثم وصلت رسل تيمور إلى نائب الغيبة بدمشق ليتسلّموا منه دمشق، فهمّ نائب الغيبة بالفرار، فردّه العامّة ردّا قبيحا، و صاح الناس و أجمعوا على الرحيل عنها، و استغاث النساء و الصّبيان، و خرجت النساء حاسرات لا- بعرفن أين يذهبن، حتى نادى نائب الغيبة بالاستعداد.

و قدم الخبر فى أثناء ذلك بمجيء السلطان إلى البلاد الشاميّة، ففتر عزم الناس عن الخروج من دمشق ما لم يحضر السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۸

و أمّا أمراء الديار المصريّة فإنه لمّا كان ثامن عشر شهر ربيع الأوّل و هو بعد أخذ تيمور لمدينة حلب بسبعة أيّام، فرقّت الجماكى على المماليك السلطانيّة بسبب السفر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۱۲؛ ص۲۲۸

فى عشرينه نودى على أجناد الحلقة بالقاهرة أن يكونوا فى يوم الأربعاء ثانى عشرينه فى بيت الأمير يسك الشّعبانى الدّوادار للعرض عليه.

ثم فى خامس عشرينه ورد عليهم الخبر بأخذ تيمور مدينة حلب، و أنه يحاصر قلعتها، فكذّبوا ذلك، و أمسك المخبر و حبس حتى

يعاقب بعد ذلك على افترائه، و وقع الشروع فى النفقة، فأخذ كلّ مملوك ثلاثة آلاف و أربعمائة درهم.

ثم خرج الأمير سودون من زادة و الأمير إينال حطب على الهجن فى ليلة الأربعاء تاسع عشرينه لكشف هذا الخبر.

ثم ركب الشيخ سراج الدين عمر البلقينى و قضاة القضاة و الأمير آقباى الحاجب، و نودى بين أيديهم: «الجهاد فى سبيل اللّه تعالى لعدوّكم الأكبر تيمورلنك، فإنه أخذ البلاد و وصل إلى حلب و قتّل الأطفال على صدور الأمّهات، و أخرب الدّور و الجوامع و المساجد، و جعلها إسطبلات للدوابّ، و أنّه قاصدكم، يخرّب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۹

بلادكم، و يقتّل رجالكم؛ فاضطربت القاهرة لذلك، و اشتدّ جزع الناس، و كثر بكاؤهم و صراخهم، و انطلقت الألسنة بالوقيعة فى أعيان الدولة.

و استهلّ شهر ربيع الآخر، فلما كان ثالثه قدم الأمير أسنبغا الحاجب و أخبر بأخذ تيمور مدينة حلب و قلعتها باتفاق دمرداش، و حكى ما نزل بأهل حلب من البلاء، و أنه قال لنائب الغيبة بدمشق يخلّى بين الناس و بين الخروج من دمشق، فإن الأمر صعب، [و إن النائب لم يمكّن أحدا من السير] فخرج السلطان الملك الناصر من يومه من القاهرة و نزل بالرّيدانيّة بأمرائه و عساكره [و الخليفة] و القضاة، و تعيّن الأمير تمراز الناصرىّ أمير مجلس لنيابة الغيبة بالديار المصريّة، و أقام بمصر من الأمراء الأمير جكم من عوض فى عدّة أخر، و أقام الأمير تمراز يعرض أجناد الحلقة، و فى تحصيل ألف فرس و ألف جمل، و إرسال ذلك مع من يقع عليه الاختيار من أجناد الحلقة للسّفر.

ثم رسم باستقرار الأمير أرسطاى من خجا على رأس نوبة النّوب كان فى نيابة الإسكندريّة بعد موت نائبها فرج الحلبى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۰

و كان أرسطاى منذ أفرج عنه بطّالا بالإسكندريّة، فوردت عليه الولاية و هو بها، و أخذ الأمير تمراز فى عرض أجناد الحلقة، و تحصيل الخيول و الجمال و طلب العربان من الوجه القبلىّ و البحرىّ لقتال تيمور، كلّ ذلك و السلطان بالرّيدانيّة.

ثم خرج الجاليش فى بكرة يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر، و فيه من أكابر الأمراء مقدّمى الألوف: الأتابك بيبرس، و الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة الأمراء، و الامير بكتمر الركنى أمير سلاح، و آقباى حاجب الحجّاب، و يلبغا الناصرى، و إينال باى بن قجماس، و عدّة أخر من أمراء الطبلخانات و العشرات.

ثم رحل السلطان ببقيّة الأمراء و العساكر من الرّيدانيّة يريد جهة الشام لقتال تيمور لنك، و سار حتى نزل بغزّة فى يوم عشرين من الشهر، و استدعى بالوالد و آقبغا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۱

الجمالىّ الأطروش نائب حلب كان من القدس، و أخلع على الوالد باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن سودون قريب الملك الظاهر برقوق بحكم أسره مع تيمور، و هذه ولاية الوالد على دمشق الأولى.

و خلع على الأمير آقبغا الجمالى الأطروش باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن شيخ المحمودىّ بحكم أسره مع تيمور أيضا، و على الأمير تمربغا المنجكى باستقراره فى نيابة صفد عوضا عن ألطنبغا العثمانى بحكم أسره، و على طولو من على باشاه باستقراره فى نيابة غزّة عوضا عن عمر بن الطحّان، و على صدقة بن الطويل باستقراره فى نيابة القدس، و بعث الجميع إلى ممالكهم.

و أما الوالد فإنه قال للسلطان و للأمراء: عندى رأى أقوله، و فيه مصلحة للمسلمين و للسلطان، فقيل له: و ما هو؟ فقال: الرأى أن السلطان لا يتحرّك هو و لا عساكره من مدينة غزّة، و أنا أتوجّه إلى دمشق و أحرّض أهلها على القتال، و أحصّنها- و هى بلدة عظيمة لم تنكب من قديم الزمان، و بها ما يكفى أهلها من الميرة سنين، و قد داخل أهلها أيضا من الخوف ما لا مزيد عليه، فهم يقاتلون قتال الموت- و تيمور لا يقدر على أخذها منّى بسرعة، و هو فى عسكر كبير إلى الغاية لا يطيق لمكث بهم بمكان واحد مدّة طويلة، فإما

أنه يدع دمشق و يتوجّه نحو السلطان إلى غزّة، فيتوغّل فى البلاد و يصير بين عسكرين، و أظنه لا يفعل ذلك، و إمّا أنه يعود إلى جهة بلاده كالمنهزم من عدم معرفة عساكره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۲

بالبلاد الشامية، و قلّة ما فى طريقه من الميرة لخراب البلاد، و يركب السلطان بعساكره المصرية و الشامية أقفية التّمرية إلى الفرات، فيظفر منهم بالغرض و زيادة، فاستصوب ذلك جميع الناس، حتى تيمور عند ما بلغه ذلك بعد أخذه دمشق، و ما بقى إلا أن يرسم بذلك، تكلّم بعض جهّال الأمراء مع بعض فى السرّ ممّن عنده كمين من الوالد من واقعة أيتمش و تنم، و قال: تقتلوا رفقته و تسلّموه الشام، و اللّه ما قصده إلّا أن يتوجّه إلى دمشق، و يتّفق مع تيمور و يعود يقاتلنا، حتى ياخذ منّا ثأر رفقته، و كان نوروز الحافظى بإزاء الوالد، فلمّا سمع ذلك استحيا أن يبديه للوالد، فأشار إليه بالسّكات و الكفّ عن ذلك، و انفضّ المجلس، و خرج الوالد من الخدمة و أصلح شأنه، و توجّه إلى دمشق، فوجد الأمير دمرداش نائب حلب قد هرب من تيمور و قدم إلى دمشق، و قد جفل أهل دمشق لمّا بلغهم قرب تيمور إلى دمشق فأخذ الوالد فى إصلاح أمر دمشق، فوجد أهلها فى غاية الاستعداد، و عزمهم قتال تيمور إلى أن يفنوا جميعا، فتأسّف عند ذلك على عدم قبول السلطان لرأيه و لم يسعه إلّا السّكات.

ثم رحل جاليش السلطان من غزّة فى رابع عشرين شهر ربيع الآخر، ثم رحل السلطان ببقيّة عسكره من غزّة فى سادس عشرينه، و سار الجميع حتى وافوا دمشق.

و كان دخول السلطان دمشق فى يوم الخميس سادس جمادى الأولى، و كان لدخوله يوم مهول من كثرة صراخ الناس و بكائهم و الابتهال إلى اللّه بنصرته، و طلع السلطان إلى قلعة دمشق و أقام بها إلى يوم السبت ثامنه، فنزل من قلعة دمشق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۳

و خرج بعساكره إلى مخيّمه عند قبة يلبغا ظاهر دمشق، و تهيّأ للقاء تيمور هو بعساكره و قد قصّرت المماليك الظاهريّة أرماحهم حتى يتمكّنوا من طعن التّمرية أولا بأوّل لازدرائهم عساكر تيمور.

فلما كان وقت الظهر من اليوم المذكور وصل جاليش تيمور من جهة جبل الثّلج فى نحو الألف فارس، فبرز إليهم مائة فارس من عسكر السلطان و صدموهم صدمة واحدة، بدّدوا شملهم و كسروهم أقبح كسرة، و قتلوا منهم جماعة كبيرة و عادوا.

ثم حضر إلى طاعة السلطان جماعة من التمريّة و أخبروا بنزول تيمور على البقاع العزيزى فلتكونوا على حذر، فإن تيمور كثير الحيل و المكر، فاحترز القوم منه غاية الاحتراز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۴

ثم قدم على السلطان خمسة أمراء من أمراء طرابلس بكتاب أسندمر نائب الغيبة بطرابلس يتضمّن أن الأمير أحمد بن رمضان أمير التركمان هو و ابن صاحب الباز و أولاد شهرى اتّفقوا و ساروا إلى حلب و أخذوها من التمريّة، و قتلوا من أصحاب تيمور زيادة على ثلاثة آلاف فارس، و أن تيمور بعث عسكرا إلى طرابلس، فثار بهم أهل القرى و قتلوهم عن آخرهم بالحجارة لدخولهم بين جبلين، و أنه قد حضر من عسكر تيمور خمسة نفر، و أخبروا بأن نصف عسكر تيمور على نيّة المسير إلى طاعة السلطان.

و كان ذلك من مكايد تيمور، ثم قال: و إن صاحب قبرص و صاحب الماغوصة و غيرهم وردت كتبهم بانتظار الإذن لهم فى تجهيز المراكب فى البحر لقتال تيمور معاونة للسلطان، فلم يلتفت أحد لهذا الكتاب، و داموا على ما هم فيه من اختلاف الكلمة.

ثم فى يوم السبت نزّل تيمور بعساكره على قطنا، فملأت عساكره الأرض كثرة، و ركب طائفة منهم لكشف الخبر، فوجدوا السلطان و الأمراء قد تهيّئوا للقتال و صفّت العساكر السلطانيّة، فبرز إليهم التمريّة و صدموهم صدمة هائلة، و ثبت كلّ من العسكرين ساعة، فكانت بينهم وقعة انكسر فيها ميسرة السلطان، و انهزم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۵

العسكر الغزّاوىّ و غيرهم إلى ناحية حوران، و جرح جماعة، و حمل تيمور بنفسه حملة شديدة ليأخذ فيها دمشق، فدفعته ميمنة السلطان بأسنان الرماح حتى أعادوه إلى موقفه.

و نزل كلّ من العسكر بن بمعسكره، و بعث تيمور إلى السلطان فى طلب الصلح و إرسال أطلمش أحد أصحابه إليه، و أنه هو أيضا يبعث من عنده من الأمراء المقبوض عليهم فى وقعة حلب، فأشار الوالد و دمرداش و قطلوبغا الكركى فى قبول ذلك لما يعرفوا من اختلاف كلمتهم، لا لضعف عسكرهم، فلم يقبلوا و أبوا إلّا القتال.

ثم أرسل تيمور رسولا- آخر فى طلب الصّلح، و كرّر القول ثانيا، و ظهر للأمراء و لجميع العساكر صدق مقالته، و أن ذلك على حقيقته، فأبى الأمراء ذلك، هذا و القتال مستمرّ بين الفريقين فى كلّ يوم.

فلما كان ثانى عشر جمادى الآخرة اختفى من أمراء مصر و المماليك السلطانيّة جماعة، منهم الأمير سودون الطيّار، و قانى باى العلائى رأس نوبة، و جمق، و من الخاصكيّة يشبك العثمانى و قمش الحافظى و برسبغا الدوادار و طرباى فى جماعة أخر، فوقع الاختلاف عند ذلك بين الأمراء، و عادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحن فى الوظائف و الإقطاعات و التحكّم فى الدولة، و تركوا أمر تيمور كأنه لم يكن، و أخذوا فى الكلام فيما بينهم بسبب من اختفى من الأمراء و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۶

هذا و تيمور فى غاية الاجتهاد فى أخذ دمشق و فى عمل الحيلة فى ذلك.

ثم أعلم بما الأمراء فيه، فقوى أمره و اجتهاده، بعد أن كان عزم على الرحيل، و استعدّ لذلك.

ثم أشيع بدمشق أن الأمراء الذين اختفوا توجّهوا جميعا إلى مصر ليسلطنوا الشيخ لاچين الچركسى أحد الأجناد البرّانيّة؛ فعظم ذلك على مدبّرى المملكة لعدم رأيهم، و كان ذلك عندهم أهمّ من أمر تيمور، و اتّفقوا فيما بينهم على أخذ السلطان الملك الناصر جريدة، و عوده إلى الديار المصرية فى الليل، و لم يعلموا بذلك إلّا جماعة يسيرة، و لم يكن أمر لاچين يستحقّ ذلك، بل كان تمراز نائب الغيبة بمصر يكفى السلطان أمرهم، وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا.

فلما كان آخر ليلة الجمعة حادى عشرين جمادى الأولى ركب الأمراء و أخذوا السلطان الملك الناصر فرج على حين غفلة، و ساروا به من غير أن يعلم العسكر به من على عقبة دمّر يريدون الديار المصرية، و تركوا العساكر و الرعيّة من المسلمين غنما بلا راع، و جدّوا فى السير ليلا- و نهارا حتى وصلوا إلى مدينة صفد، فاستدعوا نائبها الأمير تمربغا المنجكى و أخذوه معهم، و تلاحق بهم كثير من أرباب الدولة و أمرائها، و سار الجميع حتى أدركوا الأمراء الذين ساروا إلى مصر- عليهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۷

من اللّه ما يستحقّوه- بمدينة غزّة، فكلّموهم فيما فعلوه، فاعتذروا بعذر غير مقبول فى الدنيا و الآخرة؛ فندم عند ذلك الأمراء على الخروج من دمشق حيث لا ينفع الندم، و قد تركوا دمشق أكلة لتيمور، و كانت يوم ذاك أحسن مدن الدنيا و أعمرها.

و أما بقيّة أمراء مصر و أعيانها من القضاة و غيرهم لمّا علموا بخروج السلطان من دمشق خرجوا فى الحال فى إثره طوائف طوائف يريدون اللّحاق بالسلطان، فأخذ غالبهم العشير، و سلبوهم، و قتلوا منهم خلقا كثيرا.

أخبرنى غير واحد من أعيان المماليك الظاهرية قالوا: لما بلغنا خروج السلطان ركبنا فى الحال، غير أنه لم يعقنا عن اللّحاق به إلا كثرة السلاح الملقى على الأرض بالطريق ممارمتها المماليك السلطانيّة ليخفّ ذلك عن خيولهم، فمن كان فرسه ناهضا خرج، و إلّا لحقه أصحاب تيمور و أسروه، فممّن أسروه قاضى القضاة صدر الدين المناوىّ و مات فى الأسر حسبما يأتى ذكره فى الوفيات و تتابع دخول المنقطعين من المماليك السلطانيّة و غيرهم إلى القاهرة فى أسوإ حال من المشى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۸

و العرى و الجوع، فرسم السلطان لكلّ من المماليك السلطانية المذكورين بألف درهم و جامكيّة شهرين.

و أمّا الأمراء فإنهم دخلوا إلى مصر و ليس مع كلّ أمير سوى مملوك أو مملوكين، و قد تركوا أموالهم و خيولهم و أطلابهم و سائر ما معهم بدمشق؛ فإنهم خرجوا من دمشق بغتة بغير مواعدة لمّا بلغهم توجّه السلطان من دمشق، و أخذ كلّ واحد ينجو بنفسه.

و أما العساكر الّذين خلّفوا بدمشق من أهل دمشق و غيرها، فإنه كان اجتمع بها خلائق كثيرة من الحلبيّين و الحمويّين و الحمصيّين و أهل القرى ممّن خرج جافلا من تيمور.

و لمّا أصبحوا يوم الجمعة و قد فقدوا السلطان و الأمراء و النائب غلّقوا أبواب دمشق، و ركبوا أسوار البلد، و نادوا بالجهاد، فتهيّأ أهل دمشق للقتال، و زحف عليهم تيمور بعساكره، فقاتله الدمشقيون من أعلى السور أشدّ قتال، و ردّوهم عن السور و الخندق، و أسروا منهم جماعة ممن كان اقتحم باب دمشق، و أخذوا من خيولهم عدّة كبيرة، و قتلوا منهم نحو الألف، و أدخلوا رءوسهم إلى المدينة، و صار أمرهم فى زيادة فأعيا تيمور أمرهم، و علم أن الأمر يطول عليه، فأخذ فى مخادعتهم، و عمل الحيلة فى أخذ دمشق منهم.

و بينما أهل دمشق فى أشدّ ما يكون من القتال و الاجتهاد فى تحصين بلدهم، قدم عليهم رجلان من أصحاب تيمور من تحت السور و صاحا من بعد: «الأمير يريد الصلح، فابعثوا رجلا عاقلا حتى يحدّثه الأمير فى ذلك».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۹

قلت: هذا الذى كان أشار إليه الوالد عند استقراره بغزّة فى نيابة دمشق، و قوله: إن أهل دمشق عندهم قوّة لدفع تيمور عن دمشق، و أن دمشق بلد كثيرة الميرة و الرّزق، و هى فى الغاية من التحصين، و أنه يتوجّه إليها و يقاتل بها تيمور، فلم يسمع له أحد فى ذلك، فلعمرى لو رأى من لا أعجبه كلام الوالد قتال أهل دمشق الآن و شدّة بأسهم و هم بغير نائب و لا مدبّر لأمرهم، فكيف ذاك لو كان عندهم متولّى أمرهم بمماليكه و أمراء دمشق و عساكرها بمن انضاف إليهم لكان يحق له الندم و الاعتراف بالتقصير. انتهى.

و لما سمع أهل دمشق كلام أصحاب تيمور فى الصلح وقع اختيارهم فى إرسال قاضى القضاة تقى الدّين إبراهيم بن [محمد بن] مفلح الحنبلى، فأرخى من سور دمشق إلى الأرض، و توجّه إلى تيمور و اجتمع به و عاد إلى دمشق، و قد خدعه تيمور بتنميق كلامه، و تلطّف معه فى القول، و ترفق له فى الكلام، و قال له: هذه بلدة الأنبياء و الصحابة، و قد أعتقتها لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صدقة عنّى و عن أولادى، و لولا حنقى من سودون نائب دمشق عند قتله لرسولى ما أتيتها، و قد صار سودون المذكور فى قبضتى و فى أسرى، و قد كان الغرض فى مجيئى إلى هنا، و لم يبق لى الآن غرض إلا العود، و لكن لا بدّ من أخذ عادتى من التّقدمة من الطّقزات. و كانت هذه عادته إذا أخذ مدينة صلحا يخرج إليه [أهلها] من كل نوع من أنواع المأكول و المشروب و الدوابّ و الملابس و التّحف تسعة؛ يسمّون ذلك طقزات، و الطّقز باللّغة التركية: تسعة، و هذه عادة ملوك التتار إلى يومنا هذا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۰

فلما صار ابن مفلح بدمشق شرع يخذّل الناس عن القتال و يثنى على تيمور و دينه و حسن اعتقاده ثناء عظيما، و يكفّ أهل دمشق عن قتاله، فمال معه طائفة من الناس، و خالفه طائفة أخرى و أبوا إلّا قتاله، و باتوا ليلة السبت على ذلك، و أصبحوا نهار السّبت و قد غلب رأى ابن مفلح على من خالفه، و عزم على إتمام الصلح، و نادى فى الناس: إنه من خالف ذلك قتل و هدر دمه؛ فكفّ الناس عن القتال.

و فى الحال قدم رسول تيمور إلى مدينة دمشق فى طلب الطقزات المذكورة، فبادر ابن مفلح، و استدعى من القضاة و الفقهاء و الأعيان و التجار، حمل ذلك كلّ أحد بحسب حاله، فشرعوا فى ذلك حتى كمل، و ساروا به إلى باب النصر ليخرجوا به إلى تيمور، فمنعهم نائب قلعة دمشق من ذلك، و هدّدهم بحريق المدينة عليهم إن فعلوا ذلك، فلم يلتفتوا إلى قوله، و قالوا له: [أنت] احكم على قلعتك، و نحن نحكم على بلدنا، و تركوا باب النصر و توجهوا، و أخرجوا الطقزات المذكورة من السور، و تدلّى ابن مفلح من السور أيضا و معه كثير من أعيان دمشق و غيرهم و ساروا إلى مخيّم تيمور، و باتوا به ليلة الأحد، و عادوا بكرة الأحد، و قد استقرّ تيمور بجماعة منهم فى عدّة وظائف: ما بين قضاة القضاة، و الوزير، و مستخرج الأموال، و نحو ذلك، معهم فرمان من تيمور لهم، و هو ورقة

فيها تسعة أسطر يتضمّن أمان أهل دمشق على أنفسهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۱

و أهليهم خاصّة؛ فقرئ الفرمان المذكور على منبر جامع بنى أمية بدمشق، و فتح من أبواب دمشق باب الصغير فقط، و قدم أمير من أمراء تيمور، جلس فيه ليحفظ البلد ممّن يعبر إليها من عساكر تيمور، فمشى ذلك على الشاميّين و فرحوا به، و أكثر ابن مفلح و من كان توجّه معه من أعيان دمشق الثّناء على تيمور و بثّ محاسنه و فضائله، و دعا العامّة لطاعته و موالاته، و حثّهم بأسرهم على جمع المال الّذى تقرّر لتيمور عليهم، و هو ألف ألف دينار، و فرض ذلك على الناس كلّهم، فقاموا به من غير مشقّة لكثرة أموالهم، فلمّا كمل المال حمله ابن مفلح إلى تيمور و وضعه بين يديه، فلمّا عاينه غضب غضبا شديدا، و لم يرض به، و أمر ابن مفلح و من معه أن يخرجوا عنه، فأخرجوا من وجهه، و وكّل بهم جماعة حتى التزموا بحمل ألف تومان، و التومان عبارة عن عشرة آلاف دينار [من الذّهب]، إلّا أنّ سعر الذهب عندهم يختلف، و على كلّ حال فيكون جملة ذلك عشرة آلاف ألف دينار، فالتزموا بها، و عادوا إلى البلد، و فرضوها ثانيا على الناس [كلّها] عن أجرة أملاكهم ثلاثة أشهر، و ألزموا كلّ إنسان من ذكر و أنثى حرّ و عبد بعشرة دراهم، و ألزم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۲

مباشر كلّ وقف بحمل مال له جرم، فنزل بالناس باستخراج هذا منهم ثانيا بلاء عظيم، و عوقب كثير منهم بالضّرب، فغلت الأسعار، و عزّ وجود الأقوات، و بلغ المدّ القمح- و هو أربعة أقداح- إلى أربعين درهما فضّة، و تعطّلت صلاة الجمعة من دمشق فلم تقم بها جمعة إلّا مرتين حتى دعى بها على منابر دمشق للسلطان محمود و لولىّ عهده ابن الأمير تيمور لنك، و كان السلطان محمود مع تيمور آلة، كون عادتهم لا يتسلطن عليهم إلّا من يكون من ذرّية الملوك. انتهى.

ثم قدم شاه ملك أحد أمراء تيمور إلى مدينة دمشق على أنه نائبها من قبل تيمور.

ثمّ بعد جمعتين منعوا من إقامة الجمعة بدمشق لكثرة غلبة أصحاب تيمور بدمشق، كلّ ذلك و نائب القلعة ممتنع بقلعة دمشق، و أعوان تيمور تحاصره أشدّ حصار، حتى سلّمها بعد تسعة و عشرين يوما، و قد رمى عليها بمدافع و مكاحل لا تدخل تحت حصر، يكفيك أن التمريّة من عظم ما أعياهم أمر قلعة دمشق بنوا تجاه القلعة قلعة من خشب، فعند فراغهم من بنائها و أرادوا طلوعها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۳

ليقاتلوا من أعلاها من هو بالقلعة، رمى أهل قلعة دمشق نفطا فأحرقوها عن آخرها، فأنشئوا قلعة ثانية أعظم من الأولى و طلعوا عليها و قاتلوا أهل القلعة.

هذا و ليس بالقلعة المذكورة من المقاتلة إلّا نفر يسير دون الأربعين نفرا، و طال عليهم الأمر، و يئسوا من النّجدة، و طلبوا الأمان، و سلّموها بالأمان.

قلت: لا شلّت يداهم! هؤلاء هم الرجال الشجعان. رحمهم اللّه تعالى.

و لما تكامل حصول المال الذى هو ألف تومان، أخذه ابن مفلح و حمله إلى تيمور؛ فقال تيمور لابن مفلح و أصحابه: هذا المال بحسابنا إنما هو يسوى ثلاثة آلاف ألف دينار، و قد بقى عليكم سبعة آلاف ألف دينار، و ظهر لى أنكم عجزتم.

و كان تيمور لما اتفق أوّلا مع ابن مفلح على ألف ألف دينار يكون ذلك على أهل دمشق خاصة، و الذى تركته العساكر المصرية من السلاح و الأموال يكون لتيمور، فخرج إليه ابن مفلح بأموال اهل مصر جميعها، فلما صارت كلها إليه و علم أنه استولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فرّوا من دمشق، فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله، و تدافعوا عنده حتى خلص المال جميعه، فلما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۴

كمل ذلك ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع ما فى البلد من السلاح جليلها و حقيرها، فتتبّعوا ذلك و أخرجوه له حتى لم يبق بها من السلاح شيء، فلمّا فرغ ذلك كلّه قبض على ابن مفلح و رفقته، و ألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق و حاراتها و سككها، فكتبوا ذلك و دفعوه إليه، ففرّقه على أمرائه، و قسم البلد بينهم، فساروا إليها بمماليكهم و حواشيهم، و نزل كلّ أمير فى قسمه و طلب من فيه، و طالبهم بالأموال، فحينئذ حلّ بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف، و أجرى عليهم أنواع العذاب من الضّرب و العصر و الإحراق بالنار، و التعليق منكوسا، و غمّ الأنف بخرقة فيها تراب ناعم كلّما تنفّس دخل فى أنفه حتى تكاد نفسه تزهق، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يخلّى عنه حتى يستريح، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعا، فكان المعاقب يحسد رفيقه الّذى هلك تحت العقوبة على الموت، و يقول: ليتنى أموت و أستريح مما أنا فيه، و مع هذا كلّه تؤخذ نساؤه و بناته و أولاده الذكور، و تقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المعذّب امرأته أو بنته و هى توطأ، و ولده و هو يلاط به، يصرخ هو من ألم العذاب، و البنت و الولد يصرخان من إزالة البكارة و اللّواط، و كل ذلك من غير تستّر فى النهار بحضرة الملأ من الناس. و رأى أهل دمشق أنواعا من العذاب لم يسمع بمثلها؛ منها أنهم كانوا يأخذون الرجل فتشدّ رأسه بحبل و يلويه حتى يغوص فى رأسه، و منهم من كان يضع الحبل بكتفى الرجل و يلويه بعصاه حتى تنخلع الكتفان، و منهم من كان يربط إبهام يدى المعذّب من وراء ظهره ثم يلقيه على ظهره و يذرّ فى منخريه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۵

الرّماد مسحوقا، فيقرّ على ما عنده شيئا بعد شيء، حتى إذا فرغ ما عنده لا يصدّقه صاحبه على ذلك، فلا يزال يكرّر عليه العذاب حتى يموت، و يعاقب ميّتا مخافة أن يتماوت. و منهم من كان يعلّق المعذّب بإبهام يديه فى سقف الدار و يشعل النار تحته، و يطول تعليقه، فربّما يسقط فيها، فيسحب من النار و يلقوه على الأرض حتى يفيق، ثم يعلّقه ثانيا.

و استمرّ هذا البلاء و العذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوما، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب من سنة ثلاث و ثمانمائة، فهلك فى هذه المدّة بدمشق بالعقوبة و الجوع خلق لا يعلم عددهم إلّا اللّه تعالى.

فلما علمت أمراء تيمور أنه لم يبق بالمدينة شيء خرجوا إلى تيمور، فسألهم: هل بقى لكم تعلّق فى دمشق؟ فقالوا: لا؛ فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق على أتباع الأمراء فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، و معهم سيوف مسلولة مشهورة و هم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الدّور و غيرها، و سبوا نساء دمشق بأجمعهنّ، و ساقوا الأولاد و الرجال، و تركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، و ساقوا الجميع مربوطين فى الحبال.

ثم طرحوا النار فى المنازل و الدّور و المساجد، و كان يوم عاصف الريح، فعمّ الحريق جميع البلد حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، و عملت النار فى البلد ثلاثة أيّام بلياليها آخرها يوم الجمعة.

و كان تيمور- لعنه اللّه- سار من دمشق فى يوم السبت ثالث شهر شعبان بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوما، و قد احترقت كلّها و سقطت سقوف جامع بنى أميّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۶

من الحريق، و زالت أبوابه و تفطّر رخامه، و لم يبق غير جدره قائمة. و ذهبت مساجد دمشق و دورها و قياسرها و حمّاماتها و صارت أطلالا بالية و رسوما خالية، و لم يبق بها [دابة تدبّ] إلّا أطفال يتجاوز عددهم [آلاف] فيهم من مات، و فيهم من سيموت من الجوع.

و أمّا السلطان [الملك الناصر فرج] فإنّه أقام بغزّة ثلاثة أيام، و توجّه إلى الدّيار المصريّة بعد ما قدم بين يديه آقبغا الفقيه أحد الدواداريّة، فقدم إلى القاهرة فى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة، و أعلم الأمير تمراز نائب الغيبة بوصول السلطان إلى غزّة، فارتجّت القاهرة، و كادت عقول الناس تزهق، و ظنّ كلّ أحد أن السلطان قد انكسر من تيمور، و أنّ تيمور فى أثره، و أخذ كلّ أحد يبيع ما عنده و يستعدّ للهروب من مصر، و غلا أثمان ذوات الأربع حتى جاوز المثل أمثالا.

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخرة المذكور قدم السلطان إلى قلعة الجبل و معه الخليفة و أمراء الدولة و نوّاب البلاد

الشامية، و نحو ألف مملوك من المماليك السلطانية، و قيل نحو الخمسمائة.

ثم فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة المذكور أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة، و تقدمة ألف بالدّيار المصريّة كانت موفّرة فى الديوان السلطانىّ، بعد استعفائه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۷

من نيابة دمشق، و عيّن السلطان لنيابة دمشق آقبغا الجمالى الأطروش، و رسم للوالد أن يجلس رأس ميسرة.

ثم أذن السلطان للأمير يلبغا السالمىّ الأستادار أن يتحدّث فى جميع ما يتعلّق بالمملكة، و أن يجهّز العسكر إلى دمشق لقتال تيمور، فشرع يلبغا السالمى المذكور فى تحصيل الأموال، و فرض على سائر أراضى مصر فرائض من إقطاعات الأمراء، و بلاد السلطان، و أخباز الأجناد، و بلاد الأوقاف عن عبرة كلّ ألف دينار خمسمائة درهم فضّة و فرس.

ثم جبى من سائر أملاك القاهرة و مصر و ظواهر هما أجرة شهر، حتى إنه كان يقوّم على الإنسان داره التى يسكنها، و يؤخذ منه أجرتها، و أخذ من الرزق، و هى الأراضى التى يأخذ مغلّها قوم على سبيل البرّ و الصدقة عن كل فدّان عشرة دراهم، و كان يوم ذاك أجرة الفدّان من ثلاثين درهما إلى ما دونها.

قلت: أخذ نصف خراجها بدورة دارها، و أخذ من الفدّان القصب أو القلقاس أو النّيلة من القنطار مائة درهم، و هى نحو أربعة دنانير، وجبى من البساتين عن كلّ فدان مائة درهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۸

ثم استدعى أمناء الحكم و التجّار و طلب منهم المال على سبيل القرض، و صار يكبس الفنادق و الحواصل فى الليل، فمن وجده حاضرا فتح مخزنه و أخذ نصف ما يجده فيه من النقد، و هى الذهب و الفضّة و الفلوس، و إذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع ما يجده من النقود و هى الذهب و الفضة و الفلوس، و أخذ جميع ما وجد من حواصل الأوقاف، و مع ذلك فإن الصّيرفىّ يأخذ عن كل مائة درهم ثلاثة دراهم، و يأخذ الرسول الذى يحضر المطلوب ستة دراهم، و إن كان نقيبا أخذ عشرة دراهم؛ قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزى رحمه اللّه، قال: فاشتدّ ما بالناس، و كثر دعاء الناس على السالمىّ.

قلت: و بالجملة فهم أحسن حالا من أهل دمشق، و إن أخذ منهم نصف مالهم، و أيش يعمل السالمىّ! مسكين، و قد ندبه السلطان لإخراج عسكر ثان من الديار المصرية لقتال تيمور. انتهى.

ثمّ خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى و على الأمير يشبك الشعبانى، و استقرّا مشيرى الدّولة و مدبّرى أمورها.

ثمّ فى ثالث عشره خلع على القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى [قاضى العسكر باستقراره] قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى، و على القاضى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۹

جمال الدين عبد اللّه الأقفهسى باستقراره قاضى قضاة المالكيّة بالديار المصرية عوضا عن القاضى نور الدين علىّ بن الجلال بحكم وفاته.

و فيه قدم من الشام من المماليك المنقطعين ثلثمائة مملوك بأسوإ حال: من المشى و العرى و الجوع.

ثم فى حادى عشرينه حضر إلى القاهرة قاضى القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر اللّه الحنبلىّ من دمشق بأسوإ حال، و قدم أيضا قاضى قضاة دمشق علاء الدين على بن أبى البقاء الشافعىّ، و حضر كتاب تيمور لنك للسلطان على يد بعض المماليك السلطانيّة يتضمّن طلب أطلمش، و أنه إذا قدم عليه أرسل من عنده من الأمراء و النوّاب و غيرهم، و قاضى القضاة صدر الدين المناوى الشافعى، و يرحل عن دمشق، فطلب أطلمش من البرج بالقلعة، و أطلق و أنعم عليه بخمسة آلاف درهم، و أنزل عند الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير، و عيّن للسفر معه قطلوبغا العلائى، و الأمير محمد بن سنقر.

ثم خرج إلى تيمور الأمير بيسق الشيخى الأمير آخور رسولا من السلطان بالإفراج عن أطلمش و أشياء أخر، هذا و يلبغا السالمى يجدّ فى تحصيل الأموال، و أخذ فى عرض أجناد الحلقة، و ألزم من كان منهم قادرا على السفر بالخروج إلى الشام لقتال تيمور، و ألزم العاجز عن السفر بحضور بديل، أو تحصيل نصف مغلّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۰

فى السّنة، و ألزم أرباب الغلال المحضّرة للبيع فى المراكب بسواحل القاهرة أن يؤخذ منهم عن كلّ إردب درهم [و أن يؤخذ من كلّ مركب من المراكب التى تسير فيها الناس مائة درهم].

ثم فى يوم الثلاثاء أوّل شهر رجب أمر السالمىّ أن تضرب دنانير مازنة الدينار مائة مثقال و مثقال، و منها ما زنته تسعون مثقالا و مثقال، ثم ما دون ذلك، إلى أن وصل منها دينار زنته عشرة مثاقيل، فضرب من ذلك جملة دنانير.

ثم فى ثالثه خلع السلطان على علم الدين يحيى بن أسعد المعروف بأبى كمّ باستقراره وزيرا بديار مصر عوضا عن فخر الدين ماجد بن غراب.

ثم ورد الخبر أن دمرداش المحمّدى نائب حلب تخلّص من تيمور، و جمع جموعا من التركمان، و أخذ حلب و قلعتها من التمريّة، و قتل منهم جماعة كبيرة.

ثم خلع السلطان على شاهين الحلبى نائب مقدّم المماليك باستقراره فى تقدمة المماليك السلطانية عوضا عن صواب المعروف بچنكل، و استقرّ الطواشى فيروز من جرجى مقدّم الرّفرف نائب المقدّم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۱

ثم حضر فى سابع شهر رجب من عربان البحيرة إلى خارج القاهرة ستّة آلاف فارس، و حضر من عربان الشرقيّة من عرب ابن بقر ألفان و خمسمائة فارس، و من العيساويّة و بنى وائل ألف و خمسمائة فارس، فأنفق فيهم يلبغا السالمى الأموال ليتجهّزوا لحرب تيمور.

ثم حضر فى ثامنه قاصد الأمير نعير، و ذكر أنه جمع عربانا كثيرة و نزل بهم على تدمر، و أنّ تمرلنك رحل من ظاهر دمشق إلى القطيفة.

هذا و قد التفت أهل الدولة إلى يلبغا السالمى و العمل فى زواله حتى تمّ لهم ذلك.

فلما كان رابع عشر شهر رجب المذكور قبض على يلبغا السالمى و على شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة أستادار الوالد الذى كان ولى الوزر قبل تاريخه، و سلّما لسعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبهما على الأموال المأخوذة من الناس فى الجبايات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۲

قلت: فصار حاله كالمثل السائر «أفقرنى فيمن أحبّ و لا استغنى».

ثم فى ثامن عشره استقرّ سعد الدين إبراهيم بن غراب المذكور أستادارا عوضا عن السالمى مضافا لما بيده من وظيفتى نظر الجيش و الخاصّ.

ثم فى خامس شعبان برز الأمراء المعيّنون للسفر لقتال تيمور بمن عيّن معهم من المماليك السلطانيّة و أجناد الحلقة إلى ظاهر القاهرة، و هم الّذين كانوا بالقاهرة فى غيبة السلطان بدمشق، و تقدّم الجميع الأمير تمراز الناصرىّ الظاهرىّ أمير مجلس، و الأمير آقباى من حسن شاه الظاهرى حاجب الحجّاب، و من أمراء الطبلخانات: الأمير جرباش الشيخى، و الأمير تمان تمر و الأمير صوماى الحسنى، و امتنع الأمير جكم من السّفر.

و فى اليوم قدم الأمير شيخ المحمودىّ نائب طرابلس فارّا من أسر تيمور إلى الديار المصرية، و أخبر برحيل تيمور إلى بلاده، فرسم السلطان بإبطال السفر، و رجع كل أمير إلى داره من خارج القاهرة.

ثم فى الغد قدم دقماق المحمّدى نائب حماة فارّا أيضا من تيمور.

و فيه طلب الوالد و خلع عليه باستقراره فى نيابة دمشق ثانيا على كره منه، و كانت شاغرة من يوم قدوم تيمور دمشق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۳

ثم أخلع على الأمير شيخ المحمودى باستقراره فى نيابة طرابلس على عادته، و على الأمير دقماق المحمّدى باستقراره فى نيابة حماة على عادته.

ثم أخلع السلطان على الأمير تمربغا المنجكى باستقراره فى نيابة صفد و على الأمير تنكزبغا الحططى بنيابة بعلبكّ.

ثم نودى بالقاهرة ألّا يقيم بها أحد من الأعاجم، و أمهلوا ثلاثة أيّام، و هدّد من تخلّف منهم بالقاهرة، فلم يخرج أحد، و أكثر الناس من الكتابة فى الحيطان:

«من نصرة الإسلام، قتل الأعجام»، كل ذلك و أحوال مصر غير مستقيمة.

و أما البلاد الشاميّة فحصل بها جراد عظيم بعد خروج اللّنك منها، فزادت خرابا على خراب.

قلت: و لنذكر هنا نبذة يسيرة من أخبار تيمور لنك و نسبه و كثرة عساكره و عظم دهائه و مكره؛ ليكون الناظر فى هذا الكتاب على علم من أخباره و أحواله، و إن كان فى ذلك نوع تطويل و خروج عن المقصود، فهو لا يخلو من فائدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۴

فنقول: هو تمرلنك و قيل تيمور؛ كلاهما بمعنى واحد، و الثانى أفصح. [و هو] باللغة التركية الحديد بن أيتمش قنلغ بن زلكى بن سنيا بن طارم طربن طغريل بن قليج ابن سنقور بن كنجك بن طغر سبوقا بن التاخان المغولىّ الأصل التركىّ من طائفة جغتاى الطاغية تيمور، كوركان، أعنى باللغة العجمية صهر الملوك.

مولده سنة ثمان و عشرين و سبعمائة بقرية تسمّى خواجا أيلغار من عمل كشّ أحد مدائن ما وراء النهر، و بعد هذه البلدة عن مدينة سمرقند يوم واحد، و يقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۵

إنه رؤى يوم ولد كأن شيئا يشبه الخوذة تراءى طائرا فى جوّ السماء، ثم وقع إلى الأرض فى فضاء كبير، فتطاير منه جمر و شرر حتى ملأ الأرض. و قيل: إنه لما خرج من بطن أمّه وجدت كفّاه مملوءتين دما، فوجدوا أنه تسفك على يديه الدماء.

قلت: و كذا وقع.

و قيل: إن والده كان إسكافا. و قيل: بل كان أميرا عند السلطان حسين صاحب مدينة بلخ، و كان أحد أركان دولته، و إن أمه من ذريّة جنكزخان.

و قيل: كان للسلطان حسين المذكور أربعة وزراء، فكان أبو تيمور أحدهم، و ولى تيمور بعد موته مكانه عند السلطان حسين. و أصل تيمور من قبيلة برلاص.

و قيل: إن أوّل ما عرف من حال تيمور أنه كان يتجرّم، فسرق فى بعض الليالى غنمة و حملها ليهرب بها، فانتبه الراعى و ضربه بسهم فأصاب كتفه، ثم ردفه بآخر فلم يصبه، ثم بآخر فأصاب فخذه و عمل فيه الجرح الثانى الذى فى فخذه حتى عرج منه؛ و لهذا سمى تمرلنك، لأن «لنك» باللغة العجميّة أعرج، و أما اسمه الحقيقىّ ف (تمر) بلا «لنك»، فلما أعرج [تمر] أضيف إليه «لنك».

و لما تعافى أخذ فى التجرّم على عادته و قطع الطريق، و صحبه فى تجرّمه جماعة عدّتهم أربعون رجلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۶

و كان تيمور لنك يقول لهم فى تلك الأيام: لا بد أن أملك الأرض و أقتل ملوك الدنيا؛ فيسخر منه بعضهم، و يصدّقه البعض، لما يرونه من شدّة حزمه و شجاعته.

و قيل: إنه تاه فى بعض تجرّماته مدّة أيام إلى أن وقع على خيل السلطان حسين المقدّم ذكره، فأنزله الجشارىّ صاحب مرج الخيل

عنده، و عطف علیه و آواه و أتی إلیه بما یحتاجه من طعام و شراب. و کان لتیمور معرفة تامّة فی جیاد الخیل فأعجب الجشاریّ منه ذلک، فاستمرّ به عنده إلی أن أرسل معه بخیول إلی السلطان حسین و عرّفه به، فأنعم علیه و أعاده إلی الجشاری، فلم یزل عنده حتّی مات، فولّاه السلطان حسین عوضه علی جشاره، و لا زال یترقّی بعد ذلک من وظیفة إلی أخری حتی عظم و صار من جملة الأمراء. و تزوّج بأخت السلطان حسین، و أقام معها مدّة إلی أن وقع بینهما فی بعض الأیّام کلام، فعایرته بما کان علیه من سوء الحال، فقتلها و خرج هاربا، و أظهر العصیان علی السلطان حسین، و استفحل أمره، و استولی علی ما وراء النهر، و تزوّج ببنات ملوکها، فعند ذلک لقّب ب «بکورکان»، و قد تقدم الکلام علی اسم کورکان. و لا زال أمره ینمو و أعماله تتّسع إلی أن خافه السلطان حسین، و عزم علی قتاله، و بلغه ذلک فخرج هاربا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۷

ثم قوی أمره بعد سنة ستّین و سبعمائة، فلمّا کثر عسکره بعث إلی ولاة بلخشان و کانا أخوین قد ملکا بعد موت أبیهما یدعوهما إلی طاعته؛ فأجاباه، و کانت المغل قد نهضت من جهة الشرق علی السلطان حسین، و کان کبیرهم الخان قمر الدین فتوجّه السلطان حسین إلیهم و قاتلهم، فأرسل تیمور یدعوهم إلیه، فأجابوه و دخلوا تحت طاعته، فقویت بهم شوکته.

ثم قصده السلطان حسین ثانیا فی عسکر عظیم حتی وصل إلی ضاغلغا، و هو موضع ضیّق یسیر الراکب فیه ساعة، و فی وسطه باب إذا أغلق و أحمی لا یقدر علیه أحد، و حوله جبال عالیة، فملک العسکر فم هذا الدّربند من جهة سمرقند، و وقف تیمور بمن معه علی الطریق الآخر، و فی ظن العسکر أنهم حصروه و ضیقوا علیه، فترکهم و مضی فی طریق مجهولة، فسار لیلة فی أو عار مشقة حتی أدرکهم فی السحر و قد شرعوا فی تحمیل أثقالهم، علی أن تیمور قد انهزم و هرب خوفا منهم، فأخذ تیمور یکیدهم بأن نزل هو و من معه عن خیولهم [و ترکوها ترعی فی تلک المروج و ناموا کأنهم من جملة العسکر فمرت بهم خیولهم] و هم یظنون أنهم منهم قد قصدوا الراحة، فلما تکامل مرور العسکر رکب تیمور بمن معه أقفیتهم، و هم یصیحون و أیدیهم تدقهم دقا بالسیوف، فاختبط الناس و انهزم السلطان حسین بمن معه لا یلوی أحد علی أحد، حتی وصل إلی بلخ فاحتاط تمر [لنک] علی ما کان معه، و لمّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۸

من بقی من العسکر علیه، فعظم جمعه، و کثر ماله، و استولی علی الممالک، و لا زال حتی قبض علی السلطان حسین بعد أن أمّنه و قتله، فهذا أوّل عظمته.

و الثانیة واقعته مع تقتمش خان ملک التتار، فإنه لما واقعه بأطراف ترکستان قریبا من نهر خجند، و اشتد الحرب بینهما و کثرت القتلی فی عسکر تیمور حتی کادت تفنی، و عزم تیمور علی الهزیمة، فإذا هو بالمعتقد السید الشریف برکة قد أقبل علی تیمور، فقال له تیمور و قد جهده البلاء: یا سیّدی جیشی انکسر، فقال له السید الشریف برکة المذکور: لا تخف، ثم نزل عن فرسه و تناول کفّا من الحصی ثم رکب فرسه و رمی بها فی وجوه جیش تقتمش و صرخ قائلا بأعلی صوته «یاغی قجتی». یعنی باللّغة الترکیة العدوّ هرب، فصرخ بها أیضا تیمور کمقالة الشریف برکة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۹

فامتلأت آذان التمریة بصرختهما و أتوه بأجمعهم بعد ما کانوا ولّوا هاربین، فکّر بهم تیمور ثانیا فی عسکر تقتمش و ما منهم أحد إلا و هو یصرخ «یاغی قجتی»، فانهزم عند ذلک عسکر تقتمش خان و رکبت التمریة أقفیتهم و غنموا منهم من الأموال ما لا یدخل تحت حصر، فاستولی علی غالب بلاد تقتمش خان.

و الثالثة واقعته مع شیره علی صاحب مازندران و کیلان و بلاد الریّ و العراق و کسره و قبض علیه و قتله و ملک جمیع بلاده، ثم قصته مع شاه شجاع صاحب شیراز و تزوّج بنت شاه شجاع لابن تیمور، و مهادنة شاه شجاع له إلی أن مات شاه شجاع، و اختلفت أولاده و قوی شاه منصور علی اخوته فمشی علیه تیمور هذا، فلقیه شاه منصور فی ألفی فارس لا غیر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۰

و شاه منصور هذا هو أفرس من قاتل تیمور من الملوک بلا مدافعة، فإنه برز إلیه فی ألفی فارس و عساکر تیمور نحو المائة ألف.

و عند ما برز له شاه منصور فر من عسکره أمیر یقال له محمد بن أمین الدین إلی تیمور بأکثر العساکر، فبقی شاه منصور فی أقل من ألف فارس، فقاتل بهم تیمور یومه إلی اللیل.

ثم مضی کل من الفریقین إلی معسکره، فرکب شاه منصور فی اللیل و بیّت التمریة، فقتل منهم نحو العشرة آلاف فارس.

ثم انتخب شاه منصور من فرسانه خمسمائة فارس، فأصبح و قاتل بهم من الغد و قصد بهم تیمور حتی أزاله عن موقفه، و هرب تیمور و اختفی بین حرمه، فأحاط بهم التمریة مع کثرة عددهم و هو یقاتلهم حتی کلّت یداه و قتلت أبطاله، فانفرد عن أصحابه و ألقی نفسه بین القتلی، فعرفه بعض التمریة فقتله، و أتی برأسه إلی تیمور، فقتل تیمور قاتله أسفا علیه. و استولی تیمور أیضا علی جمیع ممالک العجم بأسرها بعد شاه منصور.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۱

هذا و قد استوعبنا واقعة شاه منصور بأوسع من ذلک فی تاریخنا (المنهل الصافی).

إذ هو کتاب تراجم.

ثم أخذ تیمور فی الاستیلاء علی مملکة بعد مملکة حتی ملک العراقین، و هرب منه السلطان أحمد بن أویس، و أخرب غالب العراق: مثل بغداد و البصرة و الکوفة و أعمالهم، ثم ملک غالب أقالیم دیار بکر، و أخرب بها أیضا عدّة بلاد.

ثم قصد البلاد الشامیّة فی سنة ثمان و تسعین و سبعمائة، ثم رجع خائفا من الملک الظاهر برقوق إلی بلاده، فبلغه موت فیروز شاه ملک الهند عن غیر ولد، و أن أمر الناس بمدینة دلّی فی اختلاف، و أنه جلس علی تخت الملک بدلّی وزیر یقال له ملّو

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۲

فخالف علیه أخو فیروز شاه، و اسمه سارنک خان متولّی مدینة مولتان، فلمّا سمع تیمور هذا الخبر اغتنم الفرصة و سار من سمرقند فی ذی الحجّة سنة ثمانمائة إلی مولتان و حاصر ملکها سارنک خان ستّة أشهر، و کان فی عسکر سارنک خان ثمانمائة فیل حتی ملکها.

ثم سار تیمور إلی مدینة دلّی و هی تخت الملک، فخرج لقتاله صاحبها ملّو المذکور و بین یدیه عساکره و معهم الفیلة، و قد جعل علی کلّ فیل برجا فیه عدّة من المقاتلة، و قد ألبست تلک الفیلة العدد و البرکستوانات، و علّق علیها من الأجراس و القلاقل ما یهول صوته لیجفل بذلک خیول الجغتای، و شدّوا فی خراطیمها عدّة من السیوف المرهفة، و سارت عساکر الهند من وراء الفیلة لتنفّر هذه الفیلة خیول التمریة بما علیها، فکادهم تیمور و حسب حسابهم بأن عمل آلافا من الشوکات الحدید مثلّثة الأطراف، و نثرها فی مجالات الفیلة، و جعل علی خمسمائة جمل أحمال قصب محشوّة بالفتائل المغموسة بالدّهن، و قدّمها أمام عسکره، فلمّا تراءی الجمعان و زحف الفریقان للحرب، أضرم تیمور فی تلک الأحمال النار و ساقها علی الفیلة.

فرکضت تلک الأباعر من شدّة حرارة النار، ثم نخسها سوّاقوها من خلف. هذا و قد کمن تیمور کمینا من عسکره.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۳

ثم زحف بعساکره قلیلا [قلیلا] وقت السحر. فعندما تناوش القوم للقتال لوی تیمور رأس فرسه راجعا یوهم القوم أنه قد انهزم منهم و یکفّ عن طریق الفیلة کأنّ خیوله قد جفلت منها، و قصد المواضع التی نثر فیها تلک الشوکات الحدید التی صنعها، فمشت حیلته علی الهنود، و مشوا بالفیلة و هم یسوقونها خلفه أشدّ السّوق حتی داست علی تلک الشوکات الحدید، فلما وطئتها نکصت علی أعقابها.

ثم التف تیمور بعساکره علیها بتلک الجمال، و قد عظم لهیبها علی ظهورها، و تطایر شررها فی تلک الآفاق، و شنع زعاقها من شدّة النخس فی أدبارها.

فلما رأت الفیلة ذلک جفلت و کرّت راجعة علی العسکر الهندی، فأحست بخشونة الشوکات التی طرحها تیمور فی طریقها، فبرکت و

صارت فى الطريق كالجبال مطروحة على الأرض لا تستطيع الحركة، و سالت أنهار من دمائها؛ فخرج عند ذلك الكمين [من عسكر تيمور] من جنبى عسكر الهنود، ثم حطم تيمور بمن معه فتراجعت الهنود و تراموا بالسهام.

ثم إنهم تضايقوا و تقاتلوا بالرماح ثم بالسيوف و الأطبار، و صبر كلّ من الفريقين زمانا طويلا، إلى أن كانت الكسرة على الهنود بعد ما قتل أعيانهم و أبطالهم، و انهزم باقيهم بعد أن ملّوا من القتال، فركب تيمور أقفيتهم حتى نزل [على] مدينة دلّى و حصرها [مدّة حتى] أخذها [من جوانبها] بعد مدّة عنوة، و استولى على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۴

تخت ملكها و استصفى ذخائرها، و فعلت عساكره فيها على عادتهم القبيحة من الأسر و السّبى و القتل و النّهب و التخريب.

و بينما هم فى ذلك بلغ تيمور موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، و موت القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس من بلاد الروم، فرأى تيمور أنه بعد موتهما ظفر بمملكتيهما، و كان أن يطير بموتهما فرحا، فنجز أمره و ولّى مسرعا بعد أن استناب بالهند من يثق به من أمرائه، و سار حتى وصل سمرقند، ثم خرج منها عجلا فى أوائل سنة اثنتين و ثمانمائة، فنزل خراسان.

ثم مضى منها إلى تبريز فاستخلف بها ابنه ميران شاه، ثم سار حتى نزل قرا باغ [فى سابع عشر] شهر ربيع الأوّل، فقتل و سبى، ثم رحل منها و نزل تفليس [فى يوم الخميس ثانى] جمادى الآخرة و عبر بلاد الكرج، و أسرف فيها أيضا فى القتل و السبى، ثم قصد بغداد ففرّ منه [صاحبها] السلطان أحمد بن أويس [فى ثامن عشر شهر رجب] إلى قرا يوسف فعاد تيمور من بغداد و صيّف ببلاد التركمان ثم سار إلى [ماردين فعصى صاحبها عليه الملك الظاهر مجد الدين عيسى، فتركه تيمور و مضى إلى]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۵

سواس و قد أخذها الأمير سليمان بن أبى يزيد بن عثمان، فحصرها تيمور ثمانية عشر يوما حتى أخذها فى خامس المحرّم من سنة ثلاث و ثمانمائة، و قبض على مقاتلتها و هم ثلاثة آلاف نفر، فحفر لهم سردابا و ألقاهم فيه و طمّهم بالتراب بعد ما كان حلف لهم ألّا يريق لهم دما و قال: أنا على يمينى ما أرقت لهم دما، ثم وضع السيف فى أهل البلد و أخربها حتى محا رسومها.

ثم سار إلى بهسنا فنهب ضواحيها و حصر قلعتها ثلاثة و عشرين يوما حتى أخذها، و مضى إلى ملطية فدكّها دكّا، و سار حتى نزل قلعة الروم فلم يقدر عليها، فتركها و قصد عين تاب، ففرّ منه نائبها الأمير أركماس الظاهرى، و هو غير أركماس الدّوادار فى الدولة الأشرفية.

ثم قصد حلب و وقع له بها و بدمشق ما تقدّم ذكره إلى أن خرج من البلاد الشاميّة.

و كان رحيله عن دمشق فى يوم السبت ثالث شعبان من سنة ثلاث و ثمانمائة المذكورة، و اجتاز على حلب و فعل بها ما قدر عليه ثانيا، ثم سار منها حتى نزل على ماردين يوم الاثنين عاشر شهر رمضان من السنة، و وقع له بها أمور، ثم رحل عنها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۶

و أوهم أنه يريد سمرقند يورّى بذلك عن بغداد، و كان السلطان أحمد بن أويس قد استناب ببغداد أميرا يقال له فرج، و توجّه هو و قرا يوسف نحو بلاد الروم، فندب تيمور على حين غفلة أمير زاده رستم و معه عشرون ألفا لأخذ بغداد.

ثم تبعه بمن بقى معه و نزل على بغداد، و حصرها حتى أخذها عنوة فى يوم عيد النحر من السنة، و وضع السيف فى أهل بغداد.

حدّثنى الأمير أسنباى الزّردكاش الظاهرى برقوق- و كان أسر عند تيمور و حظى عنده، و جعله زرد كاشه عند أخذ بغداد و حصارها- بأشياء مهولة، منها أنه لمّا استولى على بغداد ألزم جميع من معه أن يأتيه كلّ واحد منهم برأسين من رءوس أهل بغداد، فوقع القتل فى أهل بغداد و أعمالها، حتى سالت الدماء أنهارا، حتى أتوه بما أراد، فبنى من هذه الرءوس مائة و عشرين مئذنة، فكانت عدّة من قتل فى هذا اليوم من أهل بغداد تقريبا مائة ألف إنسان. و قال المقريزى: تسعين ألف إنسان، و هذا سوى من قتل فى أيّام الحصار، و سوى من قتل فى يوم دخول تيمور إلى بغداد، و سوى من ألقى نفسه فى الدّجلة فغرق، و هو أكثر من ذلك.

قال: و كان الرجل المرسوم له بإحضار رأسين إذا عجز عن رأس رجل قطع رأس امرأة من النساء و أزال شعرها و أحضرها، قال: و كان بعضهم يقف بالطرقات و يصطاد من مرّ به و يقطع رأسه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۷

ثم رحل تيمور من بغداد و سار حتى نزل قراباغ بعد أن جعلها دكّا خرابا، ثم كتب إلى أبى يزيد بن عثمان صاحب الروم أن يخرج السلطان أحمد بن أويس و قرا يوسف من ممالك الروم و إلّا قصده و أنزل به ما نزل بغيره، فردّ أبو يزيد جوابه بلفظ خشن إلى الغاية، فسار تيمور إلى نحوه، فجمع أبو يزيد بن عثمان عساكره من المسلمين و النصارى و طوائف التّتر.

فلمّا تكامل جيشه سار لحربه، فأرسل تيمور قبل وصوله إلى التتار الذين مع أبى يزيد بن عثمان يقول لهم: نحن جنس واحد، و هؤلاء تركمان ندفعهم من بيننا، و يكون لكم الروم عوضهم، فانخدعوا له و واعدوه أنهم عند اللقاء يكونون معه.

و سار أبو يزيد بن عثمان بعساكره على أنه يلقى تيمور خارج سيواس، و يردّه عن عبور أرض الروم، فسلك تيمور غير الطريق، و مشى فى أرض غير مسلوكة، و دخل بلاد ابن عثمان، و نزل بأرض مخصبة وسيعة، فلم يشعر ابن عثمان إلّا و قد نهبت بلاده. فقامت قيامته و كرّ راجعا، و قد بلغ منه و من عسكره التعب مبلغا أوهن قواهم، و كلّت خيولهم، و نزل على غير ماء، فكادت عساكره أن تهلك، فلمّا تدانوا للحرب كان أوّل بلاء نزل بابن عثمان مخامرة التتار بأسرها عليه، فضعف بذلك عسكره، لأنّهم كانوا معظم عسكره، ثم تلاهم ولده سليمان و رجع عن أبيه عائدا إلى مدينة برصا بباقى عسكره، فلم يبق مع أبى يزيد إلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۸

نحو خمسة آلاف فارس، فثبت بهم حتى أحاطت به عساكر تيمور، و صدمهم صدمة هائلة بالسيوف و الأطبار حتى أفنوا من التمرية أضعافهم، و استمرّ القتال بينهم من ضحى يوم الأربعاء إلى العصر، فكلّت عساكر ابن عثمان، و تكاثروا التمرية عليهم يضربونهم بالسيوف لقلّتهم و كثرة النّمرية، فكان الواحد من العثمانية يقاتله العشرة من التمرية، إلى أن صرع منهم أكثر أبطالهم، و أخذ أبو يزيد بن عثمان أسيرا قبضا باليد على نحو ميل من مدينة أنقرة، فى يوم الأربعاء سابع عشرين ذى الحجّة سنة أربع و ثمانمائة بعد أن قتل غالب عسكره بالعطش، فإن الوقت كان ثامن عشرين أبيب بالقبطىّ و هو تموز بالروميّ، و صار تيمور يوقف بين يديه فى كل يوم ابن عثمان و يسخر منه و ينكيه بالكلام، و جلس تيمور مرّة لمعاقرة الخمر مع أصحابه و طلب ابن عثمان طلبا مزعجا، فحضر و هو يرسف فى قيوده و هو يرجف، فأجلسه بين يديه و أخذ يحادثه، ثم [وقف تيمور] و سقاه من يد جواريه اللّائى أسرهنّ تيمور، ثم أعاده إلى محبسه.

ثم قدم على تيمور إسفنديار أحد ملوك الروم بتقادم جليلة، فقبلها و أكرمه و ردّه إلى مملكته [بقسطمونية]، هذا و عساكر تيمور تفعل فى بلاد الروم و أهلها تلك الأفعال المقدّم ذكرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۹

و أما أمر سليمان بن أبى يزيد بن عثمان، فإنه جمع المال الذى كان بمدينة برصا، و جميع ما كان فيها و رحل إلى أدرنة و تلاحق به الناس، و صالح أهل إستانبول، فبعث تيمور فرقة كبيرة من عساكره صحبة الأمير شيخ نور الدين إلى برصا فأخذوا ما وجدوا بها، ثم تبعهم هو أيضا بعساكره.

ثم أفرج تيمور عن محمد و عن أولاد ابن قرمان من حبس أبى يزيد بن عثمان، و خلع عليهما و ولّاهما بلادهما، و ألزم كلّ واحد منهما بإقامة الخطبة، و ضرب السّكّة باسمه و اسم السلطان محمود خان المدعو صرغتمش.

ثم شتا فى معاملة منتشا و عمل الحيلة فى قتل التتار الّذين أتوه من عسكر ابن عثمان حتى أفناهم عن آخرهم.

و أما أبو يزيد بن عثمان، فإنه استمر فى أسر تيمور من ذى الحجّة سنة أربع، إلى أن مات بكربته و قيوده، فى أيام من ذى القعدة سنة خمس و ثمانمائة، بعد أن حكم ممالك الروم نحو تسع سنين.

و كان من أجلّ الملوك حزما و عزما و شجاعة، رحمه اللّه تعالى. و هو المعروف ببلدرم بايزيد.

ثم توجّه تيمور من بلاد الروم و قد تعلّقت آماله بأخذ بلاد الصين، فأخذه اللّه قبل أن يصل، و لولا خشية الإطالة لذكرنا أمره و ما وقع له بطريق الصين إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۰

أن توفّى [لعنه اللّه] و لكن أضربنا عن ذلك خشية الإطالة، و أيضا قد ذكرناه فى ترجمته فى (المنهل الصافى) مستوفاة، فلتنظر هناك.

و كانت وفاة تيمور فى يوم الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع و ثمانمائة و هو نازل بالقرب من أترار، و أترار بالقرب من آهنگران، و معنى آهنگران باللغة العربية الحدّادون.

و لما مات لبسوا عليه المسوخ، و لم يكن معه أحد من أولاده سوى حفيده سلطان خليل بن ميران شاه بن تيمور، فتسلطن موضع جدّه تيمور فى حياة والده ميران شاه المذكور، فاستولى خليل المذكور على خزائن جدّه و بذل الأموال، و تم أمره. انتهى ما أوردناه من قصة تيمور لنك على سبيل الاختصار.

و لنعد إلى ما نحن بصدده من ترجمة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق [رحمه اللّه].

و لما كان يوم الأحد أوّل شوّال أفرج السلطان عن الأمير يلبغا السالمى و هو متضعّف بعد ما عصر و أهين إهانة بالغة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۱

و فى هذه الأيّام كثر احتراز الأمراء بعضهم من بعض، و تحدّث الناس بإثارة فتنة.

ثم فى سابع شوّال المذكور استقرّ الأمير طولو من على باشاه الظاهرى فى نيابة إسكندرية عوضا عن الأمير أرسطاى، و استقر الأمير بشباى من باكى الظاهرى حاجبا ثانيا على خبز سودون الطيّار، إمرة طبلخاناه، و استقر كلّ من سودون الطيار و ألطنبغا من سيدى حجّابا بحلب لأمر اقتضى ذلك.

ثم استدعى السلطان الأمراء بقلعة الجبل، و قال لهم: قد كتبنا مناشير جماعة من الخاصكية بأمريّات ببلاد الشام من أوّل شهر رمضان، فلم لا يسافروا؟ و كلّ ذلك بتعليم يشبك الدوادار، فقال الأمير نوروز الحافظى ما فى هذا مصلحة، إذا أرسل السلطان هؤلاء من يبقى عنده من مماليك أبيه الأعيان؟ و وافق نوروز سودون المارداني. فقال السلطان: من ردّ مرسومى فهو عدوّى، فسكت الأمراء و أمر السلطان بالمناشير أن تبعث إلى أربابها.

فلما نزلت إليهم امتنعوا من السفر، و منهم من ردّ منشوره، فغضب السلطان و أصبح الجماعة يوم الأحد، و قد اتفقوا مع الأمراء و ساروا للأمير نوروز الحافظى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۲

و تحدّثوا معه فى عدم سفرهم، فاعتذر إليهم، و بعثهم لسودون المارداني رأس نوبة النوب فحدّثوه فى ذلك، و ما زالوا به حتى ركب للأمير يشبك الشعباني الدوادار و حدّثه فى ألّا يسافروا، فأغلظ يشبك فى ردّ الجواب عليه، و هدّدهم بالتوسيط إن امتنعوا من السفر.

ثم أمره أن يطلع إلى السلطان و يسأله فى [ذلك فطلع سودون المارداني إلى السلطان]، و سأله فى إعفائهم من السفر، و أعلمه أنه قد اتفق منهم نحو الألف تحت القلعة، و هم مجتمعون، فبعث السلطان إليهم بعض الخاصكيّة يقول لهم: نحن ما خلّيناكم بلا رزق بل عملناكم أمراء، فما هو إلّا أن نزل إليهم و كلّمهم فى ذلك، ثاروا عليه و سبّوه ثم ضربوه حتى كاد يهلك، فبينما هم فى ضربه، و إذا بالأمير قطلوبغا الحسنى الكركى و الأمير آقباى الكركى الخازندار نزلا من القلعة، فمال عليهم المماليك يضربونهم بالدّبابيس إلى أن سقط قطلوبغا الكركى، و تكاثر عليه مماليكه و حملوه إلى بيته، و نجا آقباى الكركى الخازندار و التجأ إلى بيت الأمير يشبك الدوادار، و ماجت البلد و غلّقت الأسواق، فنودى بعد العصر من اليوم المذكور بطلوع الأمراء و المماليك السلطانيّة فى الغد إلى القلعة، و من لم يطلع حلّ ماله و دمه للسلطان.

ثم طلع الأمير يشبك، و نوروز الحافظى، و آقباى الكركى الخازندار، و قطلوبغا الكركى إلى القلعة بعد عشاء الآخرة، و باتوا بالقلعة إلّا نوروزا فإنّه أقام معهم ساعة عند السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۳

ثم نزل إلى داره و طلع أيضا فى الليل غالب المماليك السلطانية.

و أصبحوا يوم الاثنين تاسع شوال، فطلع جميع الأمراء و المماليك إلا الأمير جكم من عوض، و سودون الطيّار، و قانّى باى العلائى، و قرقماس الأينالى، و جمق و تمربغا المشطوب، فى عدّة من المماليك السلطانية الأعيان، منهم يشبك العثمانى، و قمج و برسبغا و طرباى و بقية خمسمائة مملوك، و الجميع لبسوا السلاح و آلة الحرب و وقفوا تحت القلعة حتى تضحّى النهار. ثم مضوا إلى بركة الحبش و نزلوا عليها.

و أما أهل القلعة، فإن يشبك بعث فى الحال نقيب الجيش إلى الشيخ لاچين الجركسى أحد الأجناد، فقبض عليه و حمله إلى بيت آقباى حاجب الحجّاب، فوكّل به آقباى من أخرجه من القاهرة إلى بلبيس ليسافر إلى الشام.

ثم قبض على سودون الفقيه، أحد دعاة الشيخ لاچين، و أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها.

و استمرّ الأمير جكم و رفقته ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء، فاستدعى الأمير يشبك سائر الأمراء، فلما صاروا بالقلعة وكّل بهم من يحفظهم، فاستمرّوا على ذلك حتى مضى جانب من الليل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۴

ثم نزل الطلب إلى الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من السلطان ليطلع إلى عند الأمراء، و فى عزمهم أنه إذا طلع قبضوا عليه، فمّ لسودون طاز بعض الخاصكية يسمّى قانى باى، و قال له: فز بنفسك؛ فلم يكذّب سودون طاز الخبر، و أخذ الخيول السلطانية التى بالإسطبل السلطانى، و ركب بمماليكه، و سار حتى لحق بالأمير جكم ببركة الحبش، و بلغ السلطان ذلك، فارتجّ القصر السلطانىّ، و قام كلّ أمير و نزل إلى داره و لبس آلة الحرب بمماليكه، و دقّت الكوسات و طلعوا إلى القلعة.

فلما أصبح نهار الأربعاء نزل السلطان من القصر إلى الإسطبل، و بعث إلى الأمير جكم من عوض بأن يتوجّه إلى صفد نائبا بها، فزدّ جكم الجواب «نحن مماليك السلطان، و هو أستاذنا و ابن أستاذنا، و لو أراد قتلنا ما خالفناه، غير أننا لنا غرماء يدعنا نحن و إيّاهم، ثم بعد ذلك مهما أراد السلطان يفعل فينا، فنحن بين يديه». فلمّا عاد الرسول بذلك بكى الأمير يشبك الدوادار، و تكلم هو و الأمير آقباى الكركى الخازندار و قطلوبغا الكركى مع السلطان، و دار بينهم كلام كثير، حتى بعث السلطان بالأمير نوروز الحافظى و القاضى الشافعى و ناصر الدين المعلّم الرمّاح أمير آخور إلى الأمير جكم فى طلب الصلح، فنزلوا إليه و كلّموه فى ذلك، فامتنع جكم من الصلح هو و من معه و قالوا: لابدّ لنا من غرمائنا، و أخذوا عندهم الأمير نوروز الحافظى، و عاد القاضى الشافعى و ناصر الدين الرمّاح بالجواب، فعند ذلك قال السلطان ليشبك: دونك و غرماءك؛ فطلب يشبك المساعدة من السلطان عليهم، فلم يفعل، فنزل يشبك إلى داره و قد اختلّ أمره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۵

ثم عاد إلى القلعة ليطلع إلى السلطان فلم يمكّن منها، و تخلّى عنه المماليك السلطانية؛ فلم تكن غير ساعة حتى أقبل جكم و سودون طاز و نوروز فى عددهم و أصحابهم.

و صاحب الموكب نوروز و جكم عن يساره، و سودون طاز عن يمينه، و ساروا نحو يشبك، فنادى يشبك: «من قاتل معى من المماليك السلطانية فله عشرة آلاف درهم» فأتاه طائفة، و خرج من بيته و صفّ عساكره، فحمل عليه نوروز بمن معه، و صدمه صدمة واحدة كسره فيها؛ فانهزم إلى داره و قاتل بها ساعة، ثم هرب منها، فنهبت داره و دار قطلوبغا الكركىّ.

و كان بيت يشبك دار منجك اليوسفى الملاصقة لمدرسة [السلطان] حسن و هى الآن على ملك تمربغا الظاهرى الدوادار، و دار

قطلوبغا [الكركى] البيت الذى تجاهه، و قبض على آقباى الكركى الخازندار، فشفع فيه السلطان، فترك فى داره إلى يوم الخميس ثانى عشره، فركب الأمير جكم إليه، و أخذه و طلع به إلى الإسطبل السلطانىّ و قيّده.

ثم قبض على الأمير قطلوبغا الكركى الحسنى من بيت الأمير يلبغا الناصرى و قيّده.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۶

ثم قبض على جركس القاسمى المصارع من عند سودون الجلب، و قيّده و بعث الثلاثة إلى الإسكندرية، و الثلاثة أمراء ألوف من أصحاب يشبك، و سافروا إلى الإسكندرية فى ليلة السبت رابع عشر شوّال المذكور من سنة ثلاث و ثمانمائة، و كتب جكم بإحضار سودون الفقيه من الإسكندرية.

و سودون الفقيه هذا هو حمو الملك الظاهر ططر، و جدّ الملك الصالح محمد ابن ططر الآتى ذكرهما. و طلب جكم الأمير يشبك الشعبانى الدوادار فلم يقدر عليه إلى ليلة الاثنين سادس عشره دلّ عليه أنه فى تربة بالقرافة، فنزل إليه جكم فلمّا أحيط بيشبك [و هو] فى التربة المذكورة ألقى نفسه من مكان مرتفع، فشجّ جبينه، و قبض عليه الأمير جكم، و أحضره إلى بيت الأمير نوروز الحافظى، فقيّد و سيّر من ليلته إلى الإسكندرية فسجن بها.

و فى يوم الاثنين خلع على سعد الدين إبراهيم بن غراب باستمراره [فى وظائفه] و هو أحد أصحاب يشبك بعد أن اجتهد غاية الاجتهاد فى رضا جكم عليه فلم يقدر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۷

ثم فى ثامن عشره أخلع السلطان على الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس باستمراره على نيابته، و هى خلعة السفر، و كان له من يوم قدم من أسر تيمور بالقاهرة فى عمل مصالحه، و كذلك الأمير دقماق نائب صفد خلع عليه خلعة السفر.

و كان دقماق أولا نائب حماة، ثم صار الآن فى نيابة صفد، و أذن لهما بالسفر إلى محلّ كفالتهما.

و فى تاسع عشره خلع السلطان الملك الناصر على الأمير جكم باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن يشبك الشعبانى، بحكم حبسه بالإسكندرية، و على سودون من زاده باستقراره خازندارا، عوضا عن آقباى الكركى، و على أرغون من يشبغا باستقراره شادّ الشراب خاناه، عوضا عن قطلوبغا الكركى، و أخلع على بيسق الشيخى خلعة إمرة الحاج على العادة، و رسم له أن يقيم بعد انقضاء الحجّ بمكّة لعمارة ما بقى من المسجد الحرام.

ثم فى سادس عشرين شوّال أخلع السلطان على الأمير يونس الحافظى باستقراره فى نيابة حماة بعد عزل الأمير عمر بن الهيدبانى، و فى هذا اليوم أنعم على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۸

الأمير جكم من عوض الدوادار بإقطاع يشبك الشعبانى الدوادار، و على سودون الطيّار بإقطاع الأمير جكم، و أنعم بإقطاع آقباى الكركىّ على قانى باى العلائى، و بإقطاع قطلوبغا الكركى على تمربغا من باشاه المعروف بالمشطوب، و بإقطاع جركس القاسمى المصارع على سودون من زاده بستّين فارسا.

ثم فى أوّل ذى القعدة ألزم سعد الدين بن غراب بتجهيز نفقة المماليك السلطانية، فالتزم أن يحمل منها مائة ألف دينار، و ألزم الوزير ناصر الدين محمد بن سنقر، و تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، و يلبغا السالمى بمائة ألف دينار، فشرع الجميع فى تجهيزها.

ثم قبض على السالمى و صودر، و عذّب بأنواع العذاب، ثم أفرج عنه بعد مدّة، و استمرّ الحال على أن جكم صار متحدّثا فى المملكة.

ثم فى رابع ذى الحجة اختفى سعد الدين بن غراب، و أخوه فخر الدين ماجد، و لم يعرف خبرهما. فاستقرّ ناصر الدين محمد بن سنقر فى الأستداريّة، عوضا عن سعد الدين بن غراب، مضافا لما معه من الذخيرة و الأملاك.

ثم استعفى سودون من زاده من وظيفة الخازندارية، و أخلع على الوزير علم الدين أبى كمّ باستقراره فى نظر الخاصّ مضافا على الوزر

عوضا عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۹

؟؟؟ الدين بن غراب، و أخلع على سعد الدين بن أبى الفرج بن بنت الملكى، صاحب ديوان الجيش، و استقرّ فى نظر الجيش عوضا عن ابن غراب.

ثم فى تاسع ذى الحجة ورد كتاب مشايخ تروجة يتضمن قدوم سعد بن غراب إليهم، و معه مثال سلطانىّ باستخراج الأموال، و مسيرهم معه إلى الإسكندريّة لإخراج يشبك و الأمراء من سجن الإسكندرية، و إحضارهم إلى القاهرة. فأخلع السلطان على رسولهم، و كتب على يده مثالا سلطانيّا بالقبض على ابن غراب و من معه، و إرسالهم إلى القاهرة. ثم قدم كتاب نائب الإسكندرية بأن سعد الدين ابن غراب طلب زعران الإسكندرية، فخرج إليه أبو بكر المعروف بعلام الخدّام بالزّعر إلى تروجة، فأعطى لكل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم، و قرّر معهم قتل النائب، فبلغ ذلك النائب، فلما قدموا إلى الإسكندرية قبض على جماعة منهم و قتل بعضهم و قطع أيدى بعضهم، و ضرب علّام الخدّام بالمقارع، و أنه أيضا ظفر بكتاب ابن غراب لبعض تجار الإسكندرية، و فيه أن يجتمع بالنائب و يؤكّد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۰

عليه ألّا يقبل ما يرد عليه من أمراء مصر فى أمر يشبك الدوادار و من معه من الأمراء، و أن يجعل باله لا يجرى عليه مثل ما جرى على ابن عرّام فى قتله الأمير بركة.

ثم وردت كتب مشايخ تروجة بسؤال الأمان لابن غراب، فكتب له السلطان أمانا، و كتب الأمراء ما خلا الأمير جكم، فإنه كتب إليه كتابا و لم يكتب إليه أمانا، فقدم إلى القاهرة فى حادى عشرينه فى الليل، و نزل عند صديقه جمال الدين يوسف أستادار بجاس، و هو يومئذ أستادار الأمير سودون طاز أمير آخور، فتحدّث له مع سودون طاز و أوصله إليه، فأكرمه و أنزله عنده يومى الثلاثاء و الأربعاء، حتى استرضى له الأمراء، و أحضره فى يوم الخميس ثالث عشرينه إلى مجلس السلطان، و خلع عليه باستقراره فى وظائفه القديمة: الأستادارية، و نظر الجيش، و الخاص.

و نزل إلى بيت الأمير جكم الدوادار، فمنعه جكم من الدخول إليه و ردّه و ما زال يسعى ابن غراب حتى دخل إليه مع الأمير سودون من زادة، و قبّل يده فلم يكلّمه كلمة، و أعرض عنه، فلم يزل حتى أرضاه بعد ذلك، ثم فى يوم الخميس سلخ ذى الحجة أنفق ابن غراب تتمّة النفقة على المماليك السلطانية.

فأعطى كل واحد ألف درهم، و عند ما نزل من القلعة أدركه عدّة من المماليك السلطانية و رجموه بالحجارة يريدون قتله، فبادر إلى بيت الأمير نوروز و استجار به حتى أجاره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۱

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۴]

ثم فى محرم سنة أربع و ثمانمائة، كتب الأمراء بمصر لأمراء دمشق بالقبض على الوالد، فكتب للوالد بذلك بعض أعيان أمراء مصر، فسبق ذلك المثال السلطانى، فركب الوالد من دار السعادة بدمشق فى نفر من مماليكه فى ليلة الجمعة ثانى عشرين المحرم و خرج إلى حلب، فتعين لنيابة دمشق عوضا عن الوالد، الأمير آقبغا الجمالى الأطروش أتابك دمشق و كتب بانتقال دقماق نائب صفد إلى نيابة حلب، عوضا عن دمرداش المحمّدى بحكم عصيانه و انضمامه على الوالد لمّا قدم عليه من دمشق، و استقر الأمير تمربغا المنجكى فى نيابة صفد عوضا عن دقماق.

و أما الوالد رحمه اللّه فإنه لمّا سار إلى حلب وجد الأمير دمرداش نائب حلب قد قبض على الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر أمير التركمان، فأمره الوالد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۲

بإطلاقه، فاطلقه، و اتفق الجميع على الخروج عن طاعة السلطان بسبب من حوله من الأمراء، و اجتمع عليهم خلائق من التركمان و غيرهم على ما سيأتى ذكره.

ثم وقع بين أمراء مصر، و هو أن سودون الحمزاوى وقع بينه و بين أكابر الأمراء، مثل نوروز، وجكم، و سودون طاز، و تمربغا المشطوب، و قانى باى العلائى، فانقطعوا الجميع عن الخدمة السلطانية من أول صفر، و عزموا على إثارة فتنة، فلبس سودون الحمزاوى آلة الحرب فى داره، و اجتمع عليه من يلوذ به.

و كان الأمراء المذكورون، قد عيّنوا قبل ذلك للخروج من ديار مصر ثمانية انفس، و هم سودون الحمزاوى المذكور، و سودون بقجة و هما من أمراء الطبلخانات و رءوس نوب، و أزبك الدوادار، و سودون بشتو و هما من أمراء العشرات، و قانى باى الخازندار، و بردبك و هما من الخاصكية، و آخرين، و لما لبس الحمزاوى مشت الرسل بينهم فى الصلح إلى أن وقع الاتفاق على خروج سودون الحمزاوى إلى نيابة صفد، و إقامة الباقين بمصر من غير حضورهم إلى الخدمة السلطانية.

ثم فى سابع عشرين صفر المذكور، أخلع على سودون الحمزاوى بنيابة صفد و بطل ولاية تمربغا المنجكى من صفد.

و فى هذا الشهر، حضر الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد كان، و الأمير عمر ابن الطحّان نائب غزّة كان، من أسر تيمور لنك، و ذكرا أنّهما فارقاه من أطراف بغداد.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۳

ثم فى يوم الاثنين نصف شهر ربيع الأوّل من سنة أربع و ثمانمائة، طلع الأمير نوروز الخدمة السلطانية، بعد ما انقطع عنها زيادة على شهر، فخلع عليه خلعة الرضا.

ثم فى ثامن عشره، طلع الأمير جكم من عوض الدوادار الخدمة بعد ما انقطع عنها مدّة شهرين و خلع عليه أيضا، هذا و دقماق نائب حلب، و أقبغا الأطروش نائب الشأم فى الاستعداد و جمع التركمان و العشير لقتال الوالد و دمرداش.

ثم خرج الوالد و دمرداش من حلب إلى ظاهرها لانتظار دقماق و قتاله.

ثم إن السلطان فى شهر ربيع الآخر أخلع على جمق رأس نوبة باستقراره دوادارا ثانيا عوضا عن چركس المصارع، و كانت شاغرة من يوم مسك چركس المذكور، و استقرّ مبارك شاه الحاجب وزيرا عوضا عن علم الدين يحيى المعروف بأبى كمّ، و قبض على أبى كم و سلّم لشادّ الدواوين للمصادرة.

و فى العشر الأخير من هذا الشهر استقر جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى قاضى قضاة الديار المصرية بعد عزل القاضى ناصر الدين الصالحى، و هذه أول ولاية جلال الدين البلقينى.

ثم فى ثامن جمادى الأولى استقر الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد كان، فى نيابة غزّة عوضا عن الأمير صرق بعد عزله.

ثم ابتدأت الفتنة بين الأمراء، و طال الأمر و انقطع جكم و نوروز عن الخدمة السلطانية أياما كثيرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۴

و دخل شهر رمضان و انقضى، و لم يحضروا الهناء بالعيد، و لا صلّوا صلاة العيد مع السلطان.

و استهلّ شوّال فقويت فيه القالة بين الأمراء، و أرجف بوقوع الحرب غير مرّة.

فلما كان يوم الجمعة ثانى شوّال ركب الأمراء للحرب بالسلاح، و نزل الملك الناصر إلى الإسطبل السلطانىّ عند سودون طاز الأمير أخور، و ركب الأمير نوروز وجكم و خصمهما سودون طاز، و وقع الحرب بينهم من بكرة النهار إلى العصر.

فلما كان آخر النّهار بعث السلطان بالخليفة المتوكّل على اللّه و القضاة الأربعة إلى الأمير نوروز فى طلب الصّلح، فلم يجد نوروز بدّا من الصلح و ترك القتال، و خلع عنه آلة الحرب، فكف الأمير جكم أيضا عن الحرب، و كان ذلك مكيدة من سودون طاز، فإنه

خاف أن يغلب و يسلمه السلطان إلى أخصامه، فتمّت مكيدته بعد ما كاد أن يؤخذ، لقوّة نوروز و جكم بمن معهما من الأمراء و الخاصكيّة، و سكنت الفتنة، و بات الناس فى أمن و سكون.

فلما كان يوم السبت ركب الخليفة و القضاة، و حلّفوا الأمراء بالسمع و الطاعة للسلطان، فطلع الأمير نوروز إلى الحدمة فى يوم الاثنين خامس شوّال، و خلع عليه السلطان، و أركبه فرسا بسرج ذهب و كنبوش زركش.

ثم طلع الأمير جكم فى ثامنه و هو خائف و لم يطلع قانى باى و لا قرقماس، و طلبا فلم يوجدا فجهز إليهما خلعتان، على أن يكون قانى باى نائبا بحماه، و قرقماس حاجبا بدمشق، و نزل جكم بغير خلعة فكاد أن يهلك لكونه لم يخلع عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۵

و عند ما جلس بداره نزل إليه جرباش الشيخى رأس نوبة، و بشباى الحاجب الثانى يطلبان قانى باى منه ظنا أنه اختفى عنده، فأنكر أن يكون عنده و صرفهما بجواب ملفّق.

ثم ركب من ليلته بمن معه من الأمراء و المماليك و أعيانهم قمش الخاصكى الخازندار، و يشبك الساقى، و هو الذى صار أتابكا فى دولة الأشرف برسباى، و يشبك العثمانى، و ألطنبغا جاموس، و جانيباى الطيبى، و برسبغا الدوادار، و طرباى الدوادار، و ساروا الجميع إلى بركة الحبش خارج القاهرة، و لحق بهم فى الحال قانى باى، و قرقماس الرماح، و أرغز، و قبجق، و نحو الخمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، و غيرهم و أقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة السبت عاشر شوال فأتاهم الأمير نوروز، و سودون من زاده رأس نوبة، و تمربغا المشطوب، فى نحو الألفين من المماليك السلطانية و غيرهم، و أقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء رابع عشر شوال، و أمرهم فى زيادة و قوّة، بمن يأتيهم أوّلا بأوّل من الأمراء و المماليك السلطانية.

و فى الليلة المذكورة، دبّر سودون طاز أمره و طلع إلى السلطان، و أنزله إلى الإسطبل السلطانىّ و بات به.

فلمّا أصبح بكرة يوم الأربعاء المذكور، ركب السلطان فيمن معه من الأمراء و الخاصكية و نزل من القلعة، و سار نحو بركة الحبش من باب القرافة، بعد ما نادى فى أمسه بالعرض، و اجتمع إليه جميع عساكره، و قد صف سودون طاز عساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۶

السلطان، فلما قارب بركة الحبش، ركب نوروز و جكم بمن معهما أيضا، من الأمراء و المماليك السلطانية، فصدمهم سودون طاز بالعسكر السلطانىّ صدمه كسرهم فيها، و أسر الأمير تمربغا المشطوب، و سودون من زاده، و على بن إينال و أرغز، و هرب نوروز و جكم فى عدّة كثيرة من الأمراء و المماليك إلى بلاد الصعيد، و عاد السلطان و معه الأمراء و سودون طاز مظفّرا منصورا، و قيّد سودون طاز الأمراء الممسوكين، و بعثهم إلى الإسكندرية فى ليلة السبت سابع عشره، و سار نوروز و جكم إلى أن وصلا إلى منية القائد، ثم عادوا إلى طموه و نزلوا على ناحية منبابة، من برّ الجيزة تجاه بولاق، و طلب الأمير يشبك الشعبانى الدوادار من سجن الإسكندرية، فقدم يوم الاثنين تاسع عشره إلى قلعة الجبل، و معه خلائق ممن خرج إلى لقائه، فقبّل الأرض و نزل إلى داره، كل ذلك و الأمراء بالجيزة.

فلما كان ليلة الثلاثاء عشرين شوّال ركب الأمير نوروز نصف الليل و عدّى النيل، و حصر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس، و كان قد تحدّث هو و إينال باى من قجماس مع السلطان فى أمر نوروز حتى أمّنه و وعده بنيابة دمشق، و كان ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۷

أيضا من مكر سودون طاز، فمشى ذلك على نوروز و حضر، فاختلّ عند ذلك أمر جكم، و تفرّق منه من كان معه، و صار فريدا، فكتب إلى الأمير بيبرس الأتابك يسأله فى الحضور، فبعث إليه الأمير أزبك الأشقر رأس نوبة، و الأمير بشباى الحاجب، و قدما به ليلة الأربعاء حادى عشرين شوّال إلى باب السلسلة من الإسطبل السلطانى؛ فتسلمه عدوّه الأمير سودون طاز، و أصبح و قد حضر الأمير يشبك و سائر الأمراء للسلام عليه، فلما كانت ليلة الخميس ثانى عشرينه، قيّد و حمل إلى الإسكندرية، فسجن بها فى البرج الذى كان

سجن يشبك الدوادار فيه، و سكن يشبك مكانه و على إقطاعه بعد ما حبس بالإسكندرية نحوا من سنة، و استقرّ دوادارا على عادته عوضا عن جكم المذكور؛ على ما سيأتى ذكره.

و أما أمر البلاد الشأميّة فإن دقماق جمع جموعه من العساكر و التركمان لقتال الوالد و دمرداش نائب حلب، و سار إلى جهة الوالد، فخرج إليه الوالد و على مقدّمته دمرداش، و صدموه صدمة واحدة انكسر فيها بجموعه و ولّوا الأدبار، و نهب ما معهم. و عاد دقماق منهزما إلى دمشق، و استنجد بنائبها الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، و كتب أيضا دقماق لجميع نوّاب البلاد الشامية بالحضور و القيام بنصرة السلطان، و جمع من التركمان و العربان جمعا كبيرا، و خرج معه غالب العساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۸

الشأمية، و عاد إلى جهة حلب بعساكر عظيمة، و الوالد و دمرداش فى مماليكهم لا غير؛ مع جدب البلاد الحلبية، و خراب قراها، فإنه عقيب توجه تيمور بسنة واحدة و أشهر.

فلما قارب دقماق بعساكره حلب أشار دمرداش على الوالد بالتوجه إلى بلاد التركمان من غير قتال، فقال الوالد لا بدّ من قتالنا معه، فإن انتصرنا و إلا توجهنا إلى بلاد التركمان بحق، فتوجّها لدقماق بمماليكهما، و قد صف دقماق عساكره و اقتتلا قتالا شديدا، و ثبت كل من الفريقين و قد أشرف دقماق على الهزيمة.

و بينما هو فى ذلك خرج من عسكر الوالد و دمرداش جماعة إلى دقماق، فانكسرت عند ذلك الميمنة.

ثم انهزم الجميع إلى نحو بلاد التركمان، فلم يتبعهم أحد من عساكر دقماق، و ملك دقماق حلب، و استمرّ الوالد و دمرداش ببلاد التركمان؛ على ما سيأتى ذكره.

و أما ما وقع بمصر فإنه لما حبس جكم من عوض بالإسكندرية، أخلع على نوروز الحافظى فى بيت بيبرس فى يوم الأربعاء بنيابة دمشق، و توجه إلى داره.

فلما كان من الغد فى يوم الخميس قبض عليه و حمل إلى باب السلسلة فقيد به و حمل من ليلته، و هى ليلة الجمعة ثالث عشرين شوال إلى الإسكندرية، فسجن بها، و غضب لذلك الأميران بيبرس الأتابك، و إينال باى من قجماس، و تركا طلوع الخدمة السلطانية أياما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۱۲؛ ص۲۸۸

أرضيا و طلعا إلى الخدمة، و راحت على نوروز، و اختفى الأمير قانى باى العلائى و قرقماس الرمّاح، فلم يعرف خبرهما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۹

فلما كان يوم الاثنين ثالث ذى القعدة، أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز على الأمير إينال العلائى المعروف بحطب رأس نوبة بعد أن أخرجوا منه النحريرية.

و أنعم السلطان بإقطاع قانى باى العلائى على الأمير علّان جلّق، و بإقطاع تمربغا المشطوب على الأمير بشباى الحاجب الثانى، فلم يرض به، فاستقر باسم قطلوبغا الكركى، و كان إقطاعه قبل حبسه بالإسكندرية، و هو إلى الآن لم يحضر من سجن الإسكندرية. و بقى بشباى على طبلخانته.

و أنعم بإقطاع جكم من عوض على الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، و هو إقطاعه أيضا قبل حبسه بالإسكندرية.

و أنعم على الأمير بيغوت بإمرة طبلخاناة، و على أسنبغا المصارع بإمرة طبلخاناة و على سودون بشتا بإمرة طبلخاناة.

ثم فى سادس ذى القعدة، قدم الأمراء من سجن الإسكندرية من أصحاب يشبك، و هم الأمير آقباى طاز الكركى الخازندار، و قطلوبغا الحسنى الكركى و چركس القاسمى المصارع، و صعدوا إلى القلعة، و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان ثم نزلوا إلى بيوتهم، ثم رسم السلطان بانتقال الأمير شيخ المحمودى الساقى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، بعد عزل الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، و توجّهه إلى القدس بطّالا.

و لما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة لعب الأمراء الكرة فى بيت الأتابك بيبرس، فاجتمع على باب بيبرس من المماليك السلطانية نحو الألف مملوك يريدون الفتك بسودون طاز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۰

و عند ما خرج سودون طاز من بيت بيبرس هموا به، فتحاوطته أصحابه و مماليكه، و ساق سودون حتى لحق بباب السلسلة، و امتنع بالإسطبل السلطانى حيث هو سكنه، و وقع كلام كثير. ثم خمدت الفتنة.

فلما كان رابع عشرينه، خلع السلطان على الأمير يشبك الشعبانى باستقراره دوادارا على عادته، عوضا عن الأمير جكم من عوض بحكم حبسه.

ثم فى يوم السبت رابع عشر ذى الحجة خلع السلطان على الأمير آقباى الكركى باستقراره خازندارا على عادته.

ثم فى سلخ ذى الحجة استقر الأمير جمق الدوادار الثانى فى نيابة الكرك، و استقر الأمير علّان جلّق أحد مقدّمى الألوف بديار مصر فى نيابة حماة، بعد عزل يونس الحافظى، فشقّ ذلك على سودون طاز.

ثم كتب للأمير دمرداش أمانا، و أنه يستقر فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير شيخ المحمودى المنتقل إلى نيابة دمشق، و كتب للأمير على بك بن دلغادر بنيابة عين تاب، و للأمير عمر بن الطحان بنيابة ملطية.

و كانت الأخبار وردت بجمع التركمان و نزولهم مع دمرداش إلى حلب، و أن دقماق نائب حلب اجتمع معه نائب حماة و الأمير نعير، و أن تيمور لنك نازل على مدينة سيواس، و لم يحجّ أحد فى هذه السنة من الشام و لا من العراق.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۵]

و فى يوم ثالث المحرم من سنة خمس و ثمانمائة أنعم السلطان بإقطاع علان جلّق المستقر فى نيابة حماة على الأمير چركس القاسمى المصارع، و بإقطاع جمق المستقر فى نيابة الكرك على آقباى الكركىّ الخازندار، و زيد عليه قرية سمسطا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۱

هذا و الكلام يكثر بين الأمراء و المماليك، و الناس فى تخوّف من وقوع فتنة.

فلما كان سابع المحرم نزل الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من الإسطبل السلطانى بأهله و مماليكه إلى داره، و عزل نفسه عن الأمير آخوريّة، و صار من جملة الأمراء.

ثم فى هذا الشهر قدم الوالد إلى دمشق بأمان كان كتب له من قبل السلطان مع كتب جميع الأمراء.

فلما وصل إلى دمشق خرج الأمير شيخ المحمودى إلى تلقّيه، حتى عاد معه إلى دمشق و أنزله بالقرمانية، و أكرمه غاية الإكرام بحيث إنه جاءه فى يوم واحد ثلاث مرات.

ثم خرج الوالد بعد أيام من دمشق يريد الديار المصرية، فخرج الأمير شيخ أيضا لوداعه، و سار حتى وصل [إلى] مصر فى سلخ المحرم. بعد ما خرج الأمراء إلى لقائه، و طلع إلى القلعة، و قبّل الأرض بين يدى السلطان، فأخلع السلطان عليه كاملّية بمقلب سمّور، و أركبه فرسا بسرج ذهب و كنبوش زركش.

ثم نزل إلى داره و معه سائر الأمراء؛ و ظهر الأمير قرقماس الرّماح، فشفع فيه الوالد، فإنه كان أنّبه، فقبل السلطان شفاعته.

و أما أمر سودون طاز، فإنه أقام بداره إلى ليلة الاثنين ثالث عشر صفر من سنة خمس و ثمانمائة المذكورة، خرج من القاهرة بمماليكه و حواشيه إلى المرج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۲

و الزيات بالقرب من خانقاه سرياقوس ليقيم هناك حتى يأتيه من وافقه و يركب على أخصامه و يقهرهم و يعود إلى وظيفته.

و كان خبر سودون طاز أنه لما وقع بينه و بين يشبك أولا و صار من حزب نوروز و جكم و قبضوا على يشبك و أصحابه من الأمراء و سجنوا بثغر الاسكندرية حسبما تقدم ذكره، صار تحكّم مصر له و يشاركه فى ذلك نوروز و جكم فثقلا عليه، و أراد أن يستبدّ بالأمر و النهى وحده، فدبّر فى إخراجهما حتى تم له ذلك، ظنا منه أنه ينفرد بالأمر بعدهما، فانتدب إليه يشبك الشعبانى الدوادار و أصحابه لما كان فى نفوسهم منه قديما بعد مجيئهم من حبس الاسكندرية، لأنه كان انحصر لخروجهم من الحبس.

و كان الملك الناصر يميل إلى يشبك و قطلوبغا الكركى، لأنّ كل واحد منهما كان لالته.

و كان الأمير آقبای طاز الكركى الخازندار يعادى سودون طاز قديما و يقول «طاز واحد يكفى بمصر، فأنا طاز و هو طاز ما تحملنا مصر» و اتفقوا الجميع عليه، و ظاهرهم السلطان فى الباطن، فتلاشى أمر سودون طاز لذلك، و ما زالوا فى التدبير عليه حتى نزل من الإسطبل السلطانى، خوفا على نفسه من كثرة جموع يشبك الدوادار، و جرأة آقبای الخازندار الكركى؛ فعندما نزل ظن أن السلطان يقوم بناصره، فلم يلتفت السلطان إليه، و أقام هذه المدّة من جملة الأمراء،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۳

فشق عليه عدم تحكمه فى الدولة، و كفه عن الأمر و النهى، و كان اعتاد ذلك، فخرج لتأتيه المماليك السلطانية و غيرهم، فإنه كان له عليهم أياد و إحسان زائد عن الوصف- ليحارب بهم يشبك و طائفته، و يخرجهم من الديار المصرية، أو يقبض عليهم كما فعل أوّلا و يستبدّ بعدهم بالأمر، فجاء حساب الدهر غير حسابه، و لم يخرج إليه أحد غير أصحابه الذين خرجوا معه، و أخلع السلطان على الأمير إينال باى من قجماس باستقراره عوضه أمير آخورا كبيرا فى يوم الاثنين عشرين صفر، و بعث السلطان إلى سودون طاز بالأمير قطلوبغا الكركى يأمره بالعود على إقطاعه و إمرته من غير إقامة فتنة، و إن أراد البلاد الشأمية فله ما يختاره من النيابات بها، فامتنع من ذلك و قال: لا بدّ من إخراج آقبای طاز الكركى الخازندار أوّلا إلى بلاد الشام، فلم يوافق السلطان على إخراج آقبای، و بعث إليه ثانيا بالأمير بشباى الحاجب الثانى فلم يوافق، فبعث إليه مرة ثالثة فلم يرض، و أبى إلا ما قاله أوّلا من إخراج آقبای، فلما يئس السلطان منه ركب بالعساكر من قلعة الجبل، و نزل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۴

جميع عساكره بالسلاح و آلة الحرب فى يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الأوّل، فلم يثبت سودون طاز، و رحل بمن معه و هم نحو الخمسمائة من المماليك السلطانية و مماليكه، و قد ظهر الأمير قانى باى العلائى و لحق به من نحو عشرة أيام، و صار من حزبه، فتبعه السلطان بعساكره و هو يظن أنه توجه إلى بلبيس.

و كان سودون عند ما وصل إلى سرياقوس نزل من الخليج و مضى إلى جهة القاهرة و عبر من باب البحر بالمقس، و توجّه إلى الميدان، و هجم قانى باى العلائى فى عدّة كبيرة على الرّميلة تحت القلعة ليأخذ باب السلسلة، فلم يقدر على ذلك، و مر السلطان الملك الناصر و هو سائق على طريق بلبيس، و تفرّقت عنه العساكر و تاهوا فى عدّة طرق.

و بينما السلطان فى ذلك بلغه أن سودون طاز توجه إلى نحو القاهرة و هو يحاصر قلعة الجبل، فرجع بأمرائه مسرعا يريد القلعة حتى وصل إليها بعد العصر، و قد بلغ منه و من عساكره التعب مبلغا عظيما، و نزل السلطان بالمقعد المطلّ على الرّميلة من الإسطبل بباب السلسلة، و ندب الأمراء و المماليك لقتال سودون طاز، فقاتلوه فى الأزقّة طعنا بالرّماح ساعة فلم يثبت، و انهزم بمن معه، و قد جرح من الفريقين جماعة كثيرة، و حال الليل بينهم، و تفرّق أصحاب سودون طاز عنه، و توجّه كلّ واحد إلى داره، و بات السلطان و من معه على تخوّف، و أصبح من الغد فلم يظهر لسودون طاز و لا قانى باى خبر، و دام ذلك إلى الليل، فلم يشعر الأمير يشبك و هو جالس بداره بعد عشاء الآخرة إلا و سودون طاز دخل عليه فى ثلاثة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۵

أنفس، و ترامى عليه، فقبله و زاد فى إكرامه و أنزله عنده، و أصبح يوم الجمعة كتب سودون طاز وصيّته و أقام بدار يشبك إلى ليلة

الأحد عاشره، فأنزل فى حرّاقة و توجه إلى [ثغر] دمياط بطّالا بغير قيد، و رتّب له بها ما يكفيه، بعد أن أنعم عليه الأمير يشبك بألف دينار مكافأة له على ما كان سعى فى أمره حتّى أخرجه من حبس الإسكندرية و عوّده إلى وظيفته و إبقائه فى قيد الحياة، فإن جكم الدوادار كان أراد قتله عند ما ظفر به، و حبسه بالإسكندرية لولا سودون طاز هذا.

و أمّا قانى باى هذا فإنه اختفى ثانيا فلم يعرف له خبر، و سكنت الفتنة.

فلمّا كان خامس عشرين شهر ربيع الأوّل قدم الأمير سودون الحمزاوى نائب صفد إلى القاهرة باستدعاء من السلطان صحبة الطواشى عبد اللطيف اللّالا بسعى الأمير آقباى طاز الكركى الخازندار فى ذلك لصداقة كانت بينهما.

و اخلع السلطان على الأمير شيخ السليمانى شاد الشراب خاناه، و استقرّ فى نيابة صفد عوضا عن سودون الحمزاوى، و أنعم السلطان على سودون الحمزاوى بإمرة مائة و تقدمة ألف بالقاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۶

ثم أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة و تقدمة [ألف]، و أزيد مدينة أبيار من الديوان المفرد، و رسم له أن يجلس رأس ميسرة.

ثم أخرج الأمير قرقماس الرمّاح إلى دمشق على إقطاع الأمير صرق. و أخلع السلطان على سودون الحمزاوى المعزول عن نيابة صفد باستقراره شادّ الشراب خاناه عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن المنتقل إلى نيابة صفد، فلم يقم سودون الحمزاوى فى المشدية إلا أياما، و مرض صديقه الأمير آقباى الكركى الخازندار و مات، فولّى الخازندارية عوضه فى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة.

ثم فى ليلة الأربعاء ثالث عشرين [جمادى الآخرة] غمز على قانى باى العلائى فى دار فكبس عليها، و أخذ منها، و قيّد و حمل إلى الإسكندرية.

و فى هذه الأيام ورد الخبر أن سودون طاز خرج من ثغر دمياط يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة فى طائفة، و أنه اجتمع عليه جماعة كبيرة من العربان و المماليك، فندب السلطان لقتاله الوالد و الأمير تمراز الناصرى أمير مجلس و سودون الحمزاوى فى عدة أمراء أخر، و خرجوا من القاهرة، فبلغهم أنه عند الأمير [علم الدين سليمان بن] بقر بالشرقية جاءه ليساعده على غرضه، فعند ما أتاه أرسل [ابن] بقر إلى الأمراء يعلمهم بأن سودون طاز عنده، فطرقه الأمراء و قبضوا عليه و أحضروه إلى القلعة فى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۷

ثم أصبح السلطان فى يوم الخميس أول شهر رجب، سمّر خمسة من المماليك السلطانية ممن كان مع [الأمير] سودون طاز، أحدهم سودون الجلب الآتى ذكره فى عدة أماكن، ثم جانبك القرمانى حاجب حجّاب زماننا هذا، فاجتمع المماليك السلطانية لإقامة الفتنة بسببهم: و تكلّم الأمراء مع السلطان فى ذلك، فخلّى عنهم، و قيّدوا و سجنوا بخزانة شمائل، و نفى سودون الجلب إلى قبرس بلاد الفرنج من الإسكندرية.

ثم فى ثالث شهر رجب حمل سودون طاز مقيّدا إلى الإسكندرية، و سجن بها عند غريمه الأمير جكم من عوض الدوادار.

و فى هذا الشهر و رد الخبر من دمشق أنه أقيمت الجمعة بالجامع الأموى و هو خراب، و كان بطّل منه صلاة الجمعة من بعد كائنة تيمور، و أن الأمير شيخا المحمودى نائب دمشق سكن بدار السعادة بعد أن عمرت، و كانت حرقت أيضا فى نوبة تيمور، و أن سعر الذهب زاد عن الحدّ، فأجيب: بأن الذهب [قد] زاد سعره بمصر أيضا، حتى صار سعر المثقال الهرجة بخمسة و ستين درهما، و الدينار المشخّص، بستّين درهما.

ثم عقد السلطان للأمير سودون الحمزاوى على أخته خوند زينب بنت الملك الظاهر برقوق، و عمرها نحو الثمان سنين، فصارت أخوات السلطان الثلاث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۸

كل واحدة مع أمير من أمرائه، فخوند سارّة زوجة الأمير نوروز الحافظى، و خوند بيرم زوجة الأمير إينال باى بن قجماس، و خوند زينب و هى أصغر هن مع سودون الحمزاوى هذا.

ثم فى يوم الاثنين سادس عشرين شهر رجب أخلع السلطان على قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستقراره فى قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد أن عزل القاضى أمين الدين عبد الوهاب الطرابلسى بسفارة الوالد لصحبة كانت بينهما من حلب.

ثم فى ليلة الثلاثاء سابع عشرين شهر رجب المذكور أرسل السلطان إلى الإسكندرية الأمير أقبردى و الأمير تنبك من الأمراء العشرات فى ثلاثين مملوكا من المماليك السلطانية، فوصلوها فى تاسع شعبان، و أخرجوا الأمير نوروز الحافظى، و جكم من عوض، و سودون طاز، و قانى باى العلائى من سجن الإسكندرية و أنزلوهم فى البحر المالح، و ساروا بهم إلى البلاد الشأمية، فحبس نوروز وقانى باى فى قلعة الصّبيبة من عمل دمشق. و حبس جكم فى حصن الأكراد من عمل طرابلس، و حبس سودون طاز فى قلعة المرقب، و لم يبق بسجن الإسكندرية من الأمراء غير سودون من زاده، و تمربغا المشطوب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۹

ثم حوّل جكم بعد مدّة إلى قلعة المرقب عند غريمه سودون طاز.

ثم فى ثامن عشر شوّال خلع السلطان على الأمير بكتمر الرّكنى أمير سلاح باستقراره رأس نوبة الأمراء عوضا عن نوروز الحافظى، و استقرّ الأمير تمراز الناصرىّ أمير مجلس عوضه أمير سلاح، و استقرّ سودون المارداني رأس نوبة النّوب أمير مجلس عوضا عن تمراز، و استقرّ سودون الحمزاوى رأس نوبة النوب عوضا عن سودون المارداني، و أخلع السلطان على الأمير طوخ باستقراره خازندارا عوضا عن سودون الحمزاوى.

ثم فى خامس عشرين ذى القعدة أفرج عن سعد الدين إبراهيم بن غراب و أخيه فخر الدين ماجد، و كان السلطان قبض عليهما من شهر رمضان، و ولّى وظائفهما جماعة، و استمرّا فى المصادرة إلى يومنا هذا، و كان الإفراج عنهما بعد ما التزم سعد الدين بن غراب بحمل ألف ألف درهم [فضة] و فخر الدين بثلاثمائة ألف درهم، و نقلا إلى السالمىّ ليستخرج الأموال منهما ثم يقتلهما.

و كان ابن قايماز أهانهما و ضرب فخر الدين و أهانه، فلم يعاملهما السالمىّ [بمكروه] و لم ينتقم منهما، و خاف سوء العاقبة، فعاملهما من الاحسان و الإكرام بما لم يكن ببال أحد، و ما زال يسعى فى أمرهما حتى نقلا من عنده لبيت شادّ الدّواوين ناصر الدين محمد بن جلبان الحاجب، و هذا بخلاف ما كانا فعلا مع السالمىّ، فكان هو المحسن و هم المسيئون.

ثم أخلع السلطان على يلبغا السالمىّ باستقراره أستادارا، و عزل ابن قايماز، و هذه ولاية يلبغا السالمىّ الثانية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۰

ثم فى سابع ذى الحجّة من سنة خمس أخرج السلطان الأمير أسنبغا المصارع، و الأمير نكباى الأزدمرى و هما من أمراء الطبلخاناه بمصر إلى دمشق، و إينال المظفّرى و آخر. و هما من الأمراء العشرات، و رسم للاربعة بإقطاعات هناك، لأمر اقتضى ذلك، فساروا إلى القلعة.

فلما كان يوم تاسع عشرين ذى الحجّة أغلق المماليك السلطانيّة باب القصر من قلعة الجبل على من حضر من الأمراء، و عوّقوهم بسبب تأخّر جوامكهم، فنزل الأمراء من باب السرّ، و لم يقع كبير أمر، و أمر السلطان ليلبغا السالمىّ أن ينفق عليهم فنفق عليهم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۶]

ثم فى يوم الثلاثاء رابع المحرّم من سنة ستّ و ثمانمائة عزل يلبغا السالمى عن الأستادارية، و أعيد إليها ركن الدين عمر بن قايماز، و قبض على السالمى و سلّم إليه.

ثم فى ثامنه أخلع السلطان على الصاحب علم الدين يحيى أبى كمّ و استقرّ فى الوزارة و نظر الخاصّ معا عوضا عن تاج الدين بن

البقرى و استقر ابن البقرى على ما بيده من وظيفتى نظر الجيش و نظر ديوان المفرد، فلم يباشر أبو كمّ الوزر غير ثمانية أيام و هرب و اختفى، فأعيد تاج الدين بن البقرى إليها، هذا و السالمىّ فى المصادرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۱

و فى هذه السنة كان الشراقى العظيم بمصر، و عقبه الغلاء المفرط ثم الوباء، و هذه السنة هى أوّل سنين الحوادث و المحن التى خرّب فيها معظم الديار المصرية و أعمالها، من الشراقى، و اختلاف الكلمة، و تغيير الولاة بالأعمال و غيرها.

ثم فى شهر ربيع الأول كتب بإحضار دقماق نائب حلب، و فيه اختفى الوزير تاج الدين بن البقرى، فخلع على سعد الدين بن غراب و استقر فى وظيفتى الأستادارية و نظر الجيش، و صرف ابن قايماز، و خلع على تاج الدين رزق اللّه و أعيد إلى الوزارة.

و فى خامس صفر كتب باستقرار الأمير آقبغا الجمالى الأطروش فى نيابة حلب عوضا عن دقماق، فلما بلغ دقماق أنه طلب إلى مصر هرب من حلب.

ثم قدم الخبر على السلطان بأنّ قرا يوسف بن قرا محمد قدم إلى دمشق. فأنزله الأمير شيخ المحمودى بدار السعادة و أكرمه.

و كان من خبر قرا يوسف أنه حارب السلطان غياث الدين أحمد بن أويس و أخذ منه بغداد.

فلما بلغ تيمور ذلك بعث إليه عسكرا، فكسرهم قرا يوسف، فجهّز إليه تيمور جيشا ثانيا فهزموه، ففرّ بأهله و خاصّته إلى الرّحبة، فلم يمكّن منها و نهبته العرب، فسار إلى دمشق، فوافى بها السلطان أحمد بن أويس و قد قدمها أيضا قبل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۲

تاريخه، و أخبر الرسول أيضا أن قانى باى العلائى هرب من سجن الصّبيبة، فتأخر نوروز بالسجن و لم يعرف أين ذهب.

ثم فى يوم الثلاثاء خلع السلطان على بدر الدين حسن بن نصر اللّه الفوّى و استقرّ فى نظر الخاص عوضا عن ابن البقرى، و هذه أوّل ولاية الصاحب بدر الدين ابن نصر اللّه للوظائف الجليلة.

ثم فى عاشره اختفى الوزير تاج الدين، و فى ثالث عشره أعيد ابن البقرى للوزر على عادته و نظر الخاص، و صرف ابن نصر اللّه، هذا و الموت فاش بين الناس و أكثر من كان يموت الفقراء من الجوع.

ثم فى آخر جمادى الآخرة رسم بالقبض على السلطان أحمد بن أويس، و قرا يوسف بدمشق، فقبض عليهما الأمير شيخ و سجنهما.

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشر شهر رجب قدم إلى القاهرة سيف الأمير آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب بعد موته، فرسم السلطان بانتقال الأمير دمرداش المحمدى نائب طرابلس إلى نيابة حلب، و حمل إليه التقليد و التشريف الأمير سودون المحمدى المعروف تلى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۳

و فى أثناء ذلك ورد الخبر بأن الأمير دقماق نزل على حلب و معه جماعة من التركمان فيهم الأمير على بك بن دلغادر، و فرّ منه أمراء حلب، فملك دقماق حلب، و رسم السلطان بانتقال الأمير شيخ السليمانى المسرطن نائب صفد إلى نيابة طرابلس، و حمل إليه التقليد و التشريف الأمير أقبردى، و رسم باستقرار الأمير بكتمر جلّق أحد أمراء دمشق فى نيابة صفد عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن، و خرج الأمير إينال المأمور بقتل الأمراء المسجونين بالبلاد الشامية، و قبل وصول إينال المذكور أفرج الأمير دمرداش نائب طرابلس عن الأمير جكم و عن سودون طاز، و كانا ببعض حصون طرابلس و سار بهما إلى حلب، و هذا أوّل أمر جكم و ظهوره بالبلاد الشامية على ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى.

ثم فى يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة قبض السلطان على الأمير بيبرس الدوادار الثانى، و على الأمير جانم من حسن شاه، و على الأمير سودون المحمدى تلى، و حملوا إلى سجن الإسكندرية، و استقر الأمير قرقماس أحد أمراء الطبلخانات دوادارا ثانيا عوضا عن بيبرس المذكور.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۷]

ثم فى صفر من سنة سبع و ثمانمائة، وقع بين الأمير يشبك الشعبانى و بين الأمير إينال باى بن قجماس الأمير آخور كبير و سبب ذلك: أن الأمير يشبك الشعبانى الدوادار صار هو مدبّر الدولة و بيده جميع أمورها من الولاية و العزل، فصار له بذلك عصبة كبيرة، فأحبوا عصبته عزل إينال باى من الأمير اخورية، لاختصاصه بالسلطان الملك الناصر لقرابته منه ثم لمصاهرته، فإنه كان تزوج بخوند

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۴

بيرم بنت الملك الظاهر برقوق، و سكن بالإسطبل السلطانى على عادة الأمير اخورية، فصار السلطان ينزل عنده و يقيم ببيت أخته و يعاقره الشراب، فعظم أمر إينال باى لذلك، فخافه حواشى يشبك، و أحبوا أن يكون چركس القاسمى المصارع عوضه أمير اخورا، و اتفقوا مع يشبك على ذلك، فانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم. و تمادى الحال إلى يوم الجمعة، فأمر السلطان لإينال باى أن ينزل للأمراء المذكورين و يصالحهم، فمنع جماعة من المماليك السلطانية إينال باى أن ينزل، و اشتد ما بينهم من الشر حتى خاف السلطان عاقبة ذلك، و باتوا مترقبين وقوع الحرب بينهما، و كان السلطان رسم للأمير يشبك أن يتحول من داره قبل تاريخه، فإنها مجاورة لمدرسة السلطان حسن، فامتنع يشبك من ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۵

فساء ظن السلطان به، ثم استدعى السلطان القضاة فى يوم السبت ثانى صفر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس ليصلحوا بين إينال باى و بين يشبك و رفقته، فلم يقع صلح بين الطائفتين، و تسوّر بعض أصحاب يشبك على مدرسة السلطان حسن، فتحقّق السلطان عند ذلك ما كان يظنّه بيشبك، و يحذّره منه إينال باى و غيره، و أخذ كلّ أحد من الطائفتين فى أهبة الحرب، و السلطان من جهة إينال باى، و أصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، و طلع أعيان الأمراء إلى السلطان، و هم الأتابك بيبرس، و الوالد، و بكتمر رأس نوبة الأمراء، و سودون المارداني أمير مجلس، و آقباى حاجب الحجّاب، و طوخ الخازندار فى آخرين من مقدّمى الألوف و الطبلخانات و العشرات و المماليك السلطانيّة.

و كان مع يشبك من أمراء الألوف سبعة، و هم الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، و يلبغا الناصرى، و إينال حطب العلائى، و قطلوبغا الكركى، و سودون الحمزاوى رأس نوبة النوب، و طولو، و چركس المصارع، و انضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستادار، و محمد بن سنقر البكجرىّ، و ناصر الدين محمد بن على ابن كلبك، فى جماعة من الأمراء و المماليك السلطانية، و تجهّز يشبك للحرب، و أعدّ بأعلى مدرسة السلطان حسن مدافع النفط و المكاحل و الأسهم للرمى على الإسطبل السلطانىّ و على من يقف تحته من الرميلة، و اجتمع عليه خلائق، و نزل السلطان أيضا من القصر إلى الإسطبل السلطانى، و جلس بالمقعد و اجتمع عليه أكابر أمرائه و خاصّكيته، و وقع القتال بين الطائفتين و الحصار و الرمى بالمدافع من بكرة يوم الأحد إلى ليلة الخميس سابعه، و قد ظهر أصحاب السلطان على البشبكية، و حصروهم و القتال مستمرّ بينهم، و أمر يشبك فى إدبار، و حال السلطان فى استظهار، إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۶

كانت ليلة الخميس المذكورة، فاتفق الأمير يشبك مع أصحابه، و ركب نصف الليل، و خرج بمن معه من الأمراء من الرميلة على حميّة، و مرّوا من تحت الطبلخاناه إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانيّة، و نودى بالقاهرة فى آخر الليلة المذكورة بالأمان، و منع أهل الفساد و الزّعر من النّهب، و مرّ يشبك بمن معه من الأمراء و المماليك إلى قطيا، فتلقّاه مشايخ عربان العائذ بالتقادم، و سار إلى العريش و قد بلغ خبره إلى غزّة، فتلقّاه نائب غزّة الأمير خير بك بعساكر غزّة، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشر صفر و نزل بها.

ثم بعث الأمير طولو إلى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام يعلمه الخبر، و سار طولو يريد دمشق حتى قدم دمشق يوم الأحد ثامن عشره، فخرج الأمير شيخ إليه، و تلقّاه و أعلمه طولو الخبر، فشقّ ذلك عليه، و وعده بالقيام بنصرته ليشبك.

و كان فى ثامن عشر الشهر الخارج قدم الأمير دقماق المحمّدى دمشق فأكرمه الأمير شيخ.

و خبر دقماق و سبب قدومه إلى دمشق، أنه لمّا فرّ من حلب، و جمع التركمان و أخذ حلب، و قدم الأمير دمرداش المحمّدى نائب طرابلس عليه و قد ولى نيابة حلب بعد أن أطلق دمرداش و سودون طاز و جكم، و سار بهما من طرابلس إلى حلب لقتال التركمان، و واقع التركمان بعد أن قتل سودون طاز، فانكسر دمرداش، و ملك جكم حلب منه بعد أمور صدرت يطول شرحها، فكتب السلطان إلى دقماق يخيّره فى أىّ بلد يقيم؟ فاختار الشام، فقدمها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۷

و لما بلغ الأمير شيخ ما وقع ليشبك بعث بالأمير ألطنبغا حاجب الحجّاب بدمشق و الأمير شهاب الدين أحمد بن اليغمورىّ، و جماعة أخر من الأعيان إلى الأمير يشبك، و معهم أربعة أحمال قماش و مال، و كتب شيخ على أيديهم مطالعات للأمير يشبك يرغّبه فى القدوم عليه، و أنه يقوم بنصرته و يوافقه على غرضه.

فلمّا بلغ يشبك ذلك رحل من غزّة فى ليلة الاثنين خامس عشرينه، بعد ما أقام بها ثلاثة عشر يوما، و أخذ ما كان بها من حواصل الأمراء و عدّة خيول، و بعث إليه أهل الكرك و الشّوبك بعدّة تقادم، بعد ما كان عرض من معه من المقاتلة فكانوا ألفا و ثلاثمائة و خمسة و عشرين فارسا، و تلقّاه بعد مسيره من غزّة بمشايخ بلاد الساحل، و حمل إليه الأمير بكتمر جلق نائب صفد عدّة تقادم- و قدم عليه ابن بشارة فى عدّة من مشايخ العشير.

ثم جهز إليه الأمير شيخ نائب الشام جماعة لملاقاته طائفة بعد أخرى.

ثم خرج إليه شيخ المذكور من دمشق حتى وافاه، فلمّا تقاربا ترجّل الأمير شيخ عن فرسه، فلمّا عاينه يشبك ترجّل هو و أصحابه و سلّم عليه، ثم سلّم على الأمراء و جلسا قليلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۸

ثم ركبا، و سار يشبك المذكور و قد ألبسه شيخ هو و جميع من معه من الأمراء الخلع بالطّرز العريضة، و عدّتهم أحد و ثلاثون أميرا من الطبلخانات و العشرات سوى من تقدّم ذكرهم من أمراء الألوف، و دخلوا [دمشق] يوم الثلاثاء رابع شهر رجب.

و لمّا طال جلوسهم بدمشق سألهم الأمير شيخ عن خبرهم، فأعلموه بما كان و ذكروا له أنهم مماليك السلطان و فى طاعته، لا يخرجون عنها أبدا، غير أنّ إينال باى نقل عنهم للسلطان ما لا يقع منهم، فتغيّر خاطر السلطان عليهم حتى وقع ما وقع و أنهم ما لم ينصفوا منه و يعودوا لما كانوا عليه و إلّا فأرض اللّه واسعة، فوعدهم بخير، و قام لهم بما يليق بهم، حتى قيل إنه بلغت نفقته عليهم نحو مائتى ألف دينار مصريّة. ثم كتب شيخ إلى السلطان يسأله فى أمرهم.

و أمّا أمر السلطان الملك الناصر، فإنّه لما أصبح و قد انهزم يشبك بمن معه إلى جهة الشام، كتب بالإفراج عن الأمير سودون من زاده، و تمربغا المشطوب، و صرق و كتب [إلى الأمير نوروز بالحضور إلى الديار المصرية ليستقرّ على عادته] و كتب للأمير جكم أمانا توجّه به طغاى تمر مقدّم البريديّة.

ثم فى ثامن عشره خلع على عدّة من الأمراء بعدّة وظائف، فأخلع على سودون المارداني أمير مجلس باستقراره دوادارا عوضا عن يشبك الشعبانى المقدّم ذكره، و على الأمير سودون الطّيار الأمير آخور الثانى، و استقرّ أمير مجلس عوضا عن سودون المارداني، و على آقباى حاجب الحجّاب باستقراره أمير سلاح عوضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۹

عن تمراز الناصرى، و خلع على أبى كمّ، و استقرّ فى وظيفة نظر الجيش عوضا عن ابن غراب، و على ركن الدين عمر بن قايماز، باستقراره أستادارا عوضا عن ابن غراب أيضا.

ثم فى تاسع عشره، قدم سودون من زاده و تمربغا المشطوب و صرق من سجن الإسكندرية و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان و نزلوا إلى دورهم.

و فى حادى عشرينه خلع السلطان على الأمير يشبك بن أزدمر باستقراره رأس نوبة النّوب عوضا عن سودون الحمزاوى.

ثم ألزم السلطان مباشرى الأمراء المتوجّهين إلى الشام بمال، فقرّر على موجود الأمير يشبك مائة ألف دينار، و على موجود تمراز مائة ألف دينار، و على موجود سودون الحمزاوى ثلاثين ألف دينار، و على موجود قطلوبغا الكركىّ عشرين ألف دينار، و رسم السلطان أن يكون الدينار بمائة درهم، ثم افتقد السلطان المماليك السلطانية ممن توجه مع الأمير يشبك فكانوا مائتى مملوك.

ثم قدم الخبر على السلطان أنّ الأمير نوروز قدم إلى دمشق من قلعة الصّبيبة، فتلقّاه الأمير شيخ و أكرمه، و ضربت البشائر لقدومه بدمشق، فعظم ذلك على السلطان.

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب طلب السلطان جمال الدين يوسف البيرى أستادار بجاس و أخلع عليه باستقراره أستادارا عوضا عن ابن قايماز، بعد ما رسم على جمال الدين المذكور فى بيت شادّ الدواوين محمد بن الطبلاوى يوما و ليلة، و استمرّ يتحدّث فى استادارية الأتابك بيبرس فإنه كان خدم عنده ليحميه من الوزر و الأستادارية، فلم ينهض بيبرس بذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۰

ثم قدم الخبر بأن الأمير شيخا أفرج عن قرا يوسف.

و أما خبر جكم مع دمرداش و كيف ملك منه حلب، و قد قدّمنا ذكر ذلك مجملا من غير تفصيل، فإن جكم لما أطلقه دمرداش و أخذه صحبته إلى حلب، و قاتل معه التركمان و وقع لهما أمور حاصلها أن جكم تخوّف من دمرداش و فرّ منه إلى جهة التركمان، و انضم عليه سودون الجلب بعد مجيئه من بلاد الأفرنج، و الأمير حمق نائب الكرك كان و غيره من المخامرين.

ثم وافقه ابن صاحب الباز أمير التركمان بتركمانه، فعاد جكم و قاتل دمرداش، و وقع بينهما أمور و حروب إلى أن ملك جكم طرابلس، و أرسل إليه الأمير شيخ نائب الشام، و الأمير يشبك و رفقته يستميلونه ليقدم عليهم دمشق و يوافقهم على قتال المصريين، فأجابهم إلى ذلك، و خرج من طرابلس كأنه يريد التوجه إلى دمشق.

فلما وصل حماة أخذ نائبها الأمير علان بمن انضم عليه و توجه بهم إلى دمرداش و قاتله حتى هزمه و أخذ منه مدينة حلب، و فرّ دمرداش بجماعة من أمراء حلب إلى بلاد التركمان.

و لما ملك جكم حلب أنعم بموجود دمرداش على علّان نائب حماة، و أقرّه على نيابة حماة على عادته، فصار مع جكم حلب و طرابلس و حماة، و أخذ يسير مع الرعية أحسن سيرة، فأحبه الناس و جرى على ألسنتهم «جكم حكم، و ما ظلم» و استمرّ جكم بحلب إلى أن أرسل إليه الأمير شيخ نائب الشام الأمير سودون الحمزاوى، و الأمير سودون الظريف، فتوجها إلى جكم على أنه بطرابلس.

ثم أرسل الأمير شيخ الأمير شرف الدين موسى الهيدبانى حاجب دمشق إلى حلب رسولا إلى دمرداش يستدعيه إلى موافقته هو و من عنده من الأمراء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۱

و كان قد ورد كتاب دمرداش على شيخ و يشبك أنه معهما، و متى دعواه حضر إليهما؛ فهذا ما كان من أمر جكم، و بقية خبر قدومه يأتى إن شاء اللّه تعالى فيما بعد.

ثم إن الأمير شيخا نائب الشام عين جماعة من الأمراء ليتوجهوا لأخذ صفد، فخرج الأمير تمراز الناصرىّ أمير سلاح، و الأمير چاركس القاسمى المصارع، و الأمير سودون الظريف بعد عوده من طرابلس، و ساروا بعسكرهم لأخذ صفد من بكتمر جلّق، بحيلة أنهم يسيرون إلى جشار الأمير بكتمر جلق كأنهم يأخذوه فإذا أقبل عليهم بكتمر ليدفعهم عن جشاره قاطعوا عليه و أخذوا مدينة صفد منه، فتيقظ بكتمر لذلك و ترك لهم الجشار، فساقوه من غير أن يتحرك بكتمر من المدينة و عادوا إلى دمشق و أخبروا الأمراء بذلك، فاستعد شيخ لأخذ صفد و عمل ثلاثين مدفعا و عدّة مكاحل و منجنيقين، و جمع الحجّارين و النقّابين و آلات الحصار، و خرج من دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان و معه جمع كبير من عسكر مصر و الشام من جملتهم قرا يوسف بجماعته، و جماعة السلطان أحمد

بن أويس [متملك بغداد] و جماعة من التركمان الجشارية، و أحمد بن بشارة بعشرانه و عيسى بن الكابوليّ بعشرانه، و نادى شيخ بدمشق قبل خروجه منها: من أراد النهب و الكسب فعليه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۲

بمصر، فاجتمع عليه خلائق، و سار معه مائة جمل تحمل مكاحل و مدافع و آلات الحصار، و ولى الأمير ألطنبغا العثمانى نيابة صفد كما كان أولا، و سار شيخ بمن معه من العساكر حتى وافى مدينة صفد، فأرسل شيخ بالأمير علّان إلى بكتمر جلّق يكلّمه فى تسليم مدينة صفد، فلم يذعن إليه بكتمر و أبى إلا قتاله، و قال: ماله عندى إلا السيف؛ فحينئذ ركب شيخ و يشبك بمن معهما و أحاطا بقلعة صفد، و حصراها من جميع جهاتها، و قد حصنها بكتمر و شحنها بالرجال، و قام يقاتل شيخا أتم قتال فاستمر الحرب بينهم أياما كثيرة خرح فيها من أصحاب شيخ نحو ثلاثمائة رجل، و قتل أزيد من خمسين نفسا.

و بينما هم فى قتال صفد إذ ورد عليهم الخبر بقدوم جكم إلى دمشق، ففرحوا بذلك، و لم يمكنهم العود إلى دمشق إلا عن فيصل من أمر صفد.

و كان خروج جكم من حلب فى حادى عشر شهر رمضان، و سار حتى قدم دمشق، و قد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه، فإن شيخا كان أرسله إليه قبل خروجه إلى صفد بعد عود سودون الحمزاوى و سودون الظريف من طرابلس، و قبل خروج جكم من حلب سلّم قلعتها إلى الأمير شرف الدين موسى ابن يلدق، و عمل حجّابا و أرباب وظائف، و عزم على أنه يتسلطن و يتلقب بالملك العادل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۳

ثم بدا له تأخير ذلك، و قدم دمشق لمرافقة شيخ و يشبك و من معهما، و وصل إلى دمشق و معه الأمير قانى باى و تغرى بردى القجقارى و جماعة كبيرة، فخرج من بدمشق من أمراء مصر و الشام جميعهم إلى لقائه، و أنزل بالميدان، فسلم جكم على الأمراء سلام السلاطين على الأمراء، و أخذ يترفع عليهم ترفعا زائدا أوجب تنكرهم عليه فى الباطن، إلا أن الضرورة قادتهم إلى الانقياد إليه، فأكرموه على رغمهم، و أنزلوه و كلّموه فى القيام معهم، فأجاب، و أمرهم أن يكتبوا ليشبك و شيخ بقدومه إلى دمشق، فكتبوا إلى يشبك و شيخ بذلك، و أخذ جكم فى إظهار شعار السلطنة مع خدمه و أصحابه، فشق على الأمراء ذلك، و ما زالوا به بالملاطفة حتى ترك ذلك إلى وقته، و أقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرين شهر رمضان من سنة سبع و ثمانمائة المذكورة، فخرج من دمشق و توجه مخفّا إلى طرابلس ليجمع عساكر طرابلس، و ترك ثقله بدمشق، و ورد عليه الخبر أن دمرداش لما فر منه ركب البحر و توجه إلى دمياط.

ثم قدم إلى مصر فى رابع عشرين شهر رمضان المذكور فهدأ سرّجكم بذلك عن أمر حلب.

و أما يشبك و شيخ بمن معهما من الأمراء و العساكر لما طال عليهم القتال على مدينة صفد، و عجزوا عن أخذها، تكلموا فى الصلح مع بكتمر حتى تم لهم ذلك، و اصطلحوا و تحالفوا، و نزل إليهم بكتمر جلّق فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر رمضان بعد أن كانت مدة القتال بينهم [على صفد] اثنين و عشرين يوما، و عاد شيخ إلى دمشق و هو مجروح، و يشبك الشعبانى و هو مجروح أيضا، و چاركس المصارع و هو مجروح.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۴

و أما عساكرهم فغالبهم أثخنته الجراح، فعندما أقاموا بدمشق قدم عليهم الأمير جكم من طرابلس بعد أن أرسلوا يستحثونه على سرعة المجيء إليهم غير مرة فخرجوا لتلقّيه و سلّموا عليه، و عادوا به إلى دمشق و هما فى غاية الحنق من جكم، و هو أنه لما وافاهما جكم ترجّل إليه الأمير يشبك عن فرسه إلى الأرض، و سلّم عليه فلم يعبأ به جكم، و لا التفت إليه، لأنه كان غريمه فيما تقدّم ذكره، فشق ذلك على الأمير شيخ، و لام يشبك على ترجّله.

ثم عتب شيخ جكم على ما وقع منه فى عدم إنصاف يشبك، و نزل جكم بالميدان و جلس فى صدر المجلس، و جلس يشبك عن يمينه، و شيخ عن يساره، فكاد شيخ و يشبك أن يهلكا فى الباطن، و لم يسعهما إلا الإذعان لتمام أمرهما.

ثم أمرهم جكم ألّا يفعلوا شيئا إلا بمشاورته، فاتفقوا على منع الدعاء للسلطان الملك الناصر فرج بمنابر دمشق، فوقع ذلك للخطباء، و ذكروا اسم الخليفة فى الخطبة فقط.

و كان الأمير شيخ قبل قدوم جكم إلى دمشق أفرج عن السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد من سجن دمشق، و أنعم عليه بمائة ألف درهم فضة و ثلاثمائة فرس.

و أنعم أيضا على قرا يوسف بمائة ألف و ثلاثمائة فرس، و أخرج عدة كبيرة من أمراء مصر إلى جهة غزة [بعد أن حمل إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة] و هم: الأمير تمراز الناصرىّ، و ابنه الأمير سودون بقجة، و سودون الحمزاوى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۵

و يلبغا الناصرى، و إينال حطب، و چاركس المصارع بعد أن حمل شيخ أيضا إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة، و لم يتأخر بدمشق من أعيان الأمراء إلّا الأمير يشبك الدوادار و الأمير شيخ نائب الشام، و أقاما فى انتظار الأمير جكم [حتى قدم عليهما جكم] حسبما تقدّم ذكره، و بعد قدوم جكم أجمعوا على المسير إلى جهة مصر، و برزوا بالخيام إلى قبة يلبغا فى يوم رابع عشر ذى القعدة.

ثم خرج الأمير شيخ و الأمير يشبك و قرا يوسف من دمشق فى يوم عشرينه و ساروا إلى الخربة فافترقوا منها. فتوجه يشبك و قرا يوسف إلى صفد لقتال نائبها بكتمر جلق ثانيا، فإنه بلغهم أنه مستمر على طاعة السلطان. و توجه شيخ إلى قلعة الصّبيبة و بها ذخائره و حريمه.

فلما بلغ بكتمر جلق مجيء العسكر لقتاله استعد هو أيضا لقتالهم، و قد قوى قلبه، فإنه بلغه أن علّان نائب حماة دخل فى طاعة السلطان و خالف الأمراء، و كذلك شيخ السليمانى المسرطن نائب طرابلس، فإنه دخل فى طاعة السلطان، و استولى على طرابلس و استفحل أمره، و أن الأمير شيخا السليمانى نائب طرابلس بعد أخذ طرابلس قدم عليه البريد بولاية قانى باى على طرابلس، فخرج منها شيخ السليمانى إلى حماة، فأشار عليه علّان نائب حماة أنه لا يسلّم طرابلس لقانى باى حتى يراجع السلطان و يعلمه بما يترتب على عزله من الفساد، فعاد شيخ إلى طرابلس، فبهذه الأخبار ثبت بكتمر جلق على طاعة السلطان و قتال الأمراء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۶

و لما قارب يشبك، و قرا يوسف صفد أخرج بكتمر كشّافته بين يديه، و نزل جسر يعقوب، فالتقى كشافته بأصحاب يشبك و قرا يوسف، فاقتتلوا قتالا شديدا ظهر فيه الصفديون، و أخذوا من الشاميين عشرة أفراس، فعاد يشبك و قرا يوسف إلى طبرية، و نزلوا بها حتى قدم عليهم الأمير شيخ نائب الشام.

ثم ساروا جميعا إلى غزة، و قد تقدّمهم الأمير جكم و نزل على الرملة.

و أما أمراء الديار المصرية فإن السلطان الملك الناصر لما تحقق اتفاق الأمير شيخ المحمودى نائب الشام مع يشبك و رفقته، و بلغه أخبارهم مفصّلا، استشار الأمراء فى أمرهم فأجمعوا على خروج السلطان لقتالهم، فتجهّز السلطان، و علّق جاليش السفر فى ثانى ذى القعدة بالطبلخاناة السلطانية على العادة.

ثم أنفق فى رابعه على المماليك السلطانية على كل مملوك خمسة آلاف درهم.

و كان صرف الذهب يوم ذاك مائة درهم المثقال، فصرف لكل واحد منهم تسعة و أربعين مثقالا و احتاج السلطان فى النفقة المذكورة حتى اقترض من مال أيتام الأمير قلمطاى الدوادار عشرة آلاف مثقال، و رهن عندهم جوهرا، و جعل كسب ذلك ألف دينار و مائتى دينار، و أخذ منهم أيضا نحو ستة عشر ألف مثقال و باعهم بها بلدة من أعمال الجيزة تسمى البراجيل، و أخذ من [تركة] التاجر برهان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۷

الدین المحلّی و غیره مالا کثیرا، و وزّع له قاضی القضاة شمس الدین الأخنائی الشافعی خمسمائة ألف درهم علیترکات خارجة عن المودع، و کانت نفقة السلطان علی خمسة آلاف مملوک.

ثم عزل السلطان الأخنائی عن قضاء الشافعیة بقاضی القضاة جلال الدین عبد الرحمن البلقینی، و عزل ابن خلدون بقاضی القضاة جمال الدین یوسف البساطیّ المالکی.

ثم قدم الخبر علی السلطان بنزول الأمراء علی مدینة غزة، و أخذهم الإقامات المجهّزة للعساکر السلطانیة.

و کانت غزة قد غلابها الأسعار لقلّة الأمطار، و بلغت الویبة القمح مائة و عشرین درهما، فعند ذلک جد السلطان الملک الناصر فی حرکة السفر، و الاستعداد للحرب.

و أما أمر الأمراء فإنه خرج جالیشهم من مدینة غزة إلی جهة الدیار المصریة فی یوم الأحد ثانی ذی الحجة.

ثم سار من الغد الأمیر شیخ و یشبک و جکم ببقیة عساکرهم، و استنابوا بغزة الأمیر ألطنبغا العثمانی.

ثم قدم الخبر علی جناح الطیر من بلبیس بنزول الأمراء علی قطیا، فکثرت حرکات العسکر بالقاهرة، و خرجت مدوّرة السلطان إلی الرّیدانیّة خارج القاهرة، و اختبط العسکر و اضطرب لسرعة السفر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۸

ثم رکب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه و عساکره فی یوم السبت ثامن ذی الحجة من سنة سبع و ثمانمائة، و سار حتی نزل بالریدانیة خارج القاهرة، و بات بها، و قد أقام من الأمراء بباب السلسلة بکتمر الرکنی رأس نوبة الأمراء و جماعة أخر بالقاهرة.

و بینما السلطان بالریدانیة ورد علیه الخبر بنزول الأمراء بالصالحیة فی یوم التّرویة و أخذوا ما کان بها من الإقامات السلطانیة، فرحل السلطان من الریدانیة فی یوم الأحد تاسعه، و نزل العکرشة، ثم سار منها لیلا، و أصبح ببلبیس و ضحّی بها، و أقام علیها یومی الاثنین و الثلاثاء، و رحل من مدینة بلبیس بکرة نهار الأربعاء، و نزل علی منزلة السعیدیة، فأتاه کتب الأمراء الثلاثة، و هم: جکم، و شیخ، و یشبک بأن سبب حرکتهم ما جری بین الأمیر یشبک و بین إینال بای بن قجماس، و طلبوا منه أن یخرج إینال بای المذکور و دمرداش المحمدی نائب حلب من مصر، و أن یعطی لکلّ من یشبک و جکم و شیخ و من معهم بمصر و الشام ما یلیق بهم من النیابات و الإقطاعات لتخمد هذه الفتنة باستمرارهم علی الطاعة، و لحقن الدماء و یعمر بذلک ملک السلطان، و إن لم یکن ذلک تلفت أرواح کثیرة، و خرّبت بیوت عدیدة.

و کانوا أرادوا هذه المکاتبة من الشام، و لکن خشوا أن یظنّ بهم العجز، فإنه ما منهم إلا من جعل الموت نصب عینیه، فلم یلتفت السلطان إلی ذلک، و لم یأمر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۹

بکتابة جواب لهم، و کان ذلک مکیدة من الأمراء حتی کبسوا علی السلطان فی لیلة الخمیس و هم فی نحو ثلاثة آلاف فارس و أربعمائة ترکمانی من أصحاب قرا یوسف.

و بینما السلطان علی منزلة السعیدیة ورد الخبر علی الوالد من بعض أصحابه ممن هو صحبة الأمراء، أن الأمراء اتفقوا علی تبییت السلطان و الکبس علیه فی هذه اللیلة، فأعلم الوالد السلطان و حرّضه علی الرکوب بعساکره من وقته، فمال إلیه السلطان، فأخذ الأمیر بیغوت و غیره یستبعد ذلک، و لا زالوا بالسلطان حتی فتر عزمه عن الرکوب، فعاد الوالد إلی وطاقه، و أمر جمیع ممالیکه بالرکوب بآلة الحرب.

و بینما هو فی ذلک إذ ثارت غبرة عظیمة و هجّة فی الناس، و قبل أن یسأل السلطان عن الخبر طرقه الأمراء علی حین غفلة، فرکب السلطان فی اللیل بمن معه و اقتتل الفریقان قتالا شدیدا من بعد عشاء الآخرة إلی بعد نصف اللیل، جرح فیه جماعة کثیرة من

الطائفتين، و قتل الأمير صرق الظاهرى صبرا بين يدى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام، لأن السلطان كان ولاه عوضه نائب الشام، و انهزم السلطان و ركب و سار عائدا على الهجن إلى جهة الديار المصرية، و معه سودون الطيار و سودون الأشقر، و ساقوا إلى أن وصلوا إلى القلعة، و تفرقت العساكر السلطانية و انهزموا و تركوا أثقالهم و خيامهم، و سائر أموالهم غنمها الشاميون، و وقع فى قبضة الأمراء من المصريين الخليفة و القضاة، و الأمير شاهين الأفرم، و الأمير خير بك نائب غزة، و نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية و غيرهم، و قدم المنهزمون من السلطانية إلى القاهرة فى يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة، و لم يحضر السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۰

و لا الأمراء الكبار، فكثر الإرجاف و ماج الناس، و انتهبت عدة حوانيت حتى قدم السلطان قريب العصر و معه الأمراء، و قد قاسى من [مرّ] العطش و التعب مالا يوصف، فسر الناس بقدومه، و طلع إليه الأمراء و العساكر و باتوا تلك الليلة، و أصبح السلطان يتهيأ للقاء الأمراء، و قبض على يلبغا السالمىّ و سلّمه لجمال الدين البيرىّ الأستادار، فعاقبه و صادره، و شرع أمر السلطان كل يوم فى زيادة لعدم قدوم العسكر الشامى إلى القاهرة.

فلما كان آخر نهار الأحد نزلت الأمراء بالريدانية خارج القاهرة.

ثم أصبحوا فى بكرة نهار الاثنين ركبوا و زحفوا على القاهرة، فأغلقت أبواب المدينة و تعطلت الأسواق عن المعايش، و مشوا حتى وصلوا قريبا من دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، فقاتلهم السلطانية من بكرة نهار الاثنين المذكور إلى بعد الظهر، فلما أذّن الظهر أقبل جماعة كثيرة من الأمراء إلى جهة السلطان طائعين: منهم الأمير يلبغا الناصرى، و آسنباى أمير ميسرة الشام المعروف بالتركمانى، و سودون اليوسفى، و إينال حطب، و جمق، فلما وقع ذلك اختل أمر الأمراء، و عزم جماعة منهم على العود إلى البلاد الشامية فحمل ما خف من أثقاله و عاد، و فعل ذلك جماعة كبيرة بعد أن أفرج شيخ عن الخليفة و القضاة و غيرهم، فتسلّل عند ذلك الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، و الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، و الأمير جاركس القاسمى المصارع، و الأمير قطلوبغا الكركى فى جماعة أخر، و اختفوا بالقاهرة و ظواهرها.

فلما وقع ذلك ولى الأمير جكم و الأمير شيخ و الأمير طولو و قرا يوسف فى طائفة يسيرة، و قصدوا البلاد الشأمية، فلم يتبعهم أحد من عسكر السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۱

ثم نادى السلطان بالأمان لكل أحد، فطلع إليه جماعة، فقبض عليهم و قيّدهم و بعث بهم إلى سجن الإسكندرية، و خمدت الفتنة، و انجلت هذه الواقعة عن إتلاف مال كثير من العسكرين، ذهب فيها من الخيل و البغال و الجمال و السلاح و الثياب ما لا يدخل تحت حصر من غير فائدة.

ثم أخذ الملك الناصر فى تمهيد أمور دولته و إصلاح الدولة و المفرد، فقبض على الصاحب تاج الدين بن البقرى، و سلّمه لجمال الدين الأستادار، و استقرّ عوضه فى الوزارة فخر الدين ماجد بن غراب.

و كان أخوه سعد الدين إبراهيم بن غراب مع العسكر الشامى، فلما قدم معهم اختفى بالقاهرة، ثم ترامى على الأمير إينال باى بن قجماس، فجمع بينه و بين السلطان ليلا، و وعده بستين ألف دينار.

و أصبح يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة طلع سعد الدين بن غراب إلى القلعة فخلع عليه السلطان و جعله مشيرا.

ثم فى ثالث عشرينه خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى، و كان ممن قدم مع العسكر، باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير شيخ المحمودى، و على بكتمر جلّق باستقراره على نيابة صفد، و على سلامش حاجب غزّة بنيابة غزّة.

و أما جكم و شيخ فإنهما قدما غزّة فى نحو خمسمائة فارس أكثرهم من التركمان أصحاب قرا يوسف، و قد غنموا شيئا كثيرا، و تفرّقت عساكر شيخ، و تلفت أمواله و خيوله، و مضى إلى دمشق، فخرج إليه الأمير بكتمر جلق و الأمير شيخ السليمانى المسرطن نائب

طرابلس، فهرب منهما، فتتبّعاه إلى عقبة فيق، فنجا بنفسه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۲

فلم يدركاه، و دخل دمشق و هو فى أسوأ حال، فوجد السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد قد فرّ من دمشق إلى جهة بلاده فى ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة، و كان قد تأخر بدمشق و لم يتوجه إلى نحو الديار المصرية صحبة الأمراء.

ثم إن شيخا أوقع الحوطة على بيوت الأمراء الذين خامروا عليه و توجهوا إلى مصر، و أخذ فى إصلاح أمره و لمّ شعثه.

و أما جكم فإنه لما فارق حلب كان بها عدّة من أمرائها، و رفعوا سنجق السلطان بقلعة حلب، فاجتمع إليهم العسكر، فحلف بعضهم لبعض على طاعة السلطان و قدم ابنا شهدى الحاجب و نائب القلعة من عند التركمان البياضية إلى حلب، و قام بتدبير أمور حلب الأمير يونس الحافظى، و امتدت أيدى عرب العجل ابن نعير و تراكمين ابن صاحب الباز إلى معاملة حلب، فقسموها، و لم يدعوا لأحد من الأمراء و الأجناد شيئا، كل ذلك قبل قدوم جكم إليها من مصر.

و أما السلطان فإنه رسم فى أواخر ذى الحجة بانتقال الأمير علّان اليحياوى نائب حماة إلى نيابة حلب عوضا عن جكم، و حمل إليه التقليد و التشريف الأمير إينال الخازندار، و استقرّ الأمير دقماق المحمدى فى نيابة حماة عوضا عن علّان المذكور، و استقرّ الأمير بكتمرجلق نائب صفد فى نيابة طرابلس عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن، و توجه بتقليده الأمير جرباش العمرى، و استقر عوضه فى نيابة صفد الأمير بكتمر الركنى رأس نوبة الأمراء درجة إلى أسفل.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۸]

ثم فى ثالث المحرم سنة ثمان و ثمانمائة قدم مبشر الحاج و أخبر بأنه كان أشيع بمكة المشرفة قدوم تيمور لنك إليها، فاستعد صاحب مكة لذلك، فلم يصحّ ما أشيع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۳

ثم قدم رسل الأمير شيخ نائب الشام إلى السلطان بديار مصر، و هم شهاب الدين أحمد بن حجّى أحد خلفاء الحكم بدمشق، و الشريف ناصر الدين محمد بن على نقيب الأشراف، و الشيخ المعتقد محمد بن قويدار، و الأمير يلبغا المنجكى، و معهم كتبه تتضمن الترقق و الاعتذار عما وقع منه، و تسأل استقراره على عادته فى نيابة دمشق، فلم يلتفت السلطان إلى قوله، و منع رسله من الاجتماع بأحد.

ثم فى رابع عشرين المحرم سار الأمير نوروز الحافظى إلى نيابة دمشق و خرج الأمراء لوداعه، و نزل بالريدانية و معه متسفرّه الأمير برد بك الخازندار.

ثم وقعت الوحشة بين السلطان و بين الأمير إينال باى بن قجماس الأمير آخور، فقبض السلطان فى يوم الاثنين سادس صفر على الأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة النوب، و على الأمير تمر، و على الأمير سودون، و هما من إخوة سودون طاز، فاختفى الأمير إينال باى أمير آخور و معه الأمير سودون الجلب، و أحاط السلطان بدورهم، ثم قيّد الأمراء و أرسلهم إلى سجن الإسكندرية.

و أما إينال باى فإنه دار على جماعة من الأمراء ليركبوا معه، فلم يؤهّله أحد لذلك، فاختفى إلى يوم الجمعة عاشره، فظهر، و طلع به الأتابك بيبرس إلى القلعة، فكثر الكلام بين الأمراء حتى آل الأمر إلى مسك إينال باى و إرساله إلى ثغر دمياط بطّالا.

ثم فى خامس عشرين صفر فرّق السلطان إقطاعات الأمراء الممسوكين، فأنعم بإقطاع إينال باى على الوالد، و زاده إمرة طلبخاناه، و أنعم بإقطاع الوالد على الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب كان، و بإقطاع دمرداش على الأمير أزبك الإبراهيمى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۴

و جميع هذه الإقطاعات تقادم ألوف، لكن شيئا أحسن من شىء فى كثرة المغلّ.

و أنعم على الأمير بيبرس الصغير الدوادار بتقدمة ألف قبل أن تكمل لحيته، و على الأمير بشباى الحاجب بتقدمة ألف، و على الأمير علّان بتقدمة ألف، و على الأمير قراجا بإمرة عشرين، و أنعم بطبلخانات سودون الجلب على الأمير أيتمش الشعبانى.

ثم أخلع على الأمير جرباش الشيخى رأس نوبة ثانى باستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن إينال باى.

و أما الأمير شيخ فإنه توجه صحبة الأمير جكم و قرا يوسف لحرب نعير.

ثم اختلفوا، فمضى جكم إلى طرابلس، و توجه قرا يوسف إلى جهة الشرق عائدا إلى بلاده، و عاد الأمير شيخ من البقاع و نزل سطح المزّة و معه خواصّه فقط.

ثم توجه إلى الصّبيبة هاربا من نوروز الحافظى، فدخل نوروز إلى دمشق فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين صفر من غير مدافع لضعف الأمير شيخ عن مقاومته و قتاله.

و أما السلطان، فإنه أخلع على الأمير بشباى الحاجب باستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن يشبك بن أزدمر، و أخلع على الأمير أرسطاى باستقراره حاجب الحجّاب بعد بشباى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۵

ثم فى يوم الثلاثاء وقع بالديار المصرية فتنة، و كثر الكلام بين الأمراء إلى أن اتفق جماعة من المماليك الچركسية و سألوا السلطان القبض على الوالد و على الأمير دمرداش المحمدى، و على الأمير أرغون من بشبغا و جماعة أخر من كون السلطان اختص بهم، و تزوّج بكريمتى على كره من الوالد، و كونه أيضا أعرض عن الچراكسة و أمسك إينال باى، فخافوا أن تقوى شوكة هؤلاء عليهم، و اتفقوا و اجتمعوا على الأتابك بيبرس، و تأخروا عن الخدمة السلطانية، و كثر كلام القوم فى ذلك إلى أن طلب السلطان الأمراء و استشارهم فيما يفعل، فقال له دمرداش:

المصلحة [تقتضى] قتالهم، و أنا كفء هؤلاء الچراكسة، و السلطان لا يتحرك من مجلسه فنهره الوالد و قال له ما معناه: نقاتل من؟ نقاتل خشداشيّتك، كلّنا مماليك السلطان و مماليك أبيه مهما شاء السلطان فعل فينا و فيهم.

هذا و قد ظهر الملل على السلطان من كثرة الفتن، و لحظ الوالد منه ذلك، فإنه قال فيما بعد: سمعته يقول فى ذلك اليوم: وددت لو كنت كما كنت و لا أكون سلطانا.

ثم أمر السلطان الوالد أن يختفى حتى ينظر السلطان فى مصلحته، و أمر دمرداش أيضا بذلك، و انفض المجلس من غير إبرام أمر.

ثم أصبح الناس يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الأول من سنة ثمان المذكورة، و قد ظهر الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، و الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، و الأمير جاركس القاسمى المصارع، و الأمير قانى باى العلائى، و كانوا مختفين بالقاهرة من يوم واقعة السعيدية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۶

و خبر ظهورهم أن الأتابك بيبرس ركب إلى السلطان، و أخبره بمواضع الأمراء المذكورين، و وافقه على مصالحة الچراكسة و إحضار الأمراء من اختفائهم، و الإفراج عن إينال باى و غيره، فرضى السلطان بذلك، و تقرر الحال على ذلك، و طلع الأمراء المذكورون من الغد فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل المذكور، فأخلع السلطان على الأمير سودون المحمّدى باستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن جرباش الشيخى، و عوده إلى إقطاعه إمرة طبلخاناة و وظيفنه رأس نوبة.

ثم فى عاشره طلع الأمير يشبك الدوادار و الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح و الأمير جاركس القاسمى المصارع و جماعة أخر إلى القلعة، و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان، فأخلع عليهم خلع الرضا، و نزل كل واحد إلى داره.

ثم فى خامس عشرة قدم الأمير قطلوبغا الكركى، و إينال حطب، و سودون الحمزاوى، و يلبغا الناصرى، و أسندمر الناصرى، و تمر من سجن الإسكندرية، و هؤلاء الذين كان السلطان نادى لهم بالأمان بعد وقعة السعيدية، فلما طلعوا له قبض عليهم و سجنهم بالإسكندرية و هم رفقة يشبك و شيخ و چكم.

ثم قدم الأمير إينال باى بن قجماس من ثغر دمياط و معه تمان تمر الناصرى.

ثم قدم الأمير يشبك بن أزدمر أيضا من سجن الإسكندرية.

ثم أمسك السلطان القاضى فتح الدين فتح اللّه كاتب السرّ، و ولّى عوضه سعد الدين إبراهيم بن غراب، و ألزم فتح الدين بحمل ألف ألف درهم.

ثم ظهر الأمير دمرداش [نائب حلب] من اختفائه، فأخلع السلطان عليه نيابة غزّة، فسار فى يوم السبت رابع عشرينه، و خلع السلطان أيضا على يشبك بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۷

أزدمر بنيابة ملطيّة، فامتنع من ذلك، فأكره حتى لبس الخلعة، و وكّل به الأمير أرسطاى الحاجب و الأمير محمد بن جلبان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة.

ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبك الإبراهيمى الظاهرى المعروف بخاص خرجى،- و كان تأخّر عن طلوع الخدمة- بأن يستقرّ فى نيابة طرسوس، فأبى أن يقبل و التجأ إلى بيت الأمير إينال باى، فاجتمع طائفة من المماليك و مضوا إلى يشبك بن أزدمر، و ردّوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل و قد وصل قريبا من سرياقوس، و ضربوا الحاجب المرسّم عليه، و صار العسكر فرقتين، و أظهر المماليك الجراكسة الخلاف، و وقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد الطلوع إلى السلطان، و جلس الأتابك بيبرس بجماعة من الأمراء فى بيته، و صار السلطان بالقلعة و عنده عدّة أمراء، و تمادى الحال على ذلك يوم الخميس و الجمعة و السبت و السقالة بينهم.

فلما كان يوم السبت نزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة، و اجتمع عنده بعض الأمراء لإصلاح الأمر، فلم يفد ذلك، و باتوا على ما هم عليه، و أصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه و قد كثروا و طلبوا من السلطان الوالد أرغون من بشبغا.

و كان الوالد قد ظهر من يوم أخرج دمرداش إلى نيابة غزة، فلم يستجر أحد يتكلم فى خروجه من القاهرة، و استمر على إمرته، فأبى الملك الناصر أن يرسله إليهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۸

فقال الوالد: هذا أمر يطول، و لا بدّ من النزول، فنزل إليهم و معه أرغون، و كلّم الأمراء فى سبب طلبهم إياه، و خشّن للأتابك بيبرس فى القول، فإنه كان مسفّر الوالد لما ولى نيابة حلب فى أيام الملك الظاهر برقوق، فلم يتكلّم بيبرس و لا غيره بكلمة واحدة، و سكت الجميع.

فلما طال المجلس قال الوالد: ما تتكلموا، فعندها تكلّم شخص من الخاصكية الظاهرية يقال له: قرمش الأعور، و هو الذى قطع رأسه فى دولة الملك الأشرف برسباى من أجل جانى بك الصوفى حسبما يأتى ذكره، و قال قرمش: ياخوند، المقصود أنك تخرج من الديار المصرية حتى تسكن هذه الفتنة، ثم تعود بعد أيام أو يعطيك السلطان ما تختار من البلاد. فقال الوالد: بسم اللّه حتى أشاور السلطان ثم أسافر، و خرج فلم يجرؤ أحد أن يقبضه و لا يرسّم عليه، و عاد إلى بيته و لم يطلع إلى السلطان.

و كان سكنه بالبيت الذى بباب الرّميلة تجاه مصلّاة المؤمنىّ، و أقام به يومه و تجهّز و خرج فى الليل فى نحو مائة مملوك من خواصّه، فلم يقف له أحد على خبر، و سار من البرّية إلى القدس الشريف فى دون الخمسة أيام، و لم يجتز بقطيا خوفا من تسليط العربان عليه.

و كان لما خرج من بيت بيبرس أرسل إليه السلطان يعلمه أنه أيضا يريد يختفى و يترك السلطنة، فلهذا جدّ الوالد فى السير لئلا يخرج القوم فى أثره و يقبضون عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۹

فلما كان وقت الظهر من يوم خروج الوالد من مصر و هو يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأوّل فقد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من قلعة الجبل و لم يعرف له خبر.

و سبب تركه السلطنة أنه كان فى يوم النوروز جلس السلطان مع جماعة من الأمراء و الخاصكية من مماليك أبيه، و شرب معهم حتى سكر، ثم ألقى بنفسه إلى فسقيّة هناك، فألقى الجماعة أنفسهم معه، و قد غلب على السلطان السكر، و صار يسبح معهم فى الماء و يمازحهم، و ترك الوقار، فجاء من خلفه الأمير أزبك الإبراهيمى المعروف بخاصّ خرجى، و قيل غيره، و أزبك الأشقر، و أغمّه فى الماء مرارا و هو يمرق من تحته كأنه يمازحه حتى قبض عليه و غرّقه فى الماء حتى كادت نفسه تزهق، ففطن به بعض مماليك أبيه من الأروام ممن كان معهم أيضا فى الفسقية، و خلّصه منه، و أفحش فى سبّ أزبك المذكور، و أراد قتله، فمنعه السلطان من ذلك، و قال: كان يلعب معى، و أسرّها فى نفسه.

ثم طلع السلطان من الفسقيّة، و ذهب كل واحد إلى حال سبيله، فذكر السلطان بعد ذلك للوالد ما وقع له مع أزبك المذكور، و أمره أن يكتم ذلك لوقته، فأخذ الوالد يزوّل عنه ذلك و يهوّنه عليه.

ثم عرّف السلطان جماعة من أكابر أمراء الجراكسة بذلك، فلم يلتفتوا لقوله و قالوا: لم يرد بذلك إلّا مباسطة السلطان، فعند ذلك تحقّق السلطان أنهم يريدون قتله، و كان ذلك بعد خروج الأمراء من السجن و ظهور يشبك و رفقته، و قد كثروا و عظم جمعهم، فلم يجد الملك الناصر بدّا من أن يفوز بنفسه و يترك لهم ملك مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۳۰

و لما أراد النزول من القلعة ليختفى بالقاهرة قام و معه بكتمر مملوك القاضى سعد الدين بن غراب، و يوسف بن قطلوبك صهر ابن غراب، و نزلوا من باب السرّ الذى يلى القرافة، و ساروا على بركة الحبش، و نزلوا منها فى مركب، و تركوا الخيل و تغيّبوا نهارهم كلّه فى البحر حتى دخل الليل، فساروا بالمركب إلى بيت سعد الدين ابن غراب و هو فيما بين الخليج و بركة الفيل بالقرب من قنطرة طقزدمر، فلم يجدوه فى داره، فمروا على أقدامهم حتى باتوا فى بيت بالقاهرة لبعض معارف بكتمر.

ثم بعثوا لابن غراب بمجيء السلطان إلى عنده، فهيأ له سعد الدين مكانا من داره، و أنزله فيه من غير أن يعلم أحد به.

و أما الأمراء، فإنه لمّا بلغهم ذهاب السلطان الملك الناصر [خرج المذكور] فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان و ثمانمائة، بادروا بالطلوع إلى القلعة، و هم طائفتان: الطائفة التى كانت خالفت السلطان الملك الناصر، و ركبوا عليه و قاتلوه أياما، ثم توجهوا إلى الشام و عادوا إلى الديار المصرية و صحبتهم جكم و شيخ و قرا يوسف و واقعوه بالسعيدية، و كسروه. ثم اختفوا؛ و رأسهم يشبك الشعبانى الدوادار بمن كان معه من الأمراء و قد مر ذكرهم فى عدّة مواضع، و الطائفة الأخرى كبيرهم بيبرس الأتابك، و سودون الماردانى الدوادار الكبير، و إينال باى و غيرهم.

فلما طلعوا الجميع إلى القلعة، منعهم الأمير سودون تلى المحمدى الأمير آخور الكبير من الطلوع إلى القلعة، فصاروا يتضرّعون إليه من نصف النهار إلى بعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۳۱

غروب الشمس، حتى مكّنهم من العبور من باب السلسلة، فطلعوا و معهم الخليفة المتوكل على اللّه و القضاة الأربعة، و تكلموا فيمن ينصّبوه سلطانا، حتى اتّفقوا على سلطنة الأمير عبد العزيز بن الملك الظاهر برقوق، فإنه ولى عهد أخيه فى السلطنة حسبما قرّره والده الملك الظاهر برقوق قبل وفاته، فطلبوه من الدّور السلطانية، فمنعته أمه خوند قنّق باى أوّلا، ثم دفعته لهم فأحضروه، و تم أمره، و تسلطن حسبما نذكره فى محلّه من ترجمته، و خلع الملك الناصر فرج من السلطنة و سنّه نحو سبع عشرة سنة تخمينا، فكانت مدّة تحكم الملك الناصر على مصر من يوم مات أبوه الملك الظاهر برقوق إلى يوم خلع ست سنين و خمسة أشهر و أحد عشر يوما [و اللّه أعلم].

«انتهى الجزء الثانى عشر من النجوم الزاهرة، و يليه إن شاء اللّه تعالى الجزء الثالث عشر، و أوّله: السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق الأولى على مصر».

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹